سبتمبر/اكتوبر ١٩٩٠ - صفر/ربيع الأول ١٤١١

Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest
September / October '90 N° 142-143

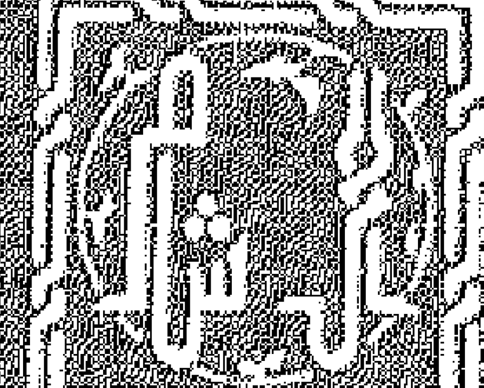
أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٢٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا



فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها .. صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك .. فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية .. ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .



للحجز : فندق الشام - ص ب ٧٥٧١
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. أمينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

التلكس (الموقت): ANAHAR 22322 LE

COLIDI 21058 LE

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان. بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Beirut, Makdesi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / COLIDI 21058 LE

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

September / October '90 N° 142-143 (New Series) Vol. 12

ريدرز دايجست

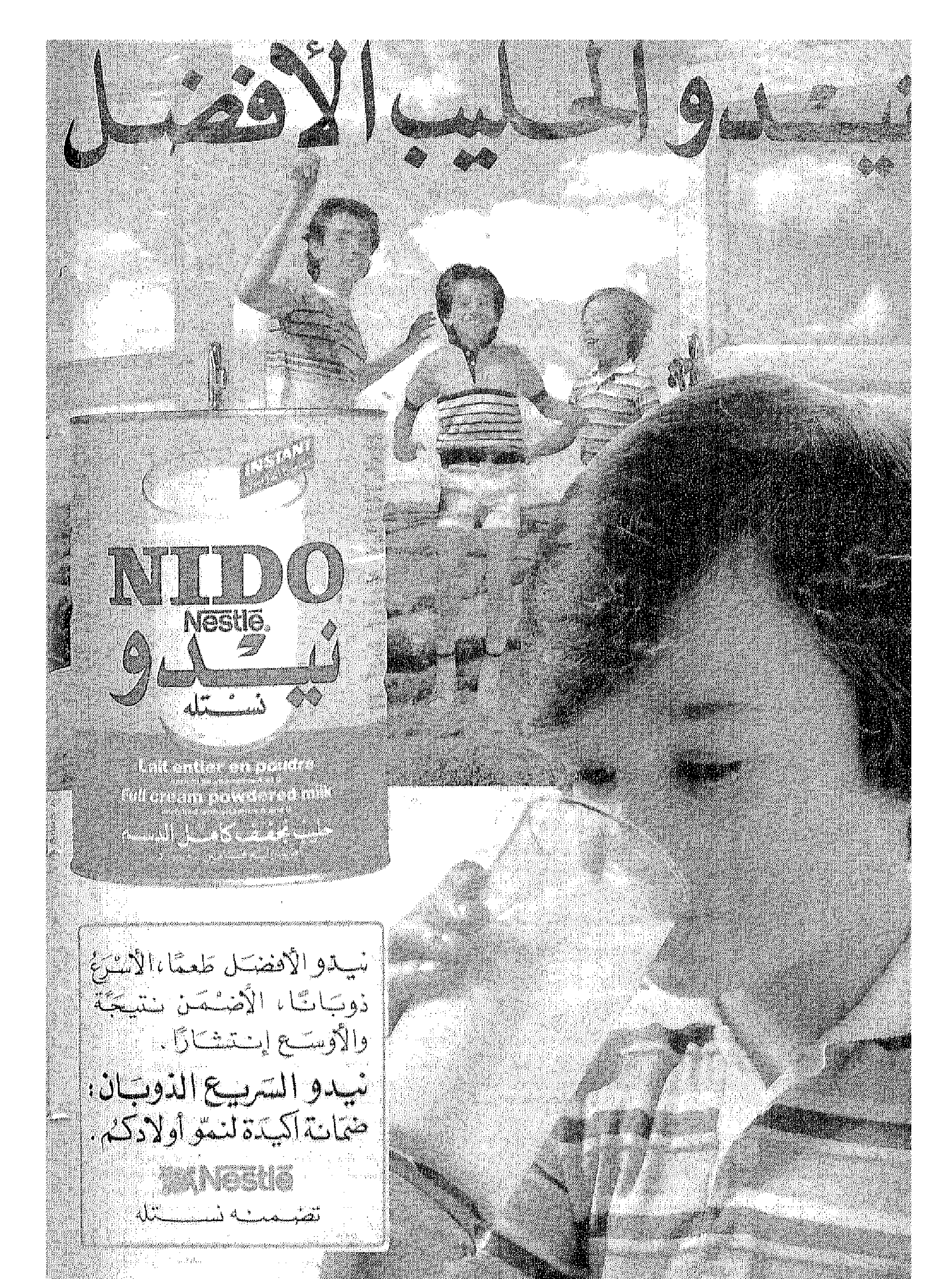
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

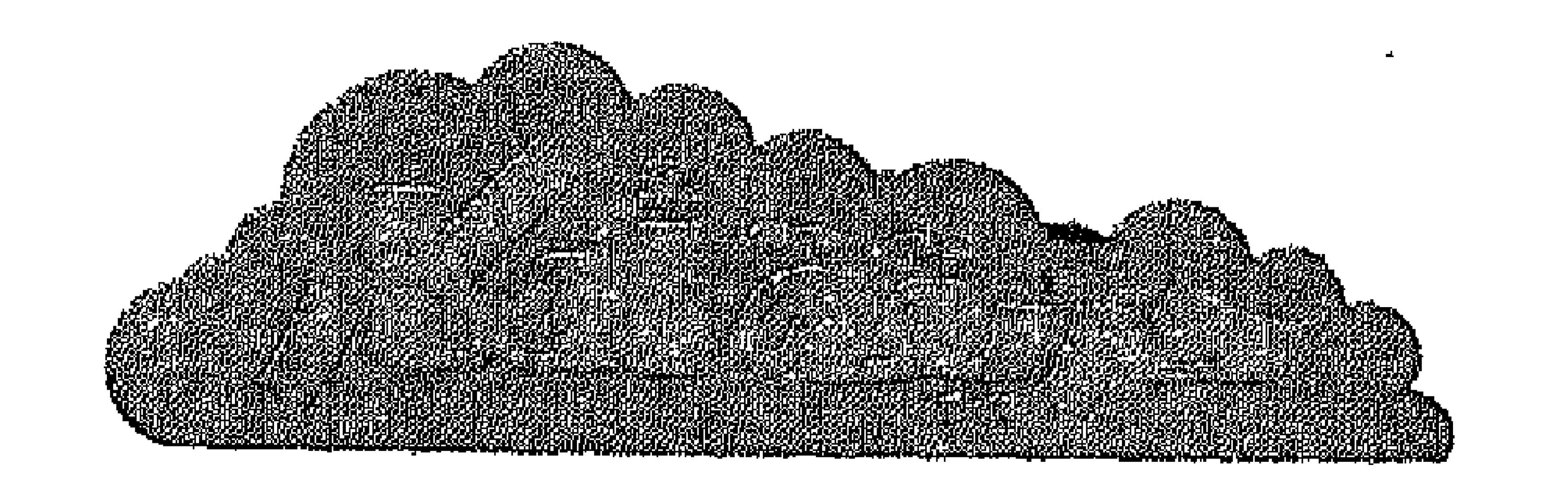
رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

بنان ١٠٠٠ل - سورية ٤٠ل - الاردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - لسعودية ١٠ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - اليمن ٨ر - عدن ١٥د - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا واميركا الشمالية ٢،٥د



نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
نيدو الأفضل طعمًا، الأسرع ذوبانًا، الأضمن نتيجة والأوسع إنتشارًا.
نيدو السريع الذوبان:
ضمانة أكيدة لنمو أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله



- نحكم على ذواتنا بما نشعر اننا قادرون على تحقيقه، فيما يحكم علينا الآخرون بما حققناه فعلا.

هنري ودسورث لونغفلو، شاعر امريكي

- نحن أمس الغد.

م.و.

- غالباً ما يلاقي المرء قَدَره على الطريق التي يسلكها لتجنبه.

جان دو لافونتين، شاعر وروائي فرنسي

- لا تدع ما لا تقدر عليه يثنيك عما تقدر عليه.

ج.و.

- إن تقدير عالم اقتصاد قد يكون صائباً كتقدير أي شخص آخر.

ويل روجرز، ممثل امريكي

- من ألذّ التجارب ذات المتعة الدائمة ذلك الشعور الذي يغمرك عندما تغفر لعدوك بقلب صادق، أعَرَف هو أم لم يعرف.

ا.ا.ب.

- يسن الناس قوانين لأنفسهم، ثم يفتشون عن ثغرات لنقضها.

و.ر.

- عندما تتمكن من الاصغاء الى شخص يسرد لك مصائبه ولا تبادله بسرد مصائبك، تكون بلغت مرتبة الابرار.

ا.ف.م.

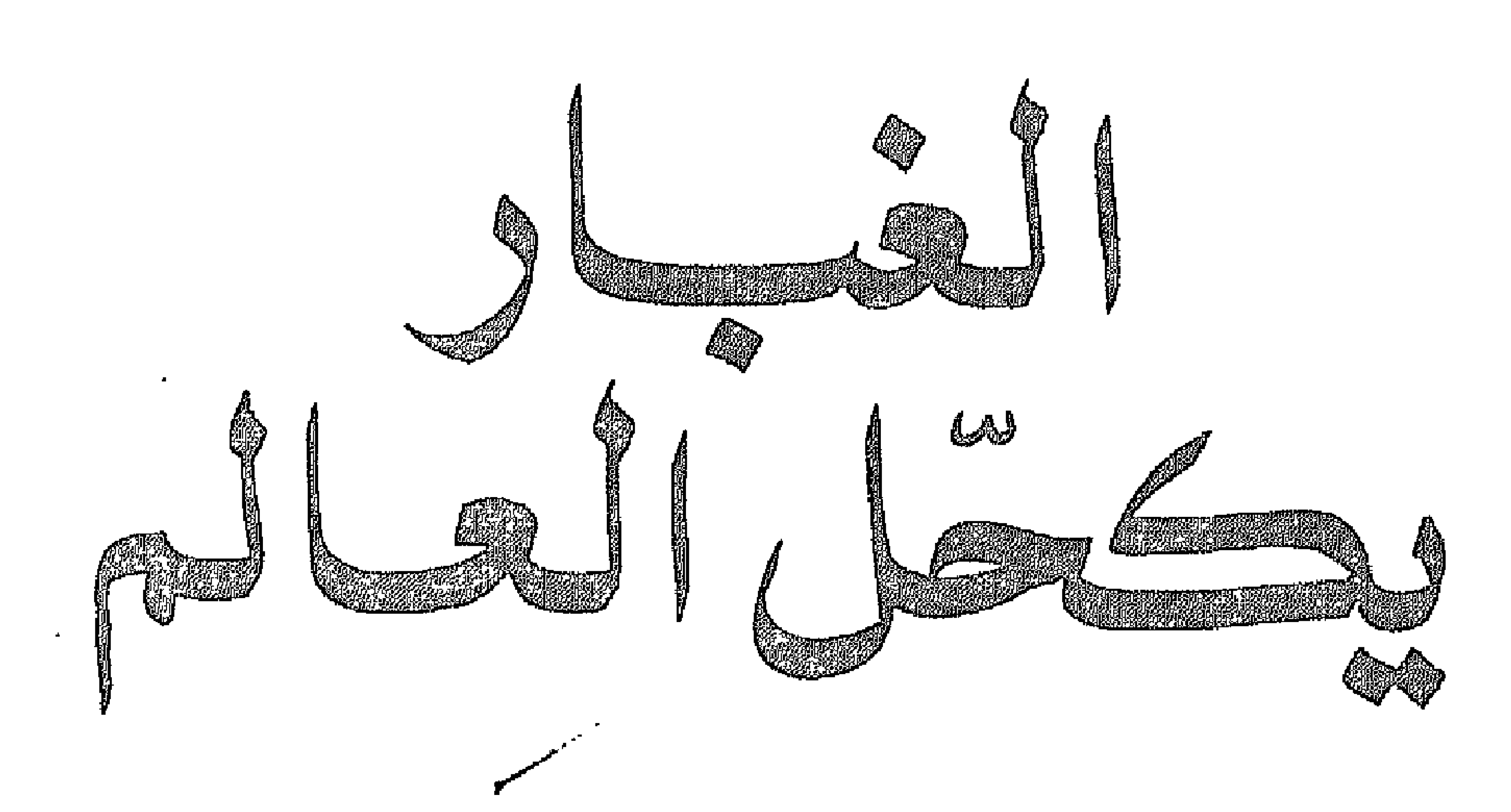
- الانضباط هو أن تتذكر ما تريده.

د.ك.

- التشاؤم لم يربح معركة أبداً.

دوايت ايزنهاور، جنرال ورئيس امريكي راحل

يكسو الغبار أثاث منازلنا ويملأ الشقوق ونراه لألاء طافياً في شعاع نور. فمن أين يأتي؟



الغبار يكحّل العالم

جلست وحيداً في منزل جدتي مأخوذاً بقراءة كتاب. ورفعت عيني فجأة، فإذا بي أرى شعاعاً من نور الشمس تجلّى داخل غلافه الذهبي منظر فائق الروعة. كانت ذرات لامعة من الغبار تدور ببطء في بحر الشعاع كنجوم في مجرّة نيرة. وحين مددت يدي الى الشعاع تحلّقت حول كل اصبع زوبعة من غبار.

حدث ذلك قبل سنوات كثيرة. لكن صورة مملكة الغبار المتألقة في شعاع الشمس كما نراها في حداثتنا لا تلبث أن تغيب عنا في خضم الواجبات المنزلية الدائمة من مسح الغبار في أرجاء البيت وتنظيف السخام المتراكم في الشقوق. غير أن رؤية طفولتنا هي الأصح. فللغبار حصة كبيرة من جمال العالم.

لولا الغبار لما كانت غيوم ولا أطياف متباينة من خِضار ولا ظلال متعددة الألوان. ولما تمتعنا برؤية السديم الألِق فوق الجبال ولا بمغيب الشمس الفاتن.

ولما كانت زرقة السماء لولا جسيمات الغبار الدقيقة المعلّقة في الجو التي تتعاون وجسيمات الهواء على اعتراض الموجات القصيرة (الزرقاء) في نور الشمس وبَعْثرتها. واذ تغيب الشمس يكشف الجو المغبر الاشعة البرتقالية والحمراء الطويلة الامواج التي تلوّن السماء. ويولِّد الغبار المعلق في الاجواء العليا حمرة الشفق التي تظل متوهجة بعد المغيب، كلحن عذب انتهى عزفه وما زال رجعه ينساب شجياً يهز أعماق النفس. باختصار، يمنحنا الغبار روائع ملهمة.

والى الجمال المنظور يتحفنا الغبار بمنافع جمّة، منها المطر. فلكي تتكون الغيوم يجب أن تكون نواة يتكثف حولها بخار الماء كما تتكثف اللآلىء حول حبات الرمل. فجسيمات الغبار المحمولة في الهواء تؤدي الغاية ذاتها.

فمن أين يأتي الغبار؟ كثير من مسبباته يقع على عاتقنا. فكل خطوة على الرصيف تحت جسيمات من نعل الأحذية والاسمنت. ولدى تبادل قطع النقد المعدنية تنسلخ منها أجزاء دقيقة. وتنطلق من عود ثقاب لدى اشعاله ملايين الجسيمات من الكربون. ولدى مطالعة صحيفة تنقصم نتف مجهرية من الصلصال عن الصفحات الصقيلة اللامعة وتحلق عائمة في الجو مع رقائق من حبر المطبعة وجلد الاصابع.

وأينما يكن مسكنك فكثير من الغبار العالق في سجادك ناتج من الصناعات المحلية. ومصانع الفولاذ والاسمنت ومقالع الصخور ومطاحن القمح هي من المسببات الرئيسية للغبار. وتأتي نسبة كبيرة من الغبار الذي يسببه الانسان من حرق الوقود. فالمصانع التي تحرق الفحم لانتاج الطاقة تنفث أطناناً من الرماد يومياً من مداخنها. ورواسب محركات الطائرات النفاثة تسقط من الجو على رؤوسنا باستمرار. ومن المدهش أن جزءاً يسيراً من الغبار في الهواء يأتي من السيارات.

غبار حي. يتراكم في المنزل النموذجي نحو ٢٠ كيلوغراماً من الغبار في السنة. وتحوي ردهة الجلوس مليارات الجسيمات من الغبار، منها ما يلج محرك المكنسة الكهربائية عبر الكيس ويتقلّى هناك مولّداً تلك الرائحة "الساخنة" المألوفة، ومنها ما يتراكم بسرعة على شاشة التلفاز لان وراء أنبوب الصورة "بندقية الكترونات" تطلق عليها شحنات سلبية. ولأن الاضداد تتجاذب، فكل ذرة غبار ذات شحنة ايجابية طافية قرب الشاشة تتجه اليها مباشرة.

والتراب أحد أهم مصادر الغبار الطبيعي. لكن قلة من الناس تعلم أن المحيطات هي مصدر كبير آخر. فكلما تكسرت موجة على شاطىء حملت الريح عدداً لا يحصى من جسيمات الملح مئات الكيلومترات الى الداخل. وتنفث البحار ٣٠٠ مليون طن من هذه الجسيمات البلّورية سنوياً، أي ما يزيد ٥٠ في المئة على كميات الملح المستخرجة من المناجم. ويترسب ملح المحيط الاطلسي على سطوح القرميد والقش في بريطانيا، ويستقر ملح المحيط الهادىء في مواقف السيارات بمدينة رينو في ولاية نيفادا الصحراوية. وقد تنفث كميات كبيرة من الملح على شاطىء ولاية نيوجرزي فيتراكم على عازلات الاسلاك الكهربائية مما يتسبب في انقطاع التيار.

وبعض الغبار "حيّ" يتحرك. فعثّ الغبار يعشش في فراشك وسجادك ويقتات بملايين القشور التي تسقط من جلدك يومياً (وتبين أن برازها من أقوى المواد المثيرة للحساسية.) وتنتج الخميرة بتكاثر بوغات (بذور) بالغة الصغر، وهي كيميائي مملكة الغبار. فالخميرة تحلل السكر الى كحول وثاني أوكسيد الكربون، وتحول عصير العنب خمراً والشعير جعة. ولولا ملايين أطنان اللقاح التي تطفو في الجو كل سنة لَعجز معظم الأزهار والأشجار عن التكاثر.

مسافر حول الارض. اذا تفحصت عينة من حبيبات الغبار فستجد بينها تباينا كالفوارق بين الحصى والجلاميد. فجسيمات الدخان يبلغ قطرها جزءاً من الميكرون (قطر ثقب الدبوس ٤٠٠ ميكرون)*. وقطر الجرثومة (البكتيريا) ميكرون واحد أو اثنان، وتراوح قطرة الغيم بين ٦ و١٨، ويزيد قطر حبيبة اللقاح على ٢٥ ميكروناً. أما عث الغبار فصغير جداً تحتشد ١٢ عثة في النقطة التي تنهي هذه الجملة.

وتتباين سرعة تساقط جسيمات الغبار. ويستغرق سقوط حبيبة غبار قطرها ٣ ميكرونات مسافة ٣٠ سنتيمتراً نحو نصف دقيقة، في حين يستغرق سقوط حبيبة قطرها ربع ميكرون أكثر من ذلك ٢٠٠ مرة. أما حبات الغبار المتناهية في الدقة فتتقاذفها اهتزازات ذرات الهواء وقد تبقى قروناً محمولة في الهواء.

وعلى رغم ضآلة بعض جسيمات الغبار فانها قد تسبب أضراراً. فرقائق السيليكون المستخدمة في أجهزة الكمبيوتر والهاتف وألعاب الفيديو والأدوات "الذكية" قابلة للعطب بفعل الغبار. وكل رقاقة بحجم ظفر طفل محزّزة بألوف الخطوط المجهرية لتؤلف دوائر متكاملة. يقول أندرو س. غروف رئيس شركة "إنتل": "ان سقوط جرثومة واحدة على رقاقة يعادل سقوط جذع شجرة على طريق." لذا يتعين أن تكون الغرف حيث تصنع الرقائق أنظف ألف مرة على الاقل من جناح العمليات في مستشفى.

ومن الحقائق المدهشة عن الغبار قدرته على السفر. فهو يدور حول سطح الارض منذ القدم. وفي الثلاثينات ذرت عواصف الغبار من السهول الكبرى في الولايات المتحدة كميات هائلة من التراب شرقاً فسوّدت الثلج في منطقة نيوانغلند وكست سطوح السفن على بعد ٥٠٠ كيلومتر في الأطلسي. أما أسوأ العواصف فربما كانت تلك التي هبّت في ١٤ أبريل (نيسان) ١٩٣٥ حين "تدحرج" جدار من الغبار بلغ ارتفاعه ٣٠٠ متر وعرضه ٣٠٠ كيلومتر شاقاً طريقه عبر سهول كنساس وشرق كولورادو الى أوكلاهوما وتكساس بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة، خانقاً أسراب البط والاوز هناك.

ويسقط في الولايات المتحدة غبار من أراض أجنبية. ففي ميامي بلفوريدا يمكن تتبع مصدر السخام البني الذي يكثر في الصيف الى الصحراء الافريقية الباعدة ٦٥٠٠ كيلومتر. وحين ثار بركان "إل شيشون" في جنوب المكسيك عام ١٩٨٢ عثر العالمان الفلكيان آدن ومارجوري ماينل على ترسبات من الرماد البركاني في بركة السباحة أمام منزلهما في توسون بولاية أريزونا الامريكية.

غبار كوني. يطوف الرماد البركاني سنوات حول الارض. وفي انفجار جزيرة كراكاتوا في المحيط الهادىء يوم ٢٧ أغسطس (آب) ١٨٨٣ قُذف الرماد والخفاف ٨٠ كيلومتراً الى

(*) الميكرون جزء من الف من المليمتر



الـ"ستراتوسفير" وهو الجزء الاعلى من الغلاف الجوي. وبعد مرور ثلاث سنوات ظلت درجات الحرارة في العالم أدنى من الطبيعي بسبب تأثير التظليل. وكان غروب الشمس من أروع ما شوهد. ومنذ العام ١٩٦٣ حدثت سلسلة ثورات بركانية أبقت الأجواء، صبحاً ومساء في أنحاء العالم، مصطبغة بألوان حية زاهية لم تخبُ الا في العام ١٩٨٦.

وهناك نوع آخر من الغبار الحاضر في كل مكان. مرّر أصبعك على عتبة النافذة، فقد تلتقط كسرة من الفضء الخارجي. ويقدر بعض العلماء أن "الغبار الكوني" الذي انهمر على الارض خلال مليارات السنين الغابرة (أكثره من الشهب المحترقة في الجو) يكفي لتكوين طبقة بكثافة سنتيمترين ونصف سنتيمتر.

وقد تحوي حفنة تراب في فناء منزلك بضع ذرات من مذنّب "هالي." وبعض الغبار على كوكبنا مصدره القمر، ويعتقد خبراء أنه ترسب على أثر اصطدام شهب ضخمة بسطح القمر. والاكثر غرابة أن وابلا من غبار كوكب المريخ ربما سقط على الأرض حين اصطدم كويكب سيّار بالكوكب الاحمر قبل ١،٣ مليار سنة.

والى ذلك، قد تكون حيوانات الارض مدينة للغبار. وتزعم احدى النظريات أن كويكباً سريعاً بلغت مساحته حوالى ٦٢ كيلومتراً مربعاً اصطدم بالارض قبل ٦٥ مليون سنة فأثار غيمة من غبار أغرقت الارض في الظلام والبرد القارس لمدة عقود. فهلكت حيوانات الدينوصور العملاقة مما أتاح ازدهار الثدييات.

واذا أخذنا في الاعتبار عدد الجسيمات الهائل ومدى التمازج في الجو، فمن المحتمل أن يكون دخان من الحرب العالمية الاولى لا يزال سابحاً في غبار منزلك. وقد تكون في منزلك جسيمات متناهية الصغر من كواكب أخر أو من رماد براكين بدائية أو من معدن دروع المعارك في القرون الوسطى.

ريتشارد م. شنايدر ■

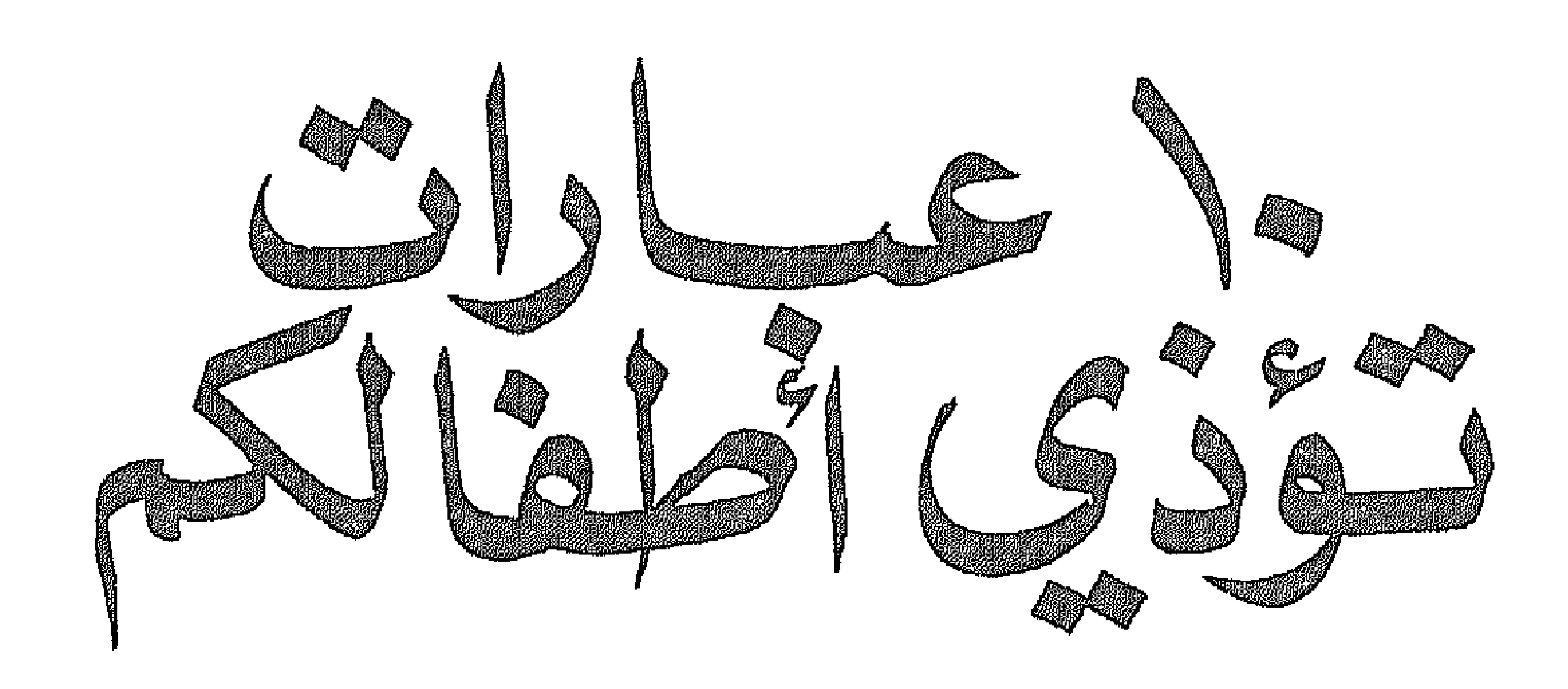
Reader's Digest

المختار

سبتمبر/اكتوبر ١٩٩٠
صفر/ربيع الأول ١٤١١

السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم باسلوب ممتع



١٠ عبارات تؤذي أطفالكم

اذا بدا لك أن طفلك لا يسمع ما تقولين فقد يكون ما تقولينه خطأ

عندما تكتشفين أن ابنك نسي دفتر فروضه في المدرسة مرة ثانية، تقولين له من غير تفكير – وإن كنت أكثر الامهات تفهماً: "كيف تكون غبياً هكذا؟" وعندما لا يجد أولادك في العطلة ما يفعلونه سوى الشجار، تصرخين – وان كنت أكثر الامهات صبراً: "ليتني لم أنجب أولاداً!"

وعلى رغم أن تربية الأولاد هي امتحان لصبر المرء، فمن المهم أن نتحاشى استعمال عبارات قد تؤذي كبرياء الطفل. يقول دونالد كيت الاختصاصي بتربية الأولاد وأستاذ الارشاد النفسي في جامعة بنسلفانيا:

"على الآباء والامهات أن يتعلموا التحكم بغضبهم وإحباطهم كي يعلِّموا أولادهم حسن السلوك، اذ يتمتع الاولاد بالمقدرة العقلية والعاطفية التي تؤهلهم لذلك."

هنا عشر من أكثر العبارات المتداولة أذى، وطرق تحاشيها:

١ "لماذا لا تكون مثل فلان؟"

تحضّر سمر فروضها المدرسية على الدوام، ولا تنسى تنظيف أسنانها. بيد أن شقيقها صلاح يحتاج دائماً الى من يذكره بواجباته. فلماذا لا يكون مثل سمر؟

يشير الاختصاصيون الى أن المقارنة لا تؤدي الى سوى زيادة التنافس الطبيعي بين الأخت وأخيها. ويقول العالم النفساني دون فلمنغ: "اذا قورن الطفل بغيره سلباً، فقد ينمي استياء من أخته أو من أخيه."

فبدلا من مقارنة الأطفال، حددي بالضبط ما تريدينه من ولدك: غرفة أكثر ترتيبا؟ سلوك أفضل الى المائدة؟ ركزي على السلوك الذي تبتغين تغييره. كأن تقولي: "إنتظر حتى يؤذن لك بمغادرة المائدة."

وبيِّني للطفل أهمية العادات الحسنة في حياته. مثلا، إنجاز الفروض في وقتها يعني نيله علامات تريحه من الدراسة خلال العطلة الصيفية. فمتى فهم الطفل أنك تريدين تغيير طريقته لا شخصه، سنحت لك فرصة أفضل للمس تحسن في سلوكه.

٢. "لماذا لا تتصرف حسبما يقتضيه عمرك؟" عندما تتصرف ابنتك البالغة سبع سنوات في مطعم أنيق كبنت أربع سنوات، تصابين باحراج وتنهرينها قائلة: "لماذا لا تتصرفين حسبما يقتضيه عمرك؟" النتيجة؟ تشعر ابنتك بالإهانة وتواصل رش الملح بعناد حتى تفرغ المملحة.

فبدلا من استفزاز الطفل تفوهي بعبارة تحقق المطلوب. يقول فلمنغ: "تصرفي بمواجهة غير شخصية. قولي ببساطة: أعلم أنك لا تود أن تُحرم مشاهدة التلفاز هذا المساء، كما لا أريد أن أطفئه. لكن هذا ما سيحدث بالضبط إذا لم تحسن التصرف." وبلمحة خاطفة يعي الطفل نتائج عمله.

٣. "أيجب دائماً أن تبدو قذراً؟" تعنى الأمهات بإلباس أطفالهن ثياباً نظيفة أنيقة. وفي غفلة من الام يخلع الطفل ثيابه المرتبة ويلبس قميصاً عليه رسم "رامبو" وسروال جينز ممزقاً. وهنا تبدأ معركة الثياب وتمشيطة الشعر.

قد يؤدي انتقاد ملبس الطفل وتمشيطة شعره الى ارساء عادة التصارع على النفوذ. اذذاك يجب على الوالدين أن يتساءلوا: "لماذا نريد أن نكون أصحاب القرار في هذا الشأن؟" يقول كيت: "عندما يخرج ولدك مع أصدقاء له، دعيه يلبس ما شاء. ولكن اذا كان ذاهبا معكما لتناول العشاء في الخارج، لا تدعيه يلبس ما يريد. إذ يجب أن يتعلم الأطفال ان لكل مناسبة ملبسها. وللوالدين الحق في وضع خط فاصل بين رغبات الطفل وواجباته.

٤. "أنت الاحبّ والاجمل والاخفّ ظلا." مثل هذه التصنيفات الايجابية قد تؤدي الى حرمان الطفل رؤية نفسه بوضوح. فإن صنفته "بارعاً في الرياضيات"، مثلا، فقد ينزع الى كبت نزعته الفنية. وعبارة "أنت الأذكى" قد تشكل ضغطاً يعيق نجاحه.

لذلك أفيدي من معرفتك بمواهب طفلك

كي تشجعيه، ولا تطبعيه بصفة محددة. مثلا، عبارة "أنت ذكي، لذا أنا واثقة بنجاحك" تؤمن له دعما معنويا، وهي ليست صارمة مثل عبارة "أنت الأذكى، والامتحان بالنسبة اليك كشربة ماء."

ويحذر كيت: "قد يكون التصنيف السلبي توقعاً يتحقق ذاتياً: "فإن قلت لطفل انه كسول، فقد يزداد كسلا عملا بتأكيدك له أن الكسل صفة ثابتة تلازمه.

على الوالدين ايضاح قصدهم الحقيقي حين ينزعون الى تصنيف أطفالهم سلباً. فهل الطفل كسول حقاً؟ ألا يؤدي واجباته ان لم يُذكَّر بها؟ إن كان الأمر كذلك فعلى الوالدين توجيه طفلهما بأسلوب الثواب والعقاب، كانذاره مثلا:

"إذا نسيت رمي النفايات فسوف أحسم جزءاً من مصروف جيبك."

٥. "كيف تكون غبياً هكذا؟"

أهداف التربية بناء ثقة الطفل بنفسه. لكن عبارات مثل "كيف تكون غبياً هكذا؟" لا تؤدي الا الى جرح شعوره. بدل ذلك، امنحي الطفل دعماً إيجابياً يساعده في تحسين سلوكه. وخصصي وقتاً تشرحين له كيف يؤدي عملا ما بنجاح. مثلا، اذا خرج الى الشارع ولم ينتبه الى السيارات العابرة، جرّبي عبارة: "ينبغي أن تمسك يدي حين نعبر الشارع." وعندما يمسك يدك يسعك أن تضيفي: "ذكاء منك أن تمسك يدي. الآن نستطيع عبور الشارع بأمان."



٦. "أتمنى أحياناً لو لم أنجب أولاداً." يسمع الطفل عبارات مثل: "أنت غير نافع. لا أريدك." ويقول كيت: "يحتفظ الطفل في قرارته بهذه الفكرة، وغالباً ما يحملها الى سن الرشد.

وإذا غضبتِ الى حد يحملك على القول: "ليتك لم تولد"، فينصحك الدكتور وليم كوش المستشار في شؤون تربية الأولاد، بأن تجربي بدلا من ذلك عبارة "أحياناً تجعلني غاضبة جداً."

وأفضل من ذلك، ضعي أحكاماً ونفذيها قبل أن تصل الأمور الى درجة الغليان. فالطفل الذي يعرف ما يُتوقع منه ويرى ثباتاً في موقف والديه، يتصرف على نحو أفضل.

٧. "دعني وحدي!" يحتاج جميع الوالدين الى وقت يقضونه منفردين، لكن صرف الطفل بغضب يشعره بأنه غير مرغوب فيه. حاولي إشراك طفلك في شؤون عليك انجازها. فحتى ابن السنوات الثلاث يحب أن "يساعد" في تحضير المائدة. يقول الدكتور كوش: "إن قضيت وقتاً مع أولادك حين يحتاجون اليك، تضاءلت مطالبتهم باهتمامك في أوقات أخرى."

وحين تحتاجين الى البقاء وحدك، يقترح الدكتور كوش أن تقولي لطفلك: "أحبك كثيراً، لكنني مشغولة جداً الآن." دعيه يدرك أنك ستعودين إليه في ما بعد. اما اذا أصرَّ على ملازمتك فقد يفيد أن تنبهيه: "اذا قاطعتني ثانية تذهب الى غرفتك، لأن هذا الوقت يخصني أنا." وبهذه الطريقة تصبح القضية قضية مبدأ وانضباط، لا رفض.

٨. "إخرس!" تترك هذه الكلمة لدى الطفل انطباعاً انك لا تعبئين برأيه، وقد يرى نفسه شخصاً لا يملك شيئاً مهماً يقدمه الى الآخرين.

جربي القول: "تمهل. إهدأ. أسكت." فإن لم تنجحي، اعمدي الى تدبير هادىء وحازم: أطفئي التلفاز وأرسلي طفلك الى غرفته.

وتذكري أن الأولاد يتعلمون بالأمثولة. يقول روبرت برامسون الذي ألّف وزوجته سوزان كتاب "بيت بلا شوارع"*: ان أردت أن يكون أولادك مهذبين، فعليك أنت أن تكوني مهذبة. فأنت لا تقولين "إخرس" لصنو لك، لذلك لا تستعملي هذه الكلمة مع طفلك."

٩. "إفعل وإلا..." إن التهديدات الفارغة تنتقص من سلطتك. فهي تحدو الطفل على متابعة سلوكه السيىء إمعانا منه في امتحانك.

الخطة الفضلى تقضي باختيار عقاب محدد تعمدين الى تنفيذه. قولي شيئاً مثل: "إن لم تتوقف عن ذلك فوراً منعتك أسبوعاً من اللعب خارج المنزل." أو: "إن فعلت ذلك ثانية فلن تلعب بعد

* The Streetless Home

العشاء." فيعرف الطفل أنك تعنين ما تقولينه. ويؤكد الدكتور كوش: متى لجأ الوالدون الى مراعاة الانضباط بثبات، أدرك الأطفال بسرعة أنهم يقرنون القول بالفعل. أما بالنسبة الى الأطفال الصغار، فارسالهم الى غرفهم اجراء فاعل جداً. وعندما يكبرون يتحول هذا النوع من العقاب قصاصاً يطاول امتيازاتهم.

١٠ "إن لم تأتِ معي فوراً فسأذهب وحدي." لا "تلعبي" أبداً بخوف الطفل من أن يترك وحيداً. يقول كوش: "على الوالدين أن يكونوا ملاذاً أميناً ينطلق منه الطفل الى العالم، والا نمت فيه نزعة الاعتماد على الأهل والالتصاق بهم."

لذا يستحسن أن تقولي لطفلك الدارج الذي يرتمي عند زاوية الشارع رافضاً متابعة السير: "اما أن تأتي الآن واما أن أجرّك بيدك وأجبرك على المجيء."

فاذا كان طفلك نزاعاً الى التواني والمماطلة، أنذريه قبل وقت. أعلميه مثلاً: "لديك خمس دقائق أخرى للعب مع سوسو، ثم نذهب." غالباً ما يؤدي هذا الأسلوب الى النتيجة المرجوة من دون حاجة الى تهديد الطفل بتركه وحيداً.

إذا قلت لطفلك كلاماً مؤذياً فثمة طرق لاستدراك الخطأ. فمن حسن الحظ أن الأطفال يتسمون بالمرونة. وينصحك الدكتور فلمنغ بالآتي: "عودي الى طفلك واحتضنيه هامسة: "لقد قلت لك كلاماً قاسياً. فحين أغضب أقول كلاماً لا أعنيه. إني آسفة." هذا الكلام لا يساعد فقط في ترميم العلاقة المجروحة بل يعلّم الأطفال ما يجب أن يفعلوه متى قالوا كلاماً غضوياً لا يعنونه."

أما القاعدة الذهبية التي يجدر بك اتباعها فهي، بكلام الدكتور كوش: "دعي طفلك يشعر دائماً بأنه محبوب."

أنطونيا فان در مير ■

الغش الظريف!

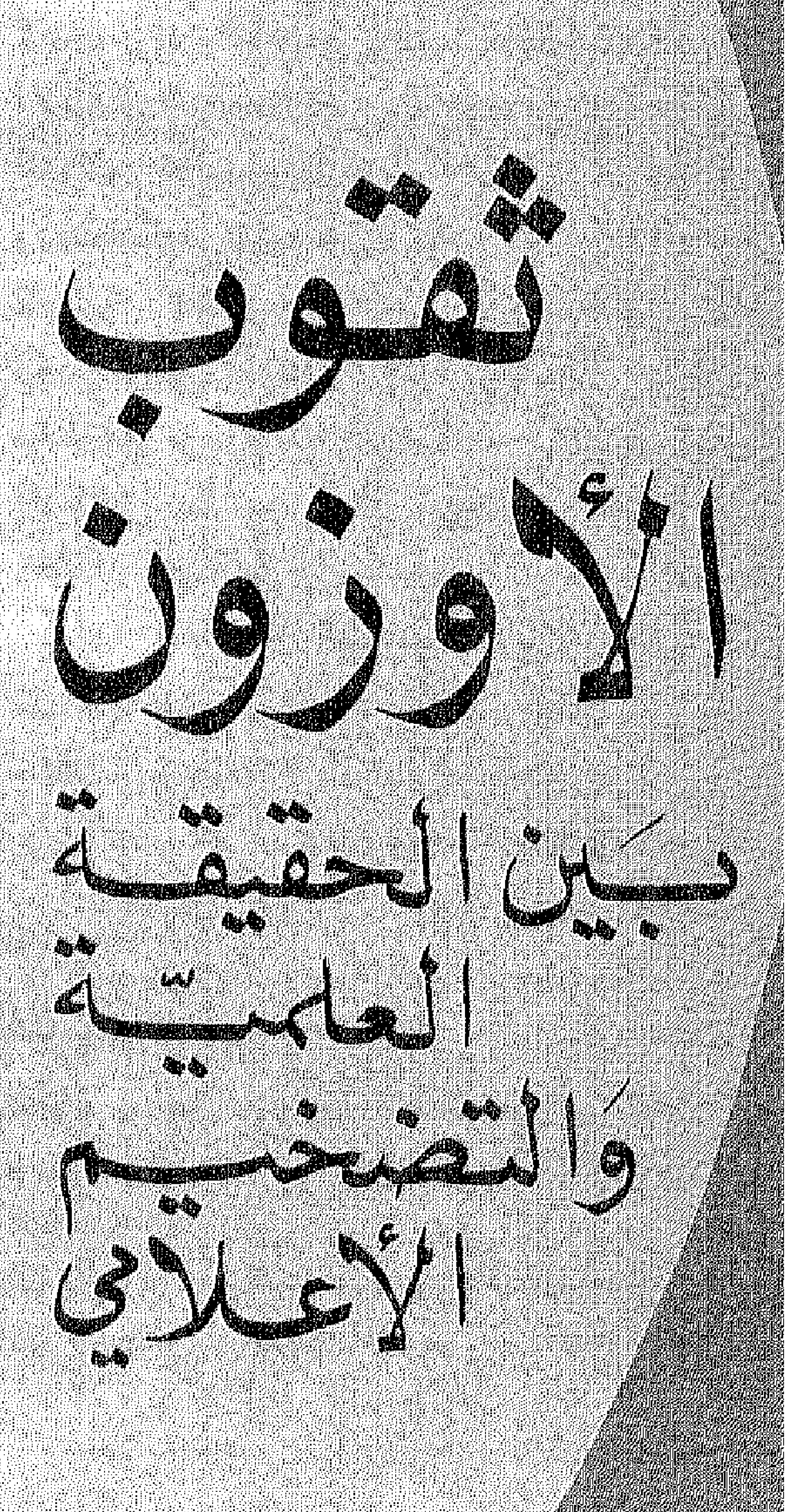
يدرس صديق لي الموسيقى في احدى الجامعات. وطلب منه يوماً كتابة مقال عن أحد المؤلفين الموسيقيين. وإذ لم يكن لديه متسع من الوقت لانجازه عمد الى نقل مقال من موسوعة موسيقية آملاً ألّا يلاحظ أستاذه فعلته.

وعندما أعاد اليه الاستاذ المقال خلت صفحاته من اي تعليق ما عدا جملة قصيرة كتبها الاستاذ في نهاية المقال وجاء فيها: "من دواعي الرضى ان يعلم الانسان أن أعماله ما زالت تُقرأ.

م.ت.

الحكم لا يعني الادارة فقط، بل يعني أيضاً اضفاء شعور بالثقة والولاء.

م.غ.



ثقوب الأوزون بين الحقيقة العلميّة والتضخيم الإعلامي

لم تشهد استوكهولم شتاء دافئا كشتاء ١٩٨٩ منذ ٢٣٠ سنة، وما عرفت فرنسا مثل الحر الذي غمرها في مايو (أيار) من ذلك العام. واكتسحت اسبانيا وجنوب ايطاليا موجات حرارية صيفية بدت كأنها لا تنتهي. وتلظّت بريطانيا في صيفها وتشمست في شتائها خلال تلك السنة الدافئة والجافة كما لم تعهده قبلا. وضربت الولايات المتحدة واحدة من أسوأ موجات الحر في هذا القرن، فلفّت الشاطىء الشرقي وجفّفت الغرب الاوسط. وأعلن جايمس هانسن، وهو عالم مرموق بالارصاد الجوية ومدير معهد غودارد للدراسات الفضائية في مدينة نيويورك التابع لوكالة الفضاء الامريكية (ناسا) "إن مفعول الدفيئة (الاجواء الارضية المشابهة لزرع النباتات الرخصة في منزل زجاجي) يغير مناخنا اليوم."

إزاء ذلك اجتمع في باريس في تموز (يوليو) ١٩٨٩ قادة الدول الصناعية السبع الكبرى وهي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وكندا واليابان وألمانيا الغربية وإيطاليا، بينهم الرئيس الامريكي جورج بوش ورئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر، ودعوا الى بذل جهد مشترك غايته وضع حد لانبعاث غاز ثاني أوكسيد الكربون وغيره من "غازات الدفيئة"* ولتحقيق هذه الغاية اقترح عدد من علماء البيئة إجراءات قاسية جدا

(*) Greenhouse gases. والدفيئة بيت بلاستيكي او زجاجي تستنبت فيه مزروعات في غير مواسمها

وضرائب ضخمة جديدة قد تؤثر الى حد بالغ في نمط حياتنا. وحذر رئيس "الوكالة الأمريكية لحماية البيئة" من أن "ابطاء عملية ارتفاع الحرارة في العالم يتطلب اجراءات اقتصادية واجتماعية هائلة."

والرهان كبير، إذ قد يسأل الناس أن يختاروا بين حلول كارثة بيئية ودفع أثمان باهظة. ولكن هل هذا الخيار لزام علينا؟ يعتقد كثير من العلماء أن الخطر حقيقي، فيما ينحى آخرون الى الشك. وهنا ما نعرفه:

"ثقب الاوزون" قضية طغت على أخبار العصر. فهل ترتفع حرارة الارض حتماً، أم ان وسائل الاعلام ضخمت احتمال وقوع كارثة بيئية قد لا تحصل أبداً؟

ما هو مفعول الدفيئة؟

عندما تدفىء أشعة الشمس الأرض تتسبب بعض الغازات في طبقة الجو السفلى في احتباس الحرارة المرتجعة الى الفضاء، تماما كما يحدث في البيوت الزجاجية والبلاستيكية المخصصة لزراعة النباتات. وهذه الغازات مؤلفة غالبا من بخار الماء وثاني أوكسيد الكربون والميثان والكلوروفلوروكربون الذي يصنعه الانسان، وهي ما يدفىء كرتنا الأرضية ويجعل الحياة ممكنة.

ولكن إنْ كثرت هذه الغازات فقد تؤدي الى احتباس مقدار كبير من الحرارة. في جو كوكب الزهرة، مثلا، ٦٠ الف ضعف ما في جو الأرض من ثاني أوكسيد الكربون، ومعدل الحرارة على الكوكب ٤٢٥ درجة مئوية. ولكن إن قلت مقادير غازات الدفيئة أو فقدت كليا من جو الأرض، هبطت معدلات الحرارة دون درجة التجمد.

وترتفع تركُّزات غازات الدفيئة باطراد، لذا اهتم العلماء بازدياد الحرارة في العالم. وتوقَّع الباحثون في معهد غودارد وفي جامعة إيست أنغليا البريطانية تضاعُف تركُّزات غازات الدفيئة خلال القرن المقبل، مما قد يرفع معدلات الحرارة في العالم نحو ٥ درجات مئوية.

ما مسببات هذا التراكم؟

الطبيعة مصدر معظم غازات الدفيئة. مثلاً، ينبعث ثاني أوكسيد الكربون، وهو أوفر الغازات المتنبِّعة، من البراكين والمحيطات والنباتات المتعفنة، ومن تنفسنا. إلا أن جزءاً كبيراً من تراكمه هو من أعمال الانسان.

ينبعث ثاني أوكسيد الكربون من اشتعال الأخشاب والوقود العضوي، كالفحم الحجري والنفط. والواقع أن كمية هذا الغاز في جو الأرض ارتفعت بنسبة تزيد على ٢٥ في المئة مذ بدأت الثورة الصناعية قبل نحو ٢٠٠ سنة. وساهمت الفترة الممتدة منذ العام ١٩٥٨ وحدها بنسبة ١١ في المئة من هذه الزيادة.

أما الميثان، وهو ثاني أوفر غازات الدفيئة، فينبعث عندما تنحل المواد العضوية في المستنقعات وحقول الرز وزرائب الدواجن، وحتى في أحشاء النمل الأبيض والحيوانات المجترَّة. وترتفع مقادير هذا الغاز سنوياً بنسبة واحد في المئة، بعضها ناجم عن ازدياد تربية المواشي واستهلاك الغاز الطبيعي.

ثالث هذه الغازات، الكلوروفلوروكربون، يتسلل من الثلاجات ومكيفات الهواء والبلاستيك والمواد المذيبة وقوارير الرذاذ (سبراي). وعلى رغم ضآلة الكلوروفلوروكربون في الجو بالمقارنة مع ثاني أوكسيد الكربون، فان فاعليته في امتصاص الحرارة أقوى ألوف المرات، كما أنه يُعتبر من مسببات "ثقب الأوزون".

ما الرابط بين ثقب الأوزون ومفعول الدفيئة؟

من الناحية العملية: لا شيء. فالأوزون شكل من أشكال الأوكسيجين، لكنه مهم لسبب آخر هو أن وجوده في طبقة الجو العليا يساعد في وقايتنا من أشعة الشمس فوق البنفسجية التي يمكن أن تتسبب في سرطان الجلد. وفي العام ١٩٨٥ أكد العلماء وجود "ترقّق موقت" في طبقة الأوزون فوق قارة القطب الجنوبي (أنتارتيكا)، الأمر الذي أثار قلقا جديداً لدى العلماء لأن الترقق إذا امتد الى المناطق المأهولة يمكن أن يتسبب في ازدياد اصابات السرطان.

لا يظهر ثقب الأوزون الا بين سبتمبر (أيلول) ونوفمبر (تشرين الثاني) فوق منطقة القطب الجنوبي وحدها. ثم يصلح ذاته بعد أسابيع عندما تتغير الظروف الجوية. كما أنه يتقلَّب بحيث لم يُشاهد عام ١٩٨٨ سوى ترقق قليل.

والأوزون غاز تكوِّنه الطبيعة وتدمره باستمرار. وتطلق البراكين كميات هائلة من الكلورين الذي يصل بعضه الى الستراتوسفير (الجزء الأعلى من الغلاف الجوي) ويدمر جزيئات الأوزون.

بيد أن أكثر النظريات شيوعاً في تفسيـر ثقب الأوزون هي أن غاز الكلوروفلوروكربون الذي ينتجه الانسان، يُطلق ذرات من الكلورين الى الجزء الأعلى من الغلاف الجوي.

وعلى رغم ترقق طبقة الأوزون في الستراتوسفير فوق قارة القطب الجنوبي، لا تُتوقع أي زيادة في الاشعاع فوق البنفسجي السطحيّ خارج تلك المنطقة.

هل يزيد تدمير الغابات مفعول الدفيئة؟

تنمو الأشجار والنباتات منتزعة من الهواء غاز ثاني أوكسيد الكربون، ثم تطلقه عندما تحترق أو تنحلّ. وفي بلدان مثل البرازيل تقطع الاشجار وحرق في ألوف الكيلومترات المربعة من غابات المطر الاستوائية، مما لفت انظار كثيرين الى أخطار تراكم غاز ثاني أوكسيد الكربون.

بيد أن ملايين الهكتارات تُزرع كل عام بنباتات بذرية. وقد أكدت دراسات جديدة أنَّ لا معلومات موثوقا بها عن مدى تأثير تدمير الغابات في سخونة العالم. وبينت أبحاث حديثة أن المحتوى الكربوني في الغابات بُولِغ كثيراً في تقديره، مما يشير الى أن تعرية الغابات ليست مصدراً كبيراً لثاني أوكسيد الكربون كما ظُن.

هل ارتفاع حرارة الأرض أمر محتوم؟

يجمع العلماء على أن الارض ستزداد حرارة اذا ازدادت مقادير غازات الدفيئة وبقيت جميع العوامل الأخرى ثابتة. لكن "المسألة الحاسمة"، كما يقول عالم الارصاد الجوية البروفسور فريد سنغر، "هي الى أي مدى ستبقى العوامل الأخرى ثابتة." ذلك بان القوى المناخية تتفاعل بطرق يصعب فهمها، وقد يُبطل بعضها حصول أي زيادة في حرارة الأرض.

فالغيوم، مثلا، تغطي ٦٠ في المئة من الكرة الارضية على الدوام، فتحتبس الحرارة المنبعثة من سطحها، لكنها أيضاً تعكس جزءاً من أشعة الشمس معيدة اياه الى الفضاء الخارجي. فاذا سخنت مياه المحيطات وتبخرت منتجة غيوماً أكثر، فان الغلاف المتكاثف يصبح "منظم حرارة" (ترموستات) يحفظ الارض من التسخين. وقد ألقمت أجهزة كمبيوتر في "المكتب البريطاني للارصاد الجوية" معلومات عن مؤثرات غيوم تُنتج في المختبر، فتبين أن التقديرات المستقبلية لارتفاع حرارة العالم يمكن خفضها الى النصف.

وللمحيطات، الى ذلك، تأثير أساسي في المناخ لم يبدأ العلماء فهمه الا أخيراً. وقد عزا الباحثون في "المركز الوطني الأمريكي للأبحاث الجوية" جفاف صيف ١٩٨٨ في أمريكا الشمالية الى تغيّرات حرارية في المنطقة الاستوائية في المحيط الهادىء نجمت عن تيار "ال نينيو"، وليس الى مفعول الدفيئة. وعندما ادخلت معلومات عن تيارات المحيطات، في اختبارات مناخية مبرمجة، الكمبيوتر، لم تُلحظ زيادة في حرارة

المحيط المتجمد الجنوبي، مما قلل احتمال ذوبان جزء من الطبقة الجليدية هناك وزيادة مقدار الفيضانات الساحلية.

أما كيف ترتحل الحرارة عبر الجو رجوعاً الى الفضاء الخارجي، فعلامة استفهام أخرى كبيرة في نظرية ارتفاع الحرارة في العالم. ومثلها دورة البقع الشمسية ومؤثرات التلوث الجوي والجزيئات البركانية التي تعكس نور الشمس الى الفضاء. ان عوامل كهذه تطرح ظلالا من الشك على نظرية ارتفاع حرارة العالم.

إذاً، ما هو القول الفصل؟ هل بدأت حرارة الأرض ترتفع فعلا؟

هناك احصاءان واسعا الانتشار يدعمان نظرية ارتفاع حرارة العالم. فقد أظهر بعض سجلات الحرارة في القرن الماضي ارتفاعاً في سخونة الأرض بلغ نصف درجة مئوية. وشهدت تلك الفترة زيادة محسوسة في غازات الدفيئة. كما أن السنوات الست الأكثر حراً منذ بدء تدوين السجلات قبل مئة سنة كانت كلها في الثمانينات.

أما في العقد الماضي، فتُعتبر الزيادة المسجلة في ثلاث من أكثر سنواته حرارة – ١٩٨٣ و١٩٨٧ و١٩٨٨ – ناجمة عن مفاعيل تيار "إل نينيو" في المحيط الهادىء.

والمفارقة أن السجلات التاريخية للتغيرات الحرارية في الطقس لا تتفق ونظرية الدفيئة. فبين ١٨٨٠ و١٩٤٠ نزعت درجات الحرارة الى الارتفاع. ولكن بين ١٩٤٠ و١٩٤٥، وهي فترة ازداد فيها استعمال الوقود وتعرية الغابات، هبطت درجات الحرارة، وهذا لا يتوافق ومفعول الدفيئة. كما بينت دراسة شاملة لسجلات قديمة للمحيطات أجراها باحثون من بريطانيا ومن معهد مساتشوستس للتكنولوجيا (M.I.T.) أن لا متغيرات مهمة في أنماط الحرارة بين ١٨٥٦ و١٩٨٦. ويستنتج ريتشارد لندزن من دائرة العلوم الأرضية والجوية والكوكبية في معهد مساتشوستس أن "البيانات المتوافرة لا تدعم نظرية ارتفاع حرارة العالم."

فإذا حسبنا جميع هذه الأمور، لما وجدنا سوى قليل من علماء المناخ ينسبون أي زيادة ظاهرة في حرارة الارض الى مفعول الدفيئة. وفي مايو (أيار) ١٩٨٩ أعلن ٦١ عالماً شاركوا في تجارب أجريت في دفيئة اختبارية في أمهرست بولاية مساتشوستس، أن "هذه الصلة لا يمكن اعتمادها اليوم بأي درجة من الثقة."

هل من دليل آخر على ارتفاع حرارة العالم؟

يلجأ الباحثون الى برامج كمبيوتر معقد، لوضع رسوم بيانية عن متغيرات المناخ. ولكن لا يعوَّل على أجهزة الكمبيوتر الا بمقدار صحة المعلومات التي تلقمها.

والواقع أن العوامل الجوية والمحيطية والقارية التي ما زال فهمها ناقصا، لا تُحسب فعلا حتى في أفضل البرامج.

ولا شك في أن البرامج والمعدات

ستتحسن مع الوقت. لكن النقص الحالي في الادلة والمعدات الموثوق بها يترك مناصري فكرة ارتفاع حرارة العالم يتخبطون في نظريات تفتقر الى برهان.

هل يتوجب القيام بعمل ما يبطل إمكان ارتفاع حرارة العالم؟

يوفر الوقود العضوي اليوم نسبة ٩٠ في المئة من الطاقة المستهلكة في العالم. وقد دعا بعض علماء البيئة الى فرض ضرائب ضخمة على الفحم الحجري ومشتقات النفط. وثمة اقتراحات تطالب بدعم حكومي للطاقات المستخرجة من أشعة الشمس وطواحين الهواء والحرارة الأرضية، وبالغاء بعض الديون الخارجية في مقابل حماية الغابات، وبابطاء النمو السكاني في العالم.

إن تراكم غازات الدفيئة مسألة تستدعي دراسة لا ذعراً. لكن الحقائق تضيع أحياناً في غمرة الهستيريا. ويرى ستيفن شنيدر مؤلف كتاب "ارتفاع حرارة العالم"، أن هناك معضلة أخلاقية. وهو يعترف بالشكوك التي تكتنف مسألة ازدياد حرارة العالم. ومع ذلك يعمد العلماء أحياناً الى كسب التأييد الشعبي عبر وسائل الاعلام من طريق "اختلاق حوارات راعبة وإصدار بيانات مثيرة من غير ذكر للشكوك التي تراودنا." ويضيف شنيدر: "على كل عالم أن يقرر التوازن اللازم بين الفاعلية والأمانة. وآمل أن يجمع بين الاثنين."

الى ذلك، تستهوي البعض إثارة مخاوف لأهداف سياسية. مثال على ذلك ما قاله السناتور الأمريكي ثيموثي ورث لأحد الصحافيين: "تجدر بنا المراهنة على مسألة ارتفاع الحرارة في العالم. وحتى إذا كانت هذه النظرية خاطئة، فسيكون صواباً ما نفعله على صعيد السياسة الاقتصادية والبيئية."

بيد أن استغلال الأدلة الناقصة لدعم موقف سياسي يقلق العلماء. يقول ريتشارد لندسن: "لقد باتت مسألة ارتفاع حرارة العالم حدثاً إعلامياً. كما باتت الدعوة الى اتخاذ الاجراءات المناسبة اختباراً أخلاقياً."

إن ما توافر لدينا من معلومات قليلة لا يبرر الانجراف وراء افتراضات متسرعة ومكلفة. ومن الضروري استكمال الأبحاث والمراقبات المناخية. فاذا انبثقت من البيانات المتجمعة دلائل تؤكد مفعول الدفيئة، أمكننا حينئذ أن نختار السبيل الأفضل.

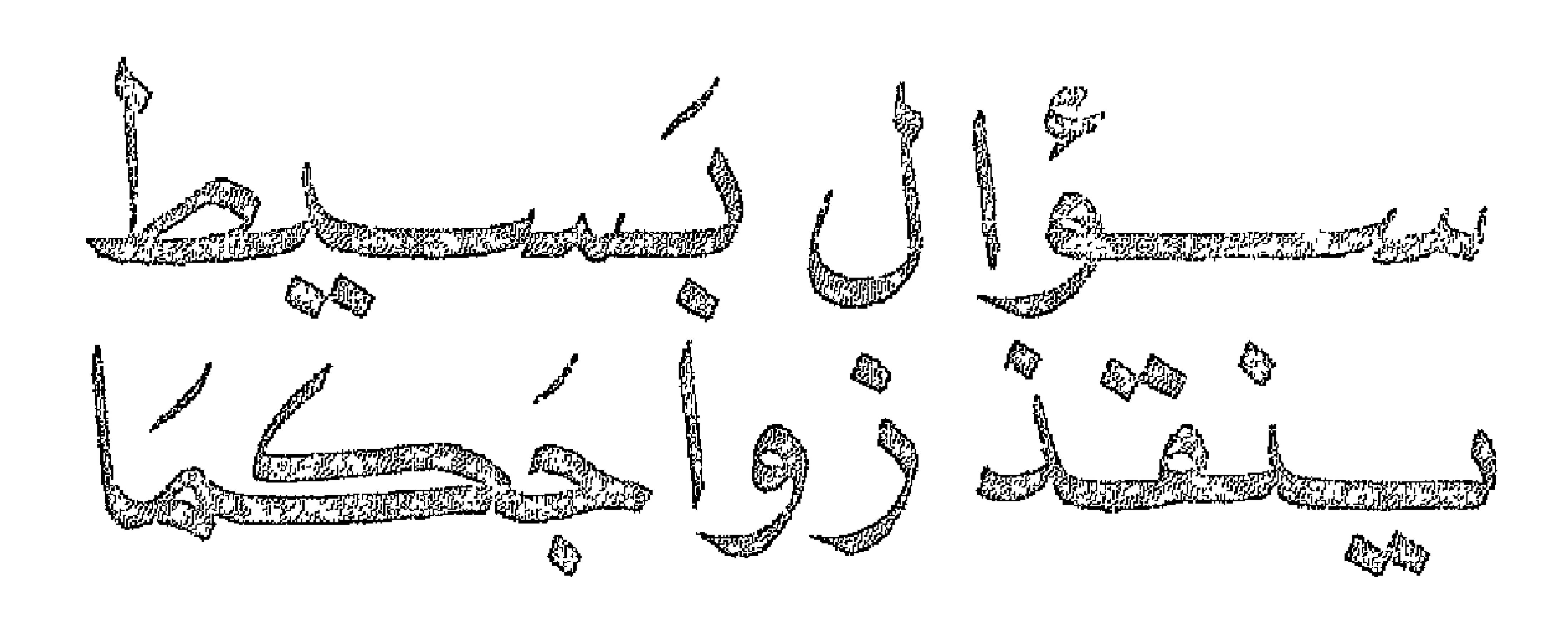
روبرت جايمس بدينوتو ■

القانون والتقدم

يقول القاضي البريطاني اللورد دنينغ: "اذا امتنعنا عن القيام بأي عمل لم يقدم عليه احد من قبل بقينا حيث نحن. فيتوقف القانون فيما العالم بأسره يتقدم. وهذا مضر بالقانون وبالعالم معاً."

د.ل.

أنظروا الى أنفسكم بمنظار الشريك
ولسوف تعجبون مما ترون



عندما دخل ستان وسو غوردون عيادة مستشار الزواج هاري دون في نورووك بولاية كونيتيكت كانا يخالان أن زواجهما الذي دام ٢٠ سنة شارف النهاية. وكان مبتغاهما معرفة كيف يجتازان مرحلة الطلاق. وهما قالا للمستشار انهما لا يزالان يحب واحدهما الآخر، لكنهما لا يستطيعان العيش معاً.

وقبل أن يوافق هاري دون على "دفن" زواج ما زال حياً، طلب من الزوجين العودة الى منزلهما والاجابة، كل على حدة، عن سؤال واحد: "كيف هي حال من تزوجني؟" وهو سؤال فاجأهما. بديهي أن دون لم يفهم المشكلة، فلدى كل منهما قائمة طويلة من الشكاوى.

بدت سو واثقة بأن الأمور ما كانت لتجري على ما يرام لو لم يكن ستان حساساً جداً وسريع الغضب، فلطالما خرج من المنزل حانقا وتركها وحيدة. واشتكى ستان من أن سو قليلة الترتيب وسليطة اللسان، ولولا ذلك لقضى وقتا أطول في المنزل. ادرك الزوجان ان هذه الاتهامات زادت الطين بلة، فقررا تجربة السؤال الذي اقترحه دون.

بعد أيام وجدت سو رزنامة ملقاة بإهمال على الطاولة. فانفجرت غاضبة، اذ كيف يتهمها ستان بقلة الترتيب وهو لا ينفك يكوِّم أشياء لا نفع لها في المنزل. ثم صاحت: "لماذا جئت بهذه الرزنامة الى البيت؟"

وقبل أن يتمكن ستان من الاجابة تذكرت أنها هي من وضع الرزنامة على

الطاولة. فزينت لها غريزتها أخذ موقف دفاعي والقول: "حتى إن لم تأتِ بها انت الى البيت هذه المرة، فهذه عادتك دائماً." لكنها بدل ذلك سألت نفسها: "ماذا سيكون وقع هذا الكلام عليه؟"

ولما كان الجواب بديهياً، استدركت قائلة: "إن ما تفوهت به لكريه حقاً، إني آسفة." فدهش ستان، اذ بدت زوجته كأنها تراجعت خطوة غير منتظرة في رقصة مألوفة أضطر معها الى التقدم خطوة لمجاراتها. فتلاشت نقمته ولم يتطور الأمر الى ما اعتاداه من شجار.

وعلى مر السنوات اقتنع هاري دون بأن سؤاله بالغ الفاعلية بحيث اعتمده في كتاب إرشادي للمعالجة الذاتية.

الخطوة الاولى في برنامج دون تتناول الرد على السؤال، سواء أرغب الشريك في ذلك أم أبى. كثير من الناس يبذلون جهداً عقيماً ومحبطاً لتغيير الشريك. بالنسبة الى ستان وسو، مثلاً، بات المنزل القليل الترتيب مسرح تشاحن لأن الواحد منهما يرى فيه أخطاء الآخر. والاعتراف بأنك جزء من المشكلة يحقق العجائب.

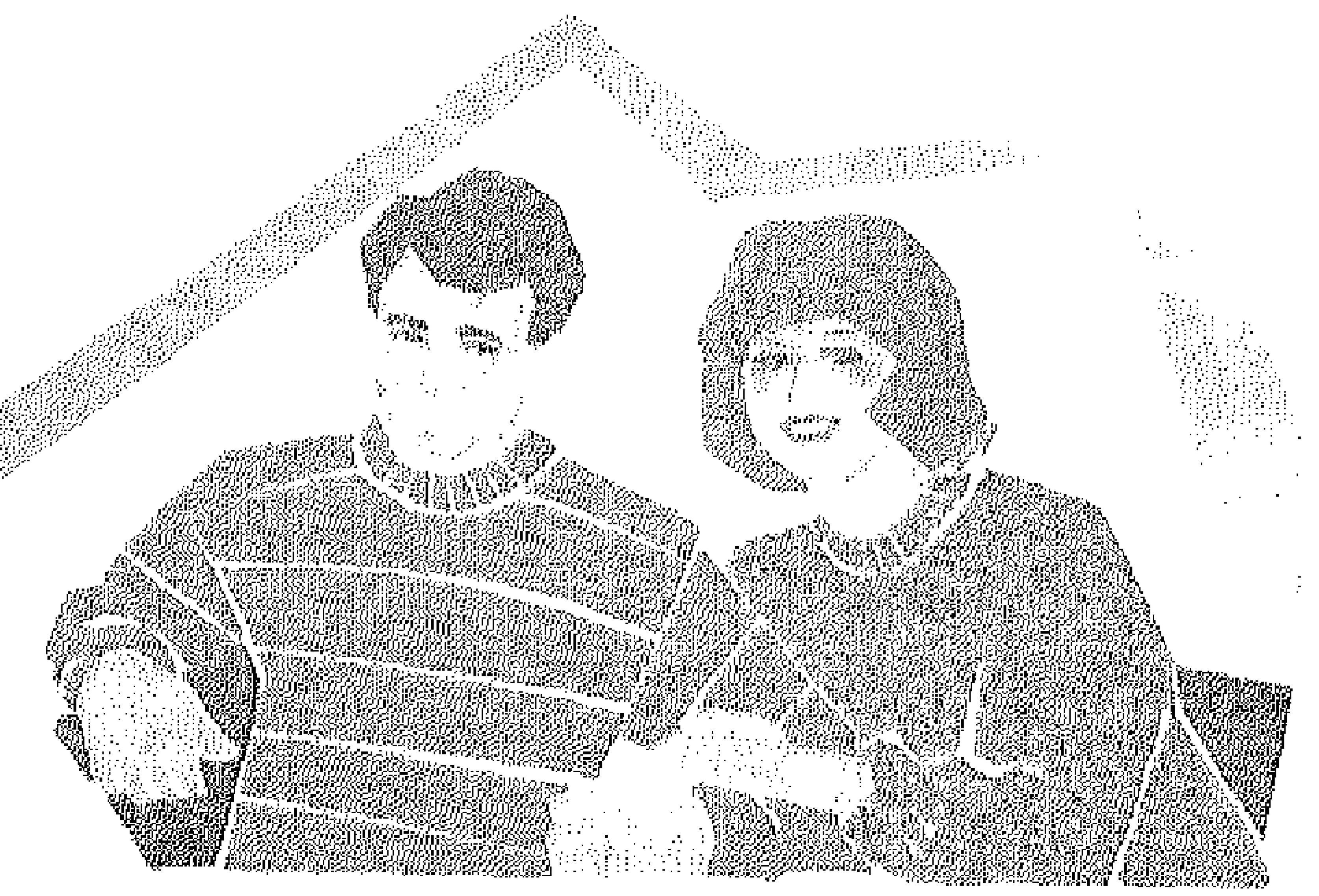
يحب دون وصف الزواج بأنه علاقة ثلاثية بين "الأنا" و"الأنت" و"النحن" التي تشبه حساباً مصرفياً. وهو يقول: "فلئن بدأت، مثل سو غوردون، تودع المزيد حساب النحن، فسيعمد الشريك الى مجاراتك."

الخطوة الثانية: أجريا "جردة" شخصية بحسناتكما وسيئاتكما. فهذه التجربة لا بد ان تساعدكما في تحديد الصفات السلبية، وبالتالي السلوك السلبي الذي يقتضي التغيير. كما تشجعكما رؤية الصفات الايجابية على عدم المبالغة في نقد الذات.

بعد زواج دام أربع سنوات، جزعت آن برمنغهام وزوجها جيم من مظاهر التوتر التي عصفت بعلاقتهما. فكلاهما يعمل، وقد عاشا زواجاً سعيداً حتى ولادة طفلهما الأول.

وكان الزوجان اتفقا على أن تمكث آن في المنزل للعناية بالطفل، لكنهما لم يعملا حساباً للنتائج. فقد أرهق جيم نفسه في العمل لكسب مال يكفي للاستمرار في نمط حياتهما. وشعرت آن بأنها تضحي بمواهبها لخدمة زوج غائب وطفل متطلب. فساد الخلاف بينهما.

لكنهما حين أجريا جردة ذاتية تغيرت مفاهيمهما. يقول جيم: "وجدت نفسي أعود الى البيت متأخراً وأسأل آن عن حالها، وقبل أن تردّ أنهمك في مكالمات هاتفية. فكان جوابي عن السؤال الذي



طرحه دون: إنه لأمر مريع أن تكون آن متزوجة بي!"

رأت آن نفسها تتحول امرأة سليطة. وحين وضعت سؤال دون نصب عينيها بدأت تسمع كلماتها الاولى لدى وصول جيم الى المنزل: "آه، لقد آن لك أن تأتي!" أو قولها حين يكالمها هاتفياً ليبلغها عن تأخره: "الليلة أيضاً؟ لا! حين تأتي حضر العشاء بنفسك." لا عجب، إذاً، أن ينغمس جيم في العمل، فالعودة الى البيت لم تعد باعثاً على السرور.

الخطوة الثالثة: تشاركا في بذل الجهد من أجل التحسين. ولأن هذا الأمر يتطلب توجيه أصبع الاتهام الى الذات بدل وضع اللوم على الشريك، فهو يخلق جواً يتيح النقاش المنطقي بدل الشجار. حين اقتنع جيم وآن بأنهما متساويان في الملامة على التوتر الحاصل في علاقتهما، بات في وسع آن أن تقول لزوجها: "كنت غاضبة منك لأني لم أستطع معالجة الاحباط الذي ألم بي." كما بات في وسع جيم أن يجيب: "أفهم شعورك. فأنت تقومين بعمل رائع، لكن الأطفال لا يحسنون الاطراء."

الخطوة الرابعة: تصرفا عملا بمفهومكما الجديد. وهذه خطوة بالغة الأهمية لأن أي عمل، مهما يكن صغيراً، يؤثر كثيراً عندما يستند الى التفهم البنّاء لوجهة نظر الشريك. ابدآا بسلوك سيىء تستطيعان ابداله بيسر. ثم انتقلا الى أمور تجدانها اكثر صعوبة.

ذات مساء رفض ستان غوردون مرافقة زوجته الى سهرة عائلية بسبب ضغط العمل. وتتذكر سو: "آلمني ذلك كثيراً. شعرت بالخذلان والغضب. وكنت سابقاً أغرق في البكاء أو أتطاير غضباً. لكني بدل ذلك تساءلت: ترى، كيف هي حال من تزوجني؟ وحين وضعت نفسي في موضع ستان سمعتني أقول: لا بأس. سأذهب وحدي."

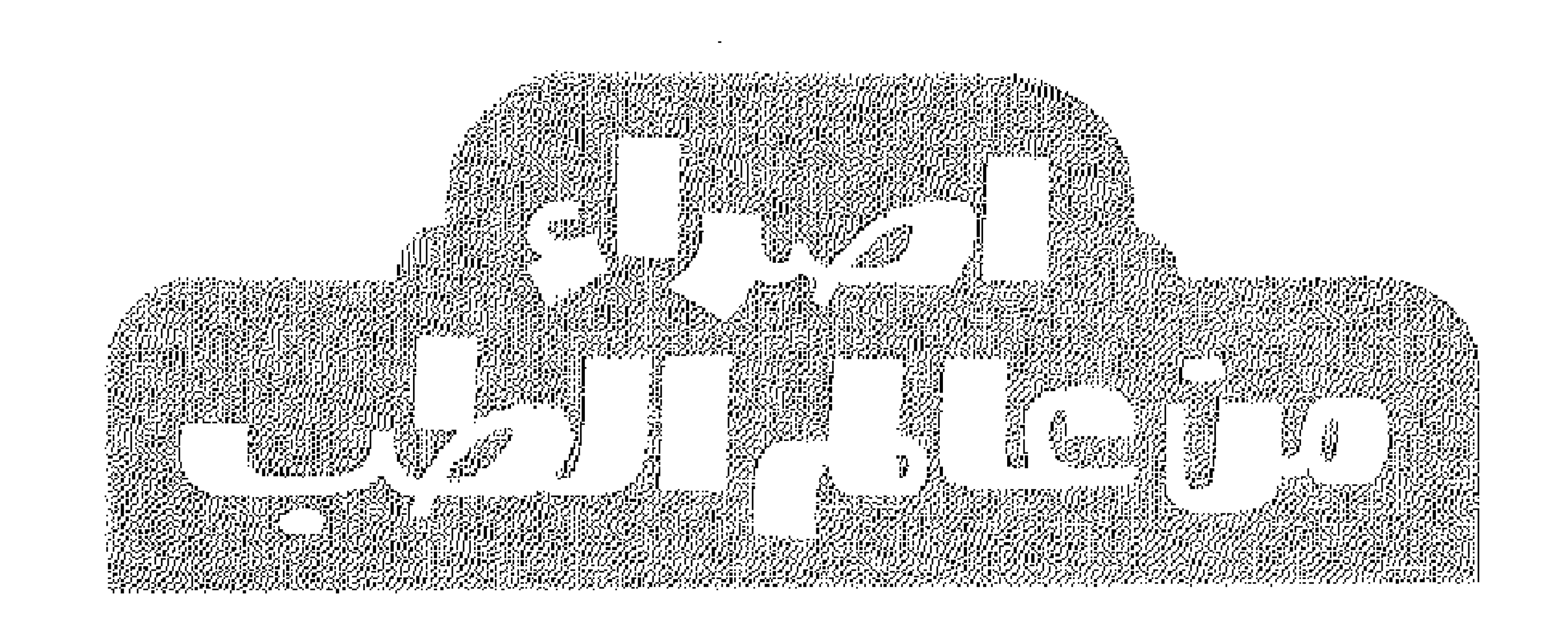
وإذ عرف ستان كم عنت تلك المناسبة لزوجته، وعدها بالاتصال هاتفياً ومكالمة جميع أفراد العائلة.

ومنذ تلك اللحظة توقف الزوجان غوردون عن التفكير في أن زواجهما بات في حكم المنتهي. وكلما حاول أحدهما رؤية الأمور من منظار الآخر انبعث الحب الكامن في علاقتهما.

ساموئيل أ. شراينر الابن ■

لا تستأ إذا دعاك أحدهم لئيماً، بل استأ اذا كنت حقاً لئيماً.

مثل اسباني



سماعات الـ"ستيريو" تسبب الطرش

■ أظهرت دراسات حديثة أن مستويات الصوت الصادر عن أجهزة الستيريو المزودة سماعات للرأس يمكن أن تصل الى ١١٥ دسيبل* أو أكثر، أي ما يعادل الصوت الذي تستقبله أذنا شخص يقف على بعد ثلاثين متراً من طائرة نفاثة عند اقلاعها. وقد ينتج من هذا المستوى من الضجيج ضرر دائم يلحق بالسمع وقد يظهر بعد ١٥ دقيقة فقط. وكلما بكّر ولد في استعمال سماعتي الرأس، ازداد الضرر المتراكم. فالضجيج العالي يتسبب في فقدان السمع اذ يقتل خلايا شعرية لا تعوَّض في الأذن الداخلية. وهذا ما يحدث على نحو طبيعي وبطيء مع التقدم في العمر، لكن الضجيج يعجِّل الضرر.

ويحدث فقدان السمع الناتج من الضجيج تدرجاً، ويترسّخ قبل اكتشافه. والضرر الناجم قد لا يظهر الا في مرحلة متقدمة من العمر. وبما أن الأجهزة المزودة سماعات للرأس هي للاستعمال الخاص، فالوالدون لا يتنبهون عادة الى ارتفاع صوت الموسيقى التي يستمع اليها أولادهم. وكقاعدة عامة، يتفق العلماء على أن الصوت الصادر عن سماعتي الرأس والذي يسمعه المارّ بقرب صاحبهما (نحو ١٠٠ دسيبل) يمكن أن يتسبب في ضرر اذا ما استعملت السماعتان أكثر من ساعتين في اليوم.

(*) الدسيبل عشر الـ"بل"، وهو وحدة قياس لمنسوب القدرة الصوتية

والوقت المسموح به يقلّ بنسبة النصف مع كل خمسة دسيبل اضافية مثلا: اذا بلغ مستوى الصوت ١٠٥ دسيبل، انخفض الحد الاقصى للوقت المسموح به الى ساعة واحدة. ومهما بلغ عمرك، فالصوت خطر اذا آلم أذنيك أو جعلهما يطنان أو أجبرك على الصراخ لكي يسمعك الآخرون.

صحيفة "لوس انجلس تايمز"

وقاية من سرطان الرحم

■ النساء اللواتي يمكثن ثلاث سنوات أو أكثر بين فحص مجهري للمسحة[1] وآخر، يعرِّضن أنفسهن أكثر لخطر الاصابة بسرطان عنق الرحم. هذا ما أظهرته دراسة جديدة.

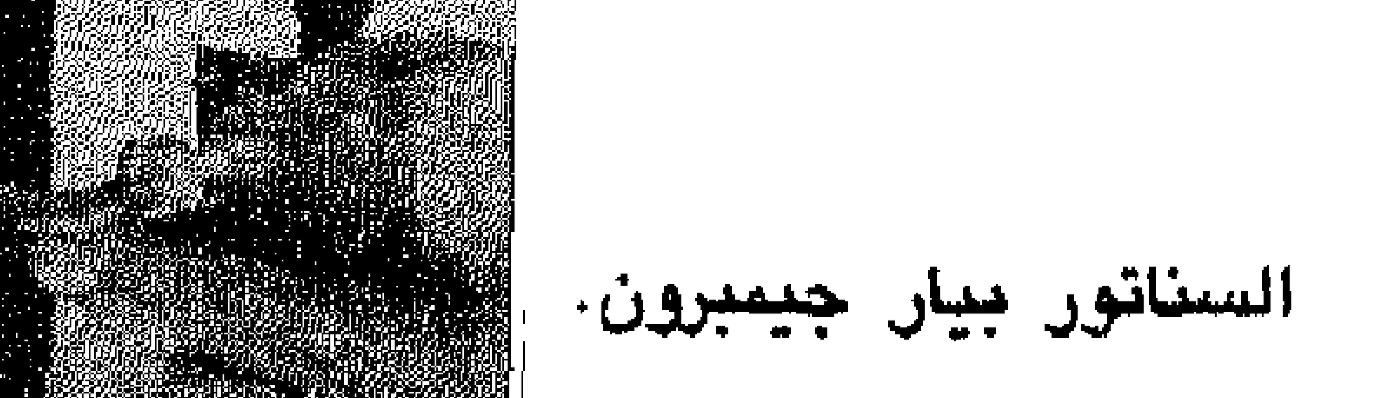
الفحص المجهري للمسحة يتحرّى تغيرات في الخلايا قد تؤدي الى سرطان عنق الرحم اذا لم تعالج، وهو بالتالي يتيح التدخل المبكر لايقاف المرض. وتظهر الدراسة التي نشرت في مجلة "التوليد والأمراض النسائية"[2] أن نسبة الاصابة بسرطان عنق الرحم لدى اللواتي يجرين فحوصاً مجهرية للمسحة كل ثلاث سنوات هي ٣،٩ مرات أكثر منها لدى اللواتي يجرين هذا الفحص كل سنة أو سنتين. أما اللواتي يمكثن عشر سنين أو أكثر بين الفحص والآخر فيزداد خطر اصابتهن بهذا السرطان ١٢،٣ ضعفاً.

"اسوشييتد برس"

(١) Pap-smear test
(٢) Obstetrics & Gynecology

تحف يفوح منها البنّ

قطع فنية تحكي تاريخ القهوة من عصر حجار الرحى الى عصر الـ"مولينكس" وأجملها لبنانية من القرن الثامن عشر




السناتور بيار جيمبرون.

بدأت هواية السناتور بيار جيمبرون قبل ٢٥ سنة في شارع فرنوي بباريس. يقول: "استرعت انتباهي واجهة محل لبيع التحف، فتوقفت عندها أحدق الى مطحنة بن هي أروع ما شاهدته في حياتي. كانت النقوش الخشبية تزينها من كل جانب. فاشتريتها. ولم يخطر ببالي أنها ستكون الأولى بين كثيرات."

ويمثل السناتور جيمبرون منطقة الجورا الفرنسية منذ ١٥ عاماً. وهو يملك نحو ١٣٥٠ مطحنة بن من كل شكل وحقبة، تراوح بين الخشب والحديد والبورسلين والحجر. فبعد سنوات من التردد على محال بيع التحف والبحث الحثيث في أسواق العاديات حول العالم، جمع طائفة مطاحن البن، الى خزنة لا تضاهى من المعارف والتقاليد المتعلقة بالقهوة.

أما أندر ما في مجموعته فحجيرة أسطوانية غريبة الشكل تنفتح كاشفة ثلاثة نصال فولاذ، وهي "مطحنة خنجرية" يروى أن نابوليون بونابرت كان صاحبها. يقول السناتور: "يوحي شكلها الشرقي أنها جُلبت خلال حملة نابوليون المصرية. وقد تُركت في ساحة واترلو حيث عثر عليها ضابط بريطاني وباعتها

PHOTOS: F. TALMON



وجدها ضابط
بريطاني وبيعت
لاحقاً من تاجر
تحف بلجيكي في
مونس. اشتراها
السناتور جيمبرون
من هاوٍ فرنسي.

"مطحنة نابوليون
الخنجرية" التي
تُركت في ساح
معركة واترلو.
وتظهر مفتوحة
ومقفلة

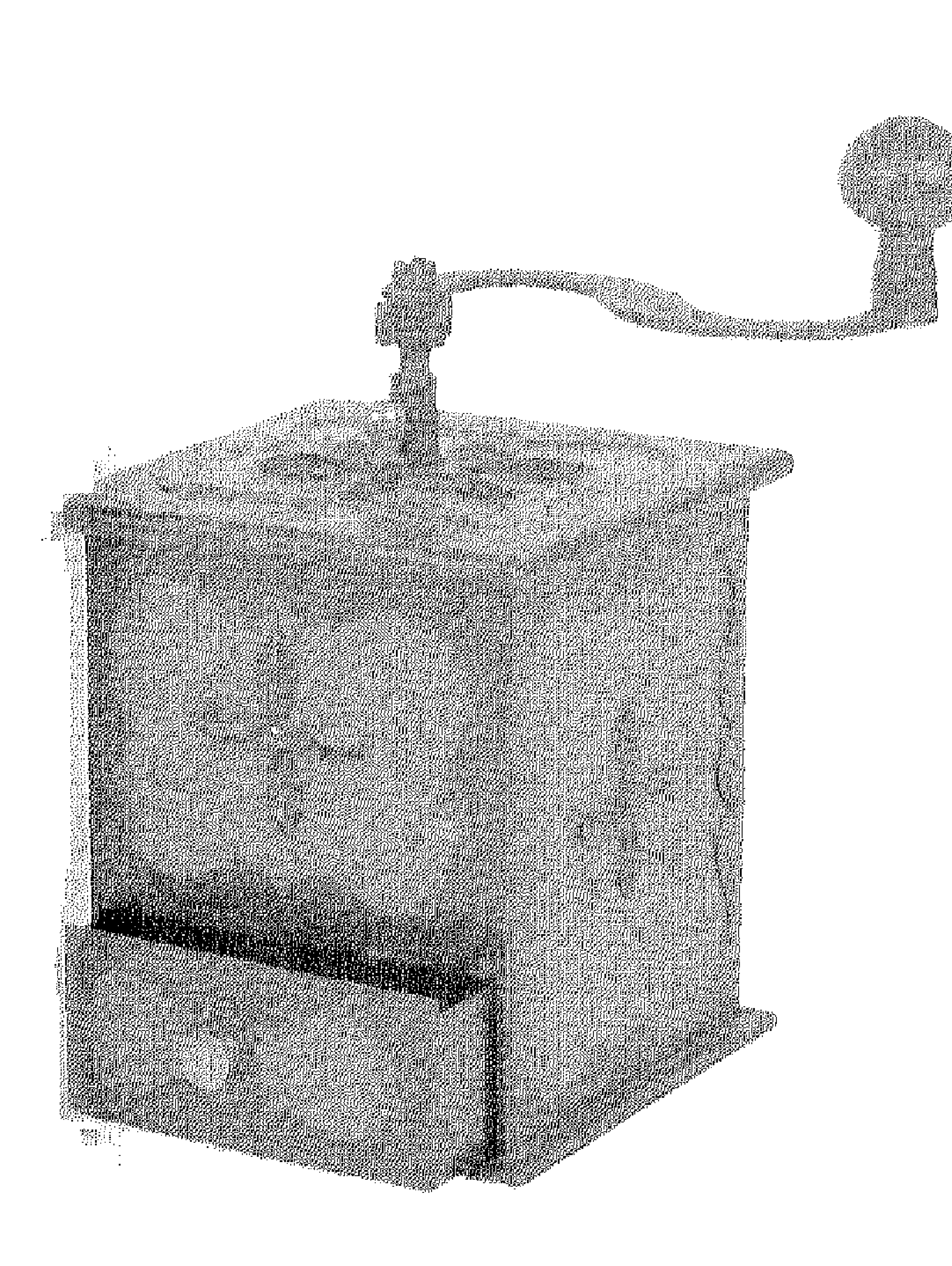
مطحنة سويسرية - المانية
من النحاس يعود تاريخها
الى العام ١٨٥٠
وعلى جوانبها نقوش
تروي قصصاً رمزية
من منطقة الراين.

عائلته الى تاجر تحف بلجيكي. أما أنا فاشتريتها من أحد الهواة الفرنسيين قبل خمس سنوات."

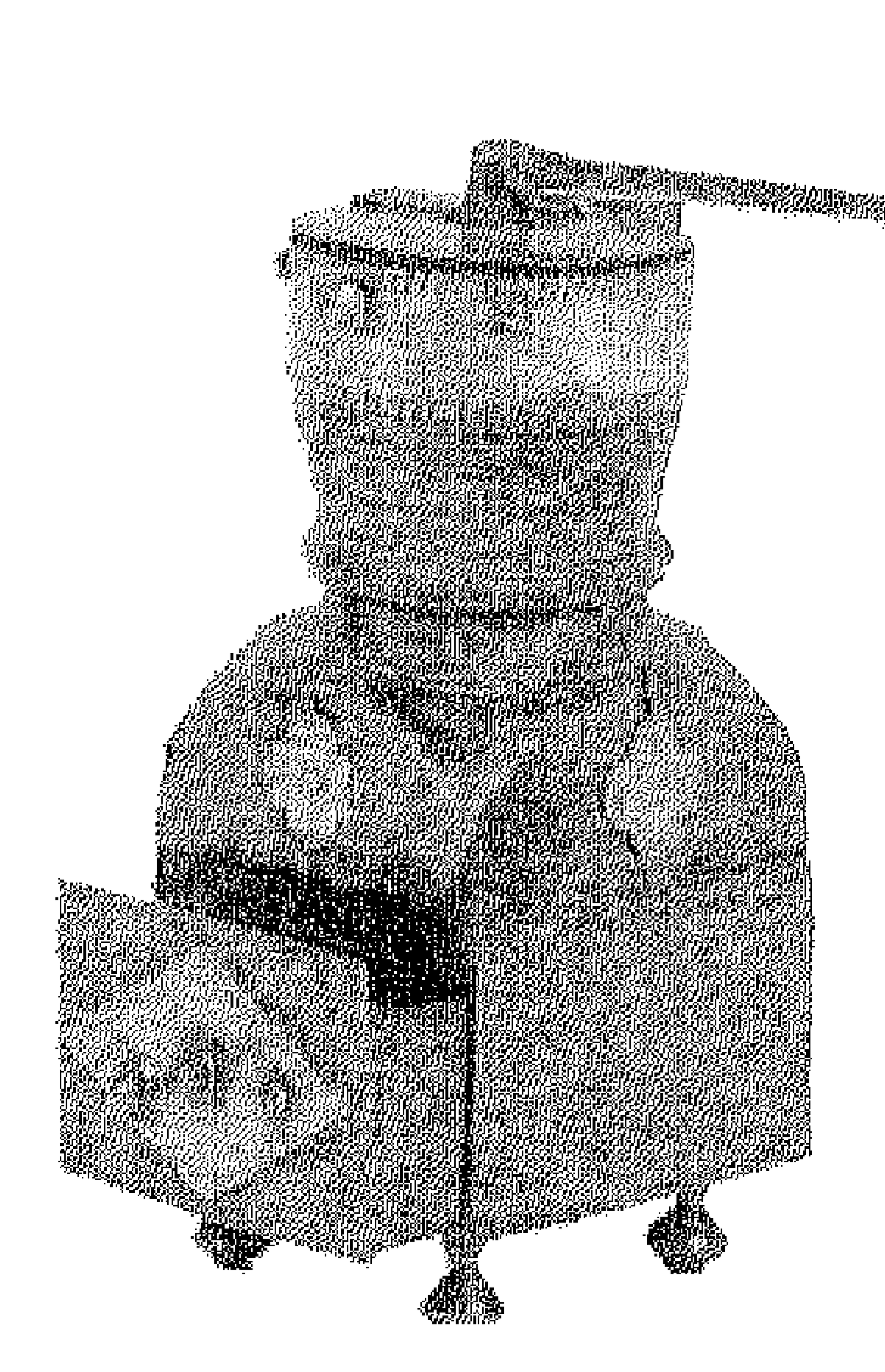
وجد جيمبرون أقدم تحفه في أنقره بتركيا. وهي ليست مطحنة بن عادية، بل أداة تتألف من حجري رحى ثقيلين يدور واحدها على الآخر لطحن الحبوب. ويعترف السناتور بأنه لم يستطع تقدير زمنها. أما كنزه الأحب الى قلبه فمطحنة لبنانية من القرن الثامن عشر صنعت في بيروت وبيعت في قاعة للمزاد في باريس.

معظم تحف جيمبرون صُنعت بعد أواخر القرن السابع عشر عندما ظهرت القهوة للمرة الاولى في أوروبا. وسرعان ما أصبحت هذه السلعة النادرة والمكلفة موضع تفاخر الأغنياء والنبلاء. يقول السناتور: "استُعملت الهواوين الصغيرة ومطاحن الافاويه أول الامر. ثم صنعت مطاحن صغيرة جداً قُصرت على طحن البن. وفي زمن لويس الرابع عشر كانت المطاحن مربعة ومصنوعة من الحديد ومثبتة ببراغي الى جانب طاولة. ولم تتخذ شكلا قريباً من المألوف اليوم الا في عهد لويس الخامس عشر."

وفي القرن الثامن عشر تطورت أشكال مطاحن البن بعدما أخذ الحرفيون في أوروبا يتنافسون في ابتكار التصاميم. وهذا ما حدا "مدام دو بومبادور" كما جاء في الروايات، على تكليف صائغ صنع مطحنة بن ذهبية مستعملا ألوانا متفاوتة تُظهر أغصان شجيرة بن. وفي تلك الاثناء اكتشفت فضائل الخشب الذي يتشرب مع الوقت رائحة البن المطحون



مطحنة من القرن التاسع عشر مصنوعة من خشب الزان وعلى جوانبها زخارف.



مطحنة فرنسية من
بداية القرن الثامن عشر
سميت "مطحنة لويس
الرابع عشر". استُعملت
مطحنة بن وأفاويه في
آن.



مطحنة من العهد
الامبراطوري مصنوعة من
خشب الماهوغاني
ولها قاعدة
وزخارف عاجية



معظم مطاحن البن
مربعة أو اسطوانية.
هنا نموذج
مثمن الزوايا والأضلاع.
وهو مصنوع من خشب
الماهوغاني وقشور الزان،
ويعود الى أوائل القرن
التاسع عشر.

مطحنة تركية
مصنوعة من خشب الجوز،
لها انبوب تصريف نحاسي
وعليها اشكال هندسية مطعَّمة
بالقرون وعرق اللؤلؤ.

ويُغني طعم القهوة. واستُعمل النحاس المطروق مع الخشب في صنع مطاحن البن في شمال هولندا.

وعندما شاع البن بين عامة الناس، دخلت المطاحن كل منزل. وفي القرن التاسع عشر، كبرت أحجام المطاحن المصنوعة غالباً من خشب السنديان أو الكرز، وباتت تستعمل وهي موضوعة بين الركبتين. وظهرت في فرنسا عام ١٨٥٠ أولى مطاحن "بيجو"(*) الشهيرة التي أنتج منها ملايين القطع خلال نصف القرن التالي. ثم اخترعت المطاحن الجدارية بعيد الحرب العالمية الأولى، وبعدها المطاحن الكهربائية. وفي العام ١٩٥٠ بدأ عصر المطاحن النحاسية.

وتروي مجموعة السناتور تاريخ القهوة من حجار الرحى القديمة في أنقره الى مطاحن "مولينكس" الحديثة، مروراً بالنماذج البدائية التي أنتجها صُنّاع الحديد في القرن السابع عشر، ومبتكرات صاغة القرن الثامن عشر، وبدائع البورسلين في القرن التاسع عشر الموشاة باللون الأزرق، وبعض نماذج القرن العشرين الجدارية المزينة بشعارات النبالة الملونة.

يقول جيمبرون: "لم ينتهِ بحثي بعد. فحين أسافر أعلن في الصحف سائلاً المهتمين ببيع قطع قديمة أن يوافوني الى فندقي كي أراها. وما زلت أطوف أسواق السلع المستعملة حول العالم."

باتريس بورنا ■

(*) Peugeot



فلاحون تقليديون

خلال رحلة قامت بها والدتي الى جزر الهند الغربية، سافرت في حافلة عبر منطقة ريفية في ترينيداد. وبعدما أنعمت النظر في الحقول الواسعة المحروثة لاحظت أنها لم تر اي آلة زراعية. فاستغربت الأمر والتفتت الى مواطن ترينيدادي كان يجلس الى جانبها وسألته: "هل تفلحون هذه الاراضي كلها بالايدي؟"

فأجابها: "كلا يا سيدتي، فنحن نستعمل المعاول."

صلعة أستاذ

كان احد تلاميذي يمشط شعره باستمرار خلال الدرس. وكنت فقدت معظم شعري، فقررت استهداف خيلاء المراهقة لديه لتغيير تصرفه. فقلت له ببساطة إنني أنا أيضاً كنت امشط شعري باستمرار. ومن نظرة الذعر على وجهه عرفت انني اصبت الهدف. ومنذ ذلك الحين لم أر المشط في يده.

ج.ك.

رحلة فتى إلى عالم الضياع

الستيرويدات

أدمن الفتى عقاقير الـ"ستيرويد" ليصبح بطلاً فتحول حلمه الكبير كابوساً مريعاً

بدا المنظر مقززاً في عيني آرون هنري البالغ من العمر ١٢ عاما: قوارير فارغة ومحاقن مستعملة مرمية في سلال القمامة في قاعة الرياضة. وكان آرون ترعرع وسط عائلة متماسكة تقطن في أحد أحياء الطبقة الوسطى في بلدة سانت تشارلز بولاية ميسوري. ولطالما حلم أن يصبح نجماً في لعبة كرة القدم.

واستحوذت على خياله رغبة بلوغ بنية قوية. فبدأ وهو في الثانية عشرة من عمره يمارس رفع الأثقال في منزله، ثم انضم الى النادي المحلي حيث أكب على التمرن أربعة أيام في الأسبوع. وهناك سمع أن كريغ، أحد أبرز رافعي الأثقال في النادي، كان رقيق العود ضعيف البنية وهو في المدرسة الثانوية. فسأل آرون رفقاءه أين يمكنه الحصول على بعض من الاكسير السحري الذي استعمله كريغ: الستيرويدات الابتنائية.[1]

ولما علم آرون أن كريغ يتولى توزيع هذه المادة، اتصل به. لكن كريغ هز رأسه رافضا، وقال: "أنت صغير جداً." فألحّ آرون مؤكداً أن جل ما يريده هو قليل يساعده في تمريناته الهادفة الى تقوية عضلاته بحيث لا يتجاوز "دورتين" تستغرق كل منهما شهرين. و"الدورة"

(١) Anabolic steroids. والستيرويد مركب شحمي شبيه بالكولسترول

© WHITNEY LANE

قارورة من ١٠ سنتيمترات مكعبة من الستيرويد تُعطى بمقدار سنتيمتر مكعب واحد كل مرة على مدى شهرين.)

وافق كريغ، وبدأ آرون بقارورتين من "إستر التستوستيرون"[٢] وهو مركب مشتق من هرمون التستوستيرون الذكري الصافي الذي تفرزه الخصيتان. وكان هذا المقدار كافياً لدورة واحدة يتولى خلالها رافع أثقال آخر حقن المادة في عمق العضل في أعلى الردفين. ومع الوقت تعلم آرون كيف يحقن نفسه بابرة طولها أربعة سنتيمترات. ودفع آرون ٢٠ دولارا ثمن القارورة الواحدة.

تحقن المركبات الاصطناعية الشبيهة بالتستوستيرون والمعروفة بالستيرويدات الابتنائية، فتنتقل الى خلايا العضلات حيث تنشط الجينات في انتاج البروتيين، العنصر الاساسي في العضل. بيد أن من يتناول الستيرويدات خلال سنوات نموه يعرض نفسه لتأثيرات جانبية خطرة منها تدني نسبة إنتاج الهرمونات الذكرية الطبيعية وتبدل دائم في نمط النمو. ويسبب الستيرويد لمتعاطيه الأكبر سناً محاذير صحية بينها مرض القلب والسرطان وتضرر الكبد والعجز الجنسي والعدوانية والكآبة المزمنة.

وفي تقرير أوردته "مجلة الجمعية الطبية الامريكية" أن نحو نصف مليون أمريكي يتعاطون، أو تعاطوا، الستيرويدات. وقد بدأ ثلثهم تعاطيها في السن الخامسة عشرة. وعلى رغم المخاطر، يُقلِّد كثير من المراهقين نجوم الرياضة الذين يتعاطون الستيرويدات.

وحتى عندما انتُزعت الميدالية الاولمبية من بن جونسون بعد إنكشاف أمره في فحص مخبريّ، اجري في نطاق الاولمبياد الاخير الذي جرى في كوريا عام ١٩٨٨، ترك الأمر انطباعاً واحداً هو أن النجوم يتعاطون الستيرويد.

نجم رياضي. سُرَّ آرون لنتائج دورة الحقن الأولى، اذ وجد نفسه بعد أسبوعين فقط قادراً على رفع أثقال زاد وزنها ١٠ كيلوغرامات على ما كان يرفع سابقا، كما زاد كيلوغرامين ونصف كيلوغرام وقامته البالغة ١٦٨ سنتيمتراً. وهذا تبدل مدهش يتطلب عادة أشهراً من التمرين الطبيعي.

وما إن انقضت دورة الحقن الأولى حتى أحس آرون بقدراته المكتسبة تتضاءل خلال أسابيع. اذذاك لم يرَ بدأ من دورة ثانية تناولت هذه المرة، أضافة الى إستر التستوستيرون، جرعات من الستيرويد "ميثاندروستينولون"[٣] من طريق الفم، متجاهلا أعراضاً جانبية طفيفة تضمنت اصابته بالأرق وبحدة طبع غريبة.

وعندما التحق بمدرسة دوشين الثانوية ازدادت لديه أهمية البروز رياضياً بعدما ألم به شعور بعدم الارتياح لما شاهده من تحلُّق التلاميذ في زمر متنافسة. لذا بات التفوق أكثر من حلم يحققه، انه يتعلق بتحقيق ذاته، وهو ضمان لا غنى عنه لقبوله بين أترابه.

(٢) Testosterone ester والاستر ملح كحولي.
(٣) Methandrostenolone

وكان كلما ازداد اهتماما بالتفوق الرياضي ازداد رغبة في تنمية عضلاته.

وكان آرون بات متمرسا في تعاطي الستيرويدات بعدما أكمل ثلاث دورات من الحقن فاقت كل منها سابقتها. وعندما امتنع موزعه عن مده بالمزيد وجد موزعاً آخر. وحين وضعه مدرب كرة القدم في خط الدفاع لفريق السنة الجامعية الاولى، قال لزملائه: "أحب تهشيم الناس." وكان يعني ما يقول.

ولم يكن نقله الى غرفة الطوارىء في أحد المستشفيات سوى واحد في سلسلة. فكما علم لاحقاً، كان وزنه يفوق طاقة هيكله العظمي. وكان يعاني أوجاعاً دائمة في كتفيه ومرفقيه ومفاصله، إضافة الى التهاب الاوتار العضلية. كما أصيب مراراً، وهو يرفع الاثقال، بنزف أنفي نجم عن ارتفاع ضغط الدم.

لم يُهزم فريق دوشين لكرة القدم في ذلك الموسم. ويعود كثير من الفضل في ذلك الى آرون الذي تابع دورات الحقن بالستيرويدات، يلجأ اليها شهرين ويتوقف عنها شهرين. وهو وجد نفسه قادراً على زيادة الأثقال التي يرفعها بما يراوح بين ٢٣ و٣٥ كيلوغراماً، علما ان ذلك كان يتم ضمن دورة الحقن لا خلال انقطاعه عنها. وبلغ وزنه ٧٩ كيلوغراماً وطوله ١٧٠ سنتيمتراً.

موت حلم. ما ان حل فصل الصيف حتى بدأ آرون يسرق ليمول عادته المكلفة. فكان يسرق اغراضاً من المتاجر وهو يتظاهر بالشراء، ويبيع ما طاولته يداه من أشرطة موسيقى وقطع غيار ومعدات تصوير.

وفي السنة الثانوية الثانية ضُمَّ الى منتخب المدرسة لكرة القدم، لكنه حلّ ثالثاً بعد اثنين من طلاب السنة الرابعة. ولما لم يستطع تقبل نكسته، انسحب من الفريق مجهضاً الحلم الأحب الى قلبه.

ما إن خسر آرون المتنفّس الذي وفرته له كرة القدم حتى تفاقمت مشاكله الناجمة عن الستيرويد. وذات يوم عاد الى البيت ليجد امه تحضر الطعام. سألته ببساطة: "كيف كان يومك؟" فأجابها بكلام بذيء مفعم بالغضب.

وعندما استدارت أمه لتواجهه دُهشت لما رأت في عينيه من حقد، فنبهته: "إياك أن تستعمل هذه اللغة معي."

إذذاك خرج آرون من المطبخ ساخطاً. ولم يلبث أن عاد واعتذر.

أملت سالي أن يكون الحادث عرضياً وأن شيئاً ما أثار غضب ابنها. إلا أن ما حصل كان غريباً جداً ولا يمكن نسيانه. وهي سألت آرون غير مرة: "إنك تتعاطى المخدرات، أليس كذلك؟"

فكان يجيبها ناظراً الى عينيها مباشرة: "كلا يا أماه."

خرجت هذه الكلمات من فم ابن تحبه، ولكن صعب عليها ان تصدقها. وخطر لها ولزوجها دون أن ابنهما تعس ويتعاطى الكحول. وحين تقهقرت علاماته المدرسية رتّبا له مقابلة مع طبيب نفساني.

معشر السوء. في هذه الأثناء كثرت المشاجرات بين آرون وأصحابه، حتى انه

لم يتوانَ مرة عن صفع فتاة. ونفر من سلوكه اصدقاء كثر، فأبدلهم بشلّة أكثر عنفاً ومرحاً.

وذات يوم تحداه واحد من شلته الجديدة أن يقاتل روكي، وهو طالب شرس من مدرسة أخرى. فما كان من آرون الا ان طرح روكي أرضا فاقداً الوعي وراح يسدد لكمات الى وجهه، ولم يتوقف حتى أبعده أصحابه عنه بالقوة.

بات آرون يعيش في اضطراب دائم تتنازعه مشاعر الغضب والكآبة. وكان كلما غمره اليأس يلجأ الى الامفيتامينات[٤] طالباً الراحة.

في السنة الثانوية الرابعة قرر آرون العودة الى مزاولة كرة القدم. وتوخياً لأداء مميز تناول مزيجاً بيطريا يدعى "ستانوزولول"[٥] وهو عقار يعطى لخيول السباق لتقويتها. وظن أن ذلك سيجنبه تمزق عضلات مرفقيه ومعصميه الذي ابتلي به في الماضي.

تناول الحقنة الأولى يوم الاثنين، والثانية يوم الاربعاء. ويوم الخميس انهار ونقل الى المستشفى حيث أجريت له الجمعة جراحة بسيطة في التجاويف الأنفية. وبعد ١١ يوماً عاد الى الملعب.

همس غامض. أحرز فريق دوشين - ونجمه آرون - نجاحا لفت الصحافة. بيد أن انتصار آرون كان مشوباً بأقاويل تحدثت عن "دعم" مكنه من إنماء بنيته التي لا تقهر، وعن ضخامته "غير الطبيعية" اذ بلغ وزنه ٩٧ كيلوغراماً في قامة بلغ طولها ١٧٤ سنتيمتراً. وقد استشاطت عائلته غضباً لمغزى هذا الكلام.

أدرك آرون انه يحطم نفسه. وكثيراً ما كان يتفّ دماً. ولم تعد الامفيتامينات اليومية تمحو كآبته وانحطاطه.

ولشدة حاجته الى "خلاص"، عمد قبل يومين من عيد الميلاد عام ١٩٨٣ الى ابتلاع محتوى زجاجة من أقراص الـ"فاليوم"، ثم ذهب الى غرفته في الطبقة السفلى من المنزل حيث تمدد على فراشه معتقداً أنه لن يستيقظ أبداً. لكنه استيقظ بعد حين على همس غامض في أذنه: "لا تمت يا آرون!"

ولم تمضِ لحظات حتى نهض من فراشه وارتقى السلم مترنحا وهتف لاهثا: "أمي، أبي، لقد تناولت كمية مفرطة من الأقراص المهدئة."

وفي المستشفى نظفت معدة آرون. ومع ذلك لم يشك والده في امكان تعاطيه الستيرويدات أو عقاقير اخرى.

وذات ليلة من يناير (كانون الثاني) صعدت أخته أمبر عدواً من غرفته وهي تبكي ويدها على خدها. لقد صفعها آرون. وبعد برهة لحق بها فقالت له: "أحبك كأخ، لكني أكره ما صرت اليه."

وبعد أسبوعين اعترف آرون لأخته: انى في حاجة الى مساعدة."

سألته: "كنت تتعاطى المخدرات، أليس كذلك؟"

قال: "نعم." ثم أخبرها عن الستيرويدات والأمفيتامينات.

---

(٤) Amphetamines . وهي مخدرات منشطة.
(٥) Stanozolol

فقالت: "عليك إخبار أمي وأبي."
نزل الخبر كالصاعقة على العائلة، لكن اعتراف آرون كان باب فرج. لقد بات في مقدور العائلة طلب المساعدة. وسرعان ما أدخل آرون المستشفى للمعالجة النفسانية.

شفاء ورسالة. أظهرت الفحوص الطبية أضرارا في الكبد والكليتين وقرحة في المعدة. فأنذر الطبيب آرون: "إن لم تقلع عن هذه العقاقير، الآن، فسوف تموت."

وفي جناح المرضى النفسانيين انحرف آرون الى جموح خطر وكان كلما زاره والداه يشتمهما وينهرهما بكلام غير مترابط منطقيا. وعندما يغادرانه ينسى أنهما زاراه ويغضب عليهما.

وتحسنت حال آرون تدريجاً. وبعد ستة أسابيع سُرِّح من المستشفى على أن يتابع العلاج. غير أن كفاحه الطويل مع الستيرويدات والأمفيتامينات والكحول ترك آثاراً دائمة، اذ بات وجهه متجهما تعباً، وسقط بعض شعره وبدا أكبر من عمره. وبسبب الوهن الذي أصاب جهاز المناعة في جسمه بات دائم التعرض للزكام والانفلونزا.

عاد آرون الى المدرسة حيث ساعده بعض أساتذته في التحصيل. لكنه لم يحتمل نظرات رفقائه الفضولية. فتابع دراسته بالمراسلة، وتخرج، والتحق بمجموعة ارشادية تسدي النصح الى المراهقين.

وكان نشاطه هذا نقطة تحول في حياته، اذ اكتشف أنه مستمع جيد وماهر في تفهم الأمور وانتقاء الكلام المناسب في الوقت المناسب. وسرعان ما خصص معظم أوقات فراغه لمساعدة المراهقين على الشفاء من ادمانهم. وكان يقدم نفسه مثلا حيا وبرهانا على أن العمل الجاد والايمان يذللان أصعب المشاكل. وهو حمل أمه على تأسيس مجموعة محلية لمساعدة المدمنين في اجتياز مرحلة التماثل.

حكاية تائب. بعد ثلاث سنوات من ترك آرون مدرسة دوشين حاملا وصمة عار، عاد اليها زائراً ليتحدث عن حقيقة ما جرى له وهو على مقاعد الدراسة. تحدث في ستة صفوف، وتطلع في كل منها الى المقاعد المألوفة حيث جلس نحو ٤٠ تلميذاً يرمقونه بفضول.

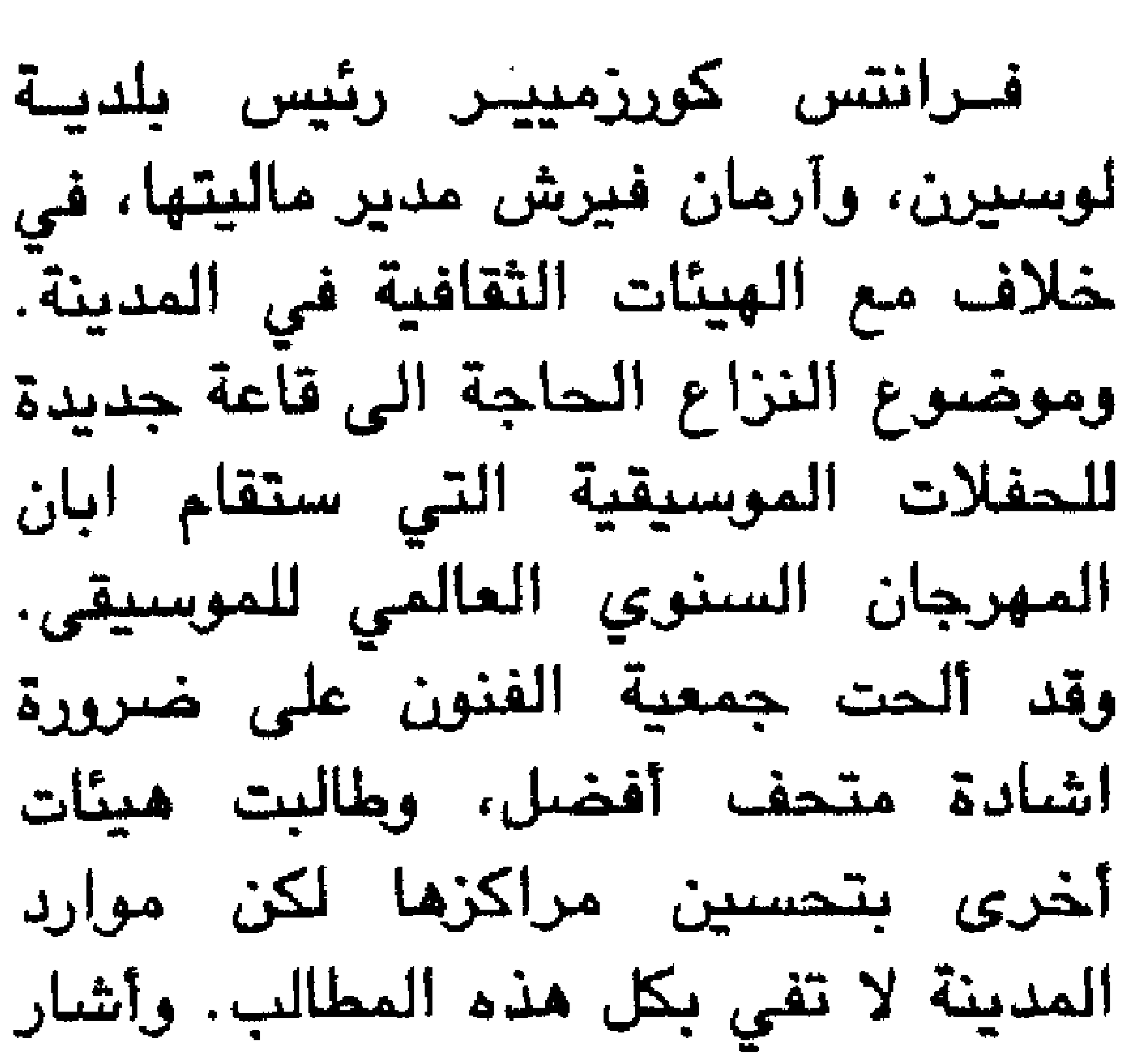
بدأ كلامه: "غرور فتيّ وأحلام كبيرة وستيرويدات، هذا مزيج بالغ الخطورة." ثم روى قصته كاملة، بدءاً بالأحلام وانتهاء بالكوابيس. قال: "تناولت الستيرويدات لأني لم أثق بذاتي. وتعلمت درساً قاسياً، أن المهم هو كيف تنظر أنت الى نفسك، لا كيف ينظر اليك الآخرون. فما يراه الآخرون فيك يزول، ويبقى ما يعتمل في نفسك ما حييت."

وعادت حياة آرون الى التماسك. وهو اليوم يعيش حياة اجتماعية غنية ومنتجة. ويقول: "لقد أعاد الله الي حياتي لحظة أردت التخلص منها. وأنا مدين لعزته الى آخر عمري."

ستيسي جانل سميث ■

لبناني حلّال مشاكل عالمي

لبناني في سويسرا تستشيره الحكومات والشركات العالمية وهو وراء ساعة "سواتش"



فرانتس كورزميير رئيس بلدية لوسيرن، وآرمان فيرش مدير ماليتها، في خلاف مع الهيئات الثقافية في المدينة. وموضوع النزاع الحاجة الى قاعة جديدة للحفلات الموسيقية التي ستقام ابان المهرجان السنوي العالمي للموسيقى. وقد ألحت جمعية الفنون على ضرورة اشادة متحف أفضل، وطالبت هيئات أخرى بتحسين مراكزها لكن موارد المدينة لا تفي بكل هذه المطالب. وأشار

أحدهم باستقدام مستشار متجرد يجتمع بالفرقاء المتنازعين ويستنبط حلا قابلا للتطبيق.

وهتف عمدة المدينة: "لنأتِ بأفضلهم. لنستدعِ الحايك."

ليس معهوداً أن يطلب من مستشار هندسي حلّ التضارب بين عشاق الموسيقى والفن والمسرح. لكن نقولا الحايك متميز عن سواه. إنه رجل ربع القامة له من العمر ٦١ عاماً، فوّار بالنشاط، ذو وجه عابث، يدير شركة "الحايك للهندسة"[١] في زوريخ بسويسرا. هذا المليونير العصامي أصبح حلال مشاكل كبار المديرين والحكومات والمنظمات الدولية. وقد التمست شركات ضخمة مشورته، ومنها "دايملر-بنز" و"داو كميكال" و"سيمنز" و"تايسن ستيل" و"فولكسفاغن" و"الفاروميو" و"الشركة السعودية للحديد والصلب." كما طلب منه الصينيون تخطيط صناعتهم المعدنية، وعهد اليه النيجيريون في بناء مصنع للفولاذ.

غير أن تخطيط المستقبل الثقافي لمدينة ما أمر لم يطرقه الحايك من قبل. بادىء الأمر قصد لوسيرن فريق من مساعدي الحايك خلال صيف ١٩٨٧ للاستماع الى جميع الآراء. وجمع أفراد الفريق الوقائع والارقام عن وزن كل هيئة ثقافية، بشرياً واقتصادياً. يقول الحايك عن أسلوبه: "اني أنتقد الاوضاع والوقائع والأرقام، ولا أتهجم على الناس. وأجادل طوال أسابيع من دون أن أؤذي مشاعر الاشخاص."

وبعد انجاز المهمة قدم الحايك في ٢١ مارس (آذار) ١٩٨٨ تقريراً من ٣٠٠ صفحة الى أعيان البلدة، منوهاً بالمكانة التي تحتلها لوسيرن ثقافياً وسياحياً. واقترح عليهم أن يعمدوا الى بناء مجمّع جديد للحفلات الموسيقية ومتحف للفنون، مقدراً الكلفة بمئتي مليون فرنك سويسري (١٥٠ مليون دولار). وهو سطر في تقريره ما يأتي: "أن الانفاق على شؤون الثقافة استثمار في الأيام المقبلات، كما أن وضع الخطط والمفاهيم الحكيمة والبعيدة النظر ضروري لصون نمط الحياة في المنطقة وطاقتها الاقتصادية الكامنة. لن تغفر لنا أجيال الغد إن اخفقنا اليوم في التصرف بإقدام وسعة خيال..."

وكان للتقرير وقع حسن لدى معظم الهيئات الثقافية.

حيث عجز الآخرون. ولد نقولا الحايك في بيروت في ١٩ فبراير (شباط) ١٩٢٨. وكان أبوه طبيب أسنان. وهو كشف منذ صباه الباكر نزعة استقلالية. فذات صباح مشمس والبحر المتوسط لألاء تحت حديقة المدرسة، سأل نقولا معلمه أن يعقد الصف في الهواء الطلق. لكن المعلم أبى. فما كان من نقولا الصغير إلا أن طلب من رفقائه حمل طاولاتهم ومقاعدهم وقادهم الى الحديقة، فتلاهم المعلم صاغراً.

درس الحايك الرياضيات والفيزياء والكيمياء في جامعة ليون. والتحق بعد تخرجه بشركة سويسرية لاعادة التأمين

(١) Hayek Engineering

في زوريخ. وتزوج بعد ١٨ شهراً سويسرية تدعى ماريان ميزغر. ولما مرض حموه حل مكانه في ادارة المصهر المعدني الذي تملكه الأسرة. وخلال أربع سنوات تدرب على الأعمال الهندسية.

كان مسعاه ذاك في نظره خائباً. ففي نفسه أن ينطلق في عمل خاص به، وأن يأتي بفكرة "جنونية" كل يوم من دون أن يقابل بالرفض. وقر رأيه عام ١٩٥٧ على العمل مستشاراً لشؤون الهندسة والتخطيط. فتدبر قرضا مصرفياً بـ٥٠٠٠ فرنك (٣٨٠٠ دولار) وفتح مكتبا صغيراً في زوريخ.

ما زاره أحد أول الأمر. واضطر الى العمل وزوجته في ترجمة الوثائق التقنية من الانكليزية الى الالمانية ليدفع بدل ايجار المكتب. وأخذته الريبة في سلامة قراره الشروع في عمل مستقل. وفي نهاية المطاف، بعد ١٢ شهراً من افتتاح المكتب، اتصل به صانع الماني لقطع السيارات طالبا منه إصلاح مصهر لم يتمكن أحد من اصلاحه. سافر نقولا الحايك الى المانيا في قطار من الدرجة الثالثة، وأمضى أسبوعا باذلا جهده لاصلاح المصهر. ونجح في مهمته وتقاضى ١٢ ألف فرنك (٩٢٠٠ دولار). واذ همّ بالرحيل سأله رئيس الشركة: "ما الأجر الذي تطلبه لبناء مصنع جديد؟"

فأجاب الحايك مبهوتاً: "لا أستطيع تحديد الرقم بدقة، لكنه سيكون كبيراً."

قال الصناعي: "قد كلفتك المهمة، بشرط أن نصرفك من العمل متى نشاء بعد أن ندفع لك أجر ما أنجزت."

هرع الحايك الى الهاتف وقد استطاره الفرح، زافاً الاخبار السارة الى زوجته.

وكان رب العمل يلعب الورق (الكوتشينة) مع عصبة من كبار الصناعيين الالمان امثال فليك ومانسمان. وما لبث هؤلاء أن عهدوا الى الحايك في مشاريع صعبة. وسرعان ما اتسعت اعماله فأسس "شركة الحايك للهندسة" عام ١٩٦٣، وهي مختصة بتقديم العون الى الشركات والجمعيات والادارات والمنظمات الحكومية لأخذارات وبلوغ الأهداف.

قفزة "سواتش." كان دأب الحايك لدى التعاقد مع شركة ما إرسال فريق من أربعة أشخاص أو خمسة لتمضية فترة تراوح بين ثلاثة اشهر وخمسة في الشركة، عاملين على جمع كل معلومة ذات صلة بالدراسة التي يعدونها. ويبسّط الحايك الأمر شارحا: "قبل أن نشرع في حل المسائل، ننظر الى بنية المؤسسة بكاملها. لا نفحص القدمين والجوف فحسب، بل نعاين الرأس أيضاً. فما النفع في شفاء الجوف اذا كان الرأس عليلا؟"

ثم تلقم المعلومات جهاز كمبيوتر يخرج بأنموذج قابل للتحوير. ويعقّب الحايك: "بالنظر الى الانموذج وتحليله، نضع اليد على المشاكل الرئيسية. إن المديرين، في غالب الاحيان، لا يحيطون بتعقيدات مؤسساتهم حيث تتشابك ألوف المؤثرات. وطريقتنا هذه تختزل الاحجية المعقدة الى مسائل أساسية يستطيع المديريون فهمها والعمل بمقتضاها. إن

غياب التواصل بين أفراد المؤسسة الواحدة عائق أساسي أمام نجاح المؤسسة في كثير من الاحيان، اذ يغني كل على ليلاه من دون اتصال فعلي مع زملائه."

يقول توماس بيلان نائب رئيس تحرير صحيفة "تاغس – أنزيغر" الصادرة في زوريخ: "ما أن تأتي شركات الاستشارات حتى تتدحرج رؤوس عدد من الموظفين. أما الحايك فيحاول عدم تسريح الموظفين. انه يحدث وظائف بتنشيط الشركات واطلاق منتجات جديدة."

وأبلغ مثال على نبوغ الحايك انقاذه صناعة الساعات السويسرية الآفلة. فلئن يكن السويسريون صناع الساعات هم الذين ابتكروا الساعة الالكترونية، الا ان اليابانيين بزوهم واقتنصوا أسواقهم بسرعة مذهلة. كانت سويسرا تنتج نحو ٤٥ في المئة من ٢٠٠ مليون ساعة مبيعة في العالم عام ١٩٧٠. وبعد عشر سنين اذا بها تتشبث يائسة بحصة لا تعدو ٩ في المئة من سوق تباع فيها ٤٠٠ مليون ساعة في البلدان الغربية. وبحلول العام ١٩٨٢ أغلق ٣٠٠ مصنع وسُرِّح ٥٠ ألف شخص.

وبعد سنة واحدة بلغت خسارة أكبر شركتين لصنع الساعات في سويسرا[٢] أكثر من ١٢٠ مليون فرنك (٩٢ مليون دولار). وقد صرّح الرئيس السويسري فريتز هونيغر: "لطالما حسبت صناعة الساعات رمزاً للجودة السويسرية، وهي علامتنا في الخارج، فلا بد من الحفاظ عليها بأي ثمن."

في نهاية المطاف اقتحم الميدان تجمع من المصارف قدم قرابة مليار فرنك (٧٧٠ مليون دولار) لبث الحياة في شركات الساعات، معلقا الآمال على نقولا الحايك. وخلص الحايك الى أن صناعة الساعات في سويسرا ارتكبت غلطة مشؤومة بانكفائها عن أسواق الساعات ذات الاسعار المنخفضة والمتوسطة، مما ترك الساحة مشرعة أمام المنافسين الآسيويين. وكان الحايك ملحاحاً: "في مقدورنا أن ننتصر على اليابانيين اذا ما اقتحمنا تلك الاسواق وكافحنا. وينبغي للسويسريين أن يسودوا على كل جانب من سوق الساعات." وحض الحايك على المكننة والتسويق الواسع الخيال.

ولاح له في مخططه أن إنزال سلع جديدة ضرورة لا غنى عنها. وفي هذا السياق كان ارنست تومكي أحد المديرين المغامرين في شركة «ASUAG» راغباً في ترويج ساعة جديدة تدعى "سواتش." وكانت على نقيض الساعات السويسرية التقليدية من جميع الأوجه: فهي مصنوعة من البلاستيك، رخيصة، ذات ألوان زاهية صارخة، وتكّتها عالية. وبدت فكرتها سخيفة في عيون بعض صانعي الساعات. لكن إصرار الحايك ودعم المصارف أتاحا انزال "سواتش" الى الاسواق، فأصابت نجاحا منقطع النظير. وقد بيع من ساعات اليد "الجنونية" هذه أكثر من ٦٥ مليوناً، فانقلبت صورة صناعة الساعة زاهية تتألق ابداعاً وقوة.

(٢) Allgemeine Schweizerische Uhrenindustrie AG (ASUAG), Société Suisse pour l'industrie Horlogère (SSIH)

"ما علة وجودكم؟" أشار الحايك بدمج الشركتين الكبريين، ونفذ مبتغاه فأنجز الدمج عام ١٩٨٤. لكن الشركة الجديدة «SMH» ما زالت تلاقي بعض المصاعب بما فيها الادارة غير الكفية في "أوميغا" أحد أقسامها الاساسية. وبدا للحايك ان طريق المستقبل الزاهر مسدودة بالنزاعات بين المديرين، فكل مدير تشغله مصالحه الخاصة عن المصلحة العامة للشركة. وقال: "ينبغي إحداث مركز واحد للقرار بدلا من خمسة مراكز أو ستة."

وبناء على ذلك شُكل اتحاد من المستثمرين بقيادة الحايك، فانتظمت شؤون الادارة والانتاج والابحاث والتسويق وغدت اكثر فاعلية. وفي العام ١٩٨٨ حققت شركة «SMH» ربحاً قياسياً بلغ ١٠٥ ملايين فرنك (٨٠ مليون دولار) بزيادة ٣٦ في المئة على ربح العام ١٩٨٧. وهي اليوم تحتل المرتبة الاولى في المبيعات في العالم.

وفيما الحايك مكب على معالجة ازمة صناعة الساعات في سويسرا عام ١٩٨٣، جاءه التماس من مدينة زوريخ لتحليل المزايا والعيوب في الادارة القائمة على شؤون المدينة واستنباط وسائل لخفض التكاليف. وابتدع الحايك خطة رئيسية تقترح ما لا يقل عن ٤١٧ تغييراً، تراوح بين زيادة عدد التلاميذ في الصفوف وتحويل بعض الخدمات الحكومية الى القطاع الخاص وإبطال حق أهالي المدينة في ركوب سيارات الأجرة مجاناً لدى مواكبة جنازات أقربائهم. لكن عدداً من الموظفين الحكوميين تلكأ فن قبول هذه المقترحات الدخيلة. وقال لهم الحايك سعيا الى اقناعهم: "ما علة وجودكم في مناصبكم؟ أيلبي غاية ما؟ هل تقومون بواجباتكم؟" وهو يشرح موقفه ذاك قائلا: "هذه الاسئلة توقف المشاجرات وتطلق الافكار من عقالها." وهكذا أدخل الحايك الاصلاحات تدريجا، مما وفر نحو ٤٥ مليون فرنك (٣٥ مليون دولار) سنويا، فخفضت حكومة زوريخ الضرائب عن مواطنيها.

عام ١٩٨٨ أجرى الحايك دراسة على مستشفى كبير في زوريخ يضم ٤٠٠ سرير، بعدما طلبت منه سلطات المدينة أن يدلها على سبيل لاستخدام الاموال المتاحة في خفض التكاليف الصحية الفاحشة. وتعقب فريق العمل أعمال المستشفى ليل نهار، وحضر جراحات. يقول الحايك: "بعثت الي احدى الممرضات بيانا بما تؤديه من عمل. فأصابني الروع للساعات الطوال التي تمضيها في الخدمة والواجبات الكثيرة المطلوبة منها." واقترح فريق العمل استخدام مجموعة من الممرضات بداوم جزئي لتخفيف ضغط العمل وتشجيع بعض الممرضات السابقات على العودة الى المهنة. وفي امكان هؤلاء تقديم خدمات الى مستشفيات اخرى. ومن شأن المشروع خفض التغيبات والكلفة المترتبة عليها.

ويهمس منافسو الحايك في حقل الاستشارات أنه لا يفعل ما يعجزون هم عنه لكنه يُعلم الجميع بما يفعل. ويصفه

داياتر هاس المحلل المالي في مصرف ساراسان في بال بأنه البائع الأمثل، فيما يشير منتقدوه الى أن أعماله لا تصيب نجاحا مكتملا الا نادراً. لكن هذه الأقاويل لا تقلق الحايك، ففي اعتقاده أن الاتصال في الاعمال بالغ الاهمية، وأن بعض التبجح غير مضر.

يهوى الحايك سَوْط مديري الاعمال العصريين بلسان حاد. واذ خاطب المشاركين في "المنتدى الاقتصادي العالمي" الذي عقد في دافو بسويسرا في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨، أعلن أن "مديرين كثيرين لا يفكرون الا في معاشات التقاعد. أين الشجاعة والريادة وثبات الجنان لاقتحام كل الجبهات؟" ثم عرض نصيحته: "أولا، كونوا على استعداد لتذليل العوائق. ثانيا، لا يجدر بنا في اوروبا والولايات المتحدة أن نخسر أدواتنا وامكاناتنا، أي مصانعنا. ثالثا، ردوا الصاع صاعين للاستئثار بسوق المستهلكين واحراز الغلبة."

من يطلب ٧٠٠ فرنك (٥٤٠ دولاراً) أجراً في الساعة على خدماته ما نسي قط أياما كان فيها مفلسا. يقول الحايك: "يأتيك المال ان اخترت مهنة تتيح لك أن تنمي شخصيتك. أما أنا فأهوى الابتكار." ويبدو ذلك جليا حين يعكف الحايك على دراسة شؤون مؤسسة مضطربة فيبث فيها حيوية. انه شغّيل وساحر معاصر في دنيا الاعمال، وقد أتقن فنون النجاح.

مرغريت ستودر ■



المدير والسكرتيرة

طلب المدير من سكرتيرته ان تكتب له خطابا مؤثرا يستغرق عشرين دقيقة لكي يلقيه في مؤتمر مهم. وعندما عاد الى المكتب بعد المؤتمر استدعى السكرتيرة غاضبا وصرخ في وجهها: "ماذا فعلت بي؟ لقد طلبت منك خطابا يستغرق عشرين دقيقة، فسلمتني مقالا استغرق ساعة كاملة فضجر الحاضرون وغفوا قبل انتهائي من القائه."

ارتبكت السكرتيرة ثم ردت: "لقد كتبت لك يا سيدي خطابا يستغرق عشرين دقيقة. لكنني سلمتك نسختين اضافيتين."

إ.ف.

عصافير تحب العطر

يربي صهري عصافير غريبة في قبو منزله. وعندما سافر مرّة اوكل بها الى اختي. فكانت كلما ادخلت يدها القفص، تهتاج العصافير وتصفق باجنحتها وتزعق مذعورة. وخطر لاختي ان تفرك يديها بالعطر الذي يستعمله زوجها بعد الحلاقة، ففعلت. وعندما ادخلت يدها القفص لوضع الطعام وتغيير الماء، بقيت العصافير هادئة وساكنة.

ك.أ.

بحار يقهر المحيط بمركب مكسور

مضى الحدث يشق العباب الصاخب في جنوب المحيط الهادي، فجأة ضربته سلسلة أمواج عاتية فانقصم صاريه عند القاعدة وسقط منغرزا في القمرة بجلبة رهيبة. [illegible] حول هذه القناة تتدفق [illegible] خارجا وهو يخلع عنه كيس النوم، [illegible] الأسبوعية البيض السابقة التي [illegible] حوله مرشد الشراعي الوحيد الصاري الفردي القياد "جوزف يونغ" وهو بعد في منتصف رحلة حول العالم ضمن «تحدي BOC»[1] وهو أصعب سباق عالمي للمراكب الشراعية.

في الثالثة والربع فجر ٦ فبراير (شباط) ١٩٨٧ بات المركب الوحيد الذي يمثل كندا في السباق هيكلا ينجرف على

(١) BOC Challenge

انكسر الصاري في أقسى سباق عرفته الملاحة
لكن البحار العنيد واصل طريقه
متحديا أبلغ الأخطار

ILLUSTRATION: [illegible]

غير هدى. فحدق هيو الى حطام أحلامه هامساً: "لا، لا، لا...».

انجرف المركب تحت رحمة الأمواج. فراح هيو يقطع الاسلاك الفولاذ المتشابكة بمقصّ مسامير حتى انزلق الصاري برمته جانباً. ولما لم يبق ما يثبت المركب، أخذ يترجح بعنف حتى بات هيو عاجزا عن الحركة إلا دبيباً. وبعناد ثبّت أحدى ساريات الشراع في وضع قائم ثم رفع هوائي جهاز لاسلكي معدّ للحالات الطارئة. وفي الثامنة مساء نجح في الاتصال بمنافسه الأمريكي مارك شرادر الذي كان يسبقه ٣٧٠ كيلومتراً في مركبه "لون ستار." سأله شرادر: "كيف أحوالك؟"

فأجاب هيو: "ليست على ما يرام. لقد خسرت الصاري الليلة الماضية."

وكان أحد المتسابقين قضى خلال السباق، كما غرقت ثمانية مراكب أو تحطمت أو تقهقرت الى ديارها. ولما كانت عرى الصداقة والرفقة توطدت بين الناجين الستة عشر، فقد توالت عروض العودة لمساعدة هيو.

لكن ردّه كان واحداً: "لا يرجعن أحد. طمئنوا الجميع الى أني ما زلت عائماً فلا يقلقوا." ثم أقفل الجهاز وانهار باكياً.

مركب مسكين. امتزج حب المغامرة بدم هيو مذ كان صبياً يبحر مع جده في طوف صغير بمحاذاة شاطىء كورنيش في بريطانيا. وفي العاشرة من عمره هاجر مع عائلته الى ثندر باي في أونتاريو بكندا. وسرعان ما انطلق يجوب مياه بحيرة سوبيريور، احدى البحيرات الخمس الكبرى الفاصلة بين كندا والولايات المتحدة، على متن قارب بناه بنفسه. وفي العام ١٩٨٢ كان يعمل مساعد ربان على متن ناقلة معادن في بحر الشمال، فسمع بسباق "تحدي BOC."

يبدأ هذا السباق في نيوبورت بولاية رود آيلند الامريكية، برعاية "شركة الاوكسيجين البريطانية"[٢] وهو سباق قاس حول العالم يتخلله توقف عند كيب تاونً (جنوب افريقيا) وسيدني (أوستراليا) وريو دي جانيرو (البرازيل). وقد وصل الى خط النهاية في سباق ١٩٨٢ عشرة متبارين فقط من أصل ١٦ قطعوا مسافة ٥٠ ألف كيلومتر مضنية خلال ثمانية أشهر، كما فُقدت ثلاثة مراكب.

فكر هيو آنذاك: إنه لتحدٍ يستحق المحاولة. وعقد العزم على الاشتراك في السباق التالي عام ١٩٨٦.

حاول جاهداً أن يحصّل رعاية شركات خاصة، لكن مساعيه أخفقت ولم يتلقّ حتى جزءاً يسيراً من مبلغ ٨٠٠ ألف دولار قدَّر أنها لازمة لتأمين مركب مؤهل للفوز. فقرر أن الاشتراك في السباق أهم من الفوز فيه. وبعدما تأكد من استحالة حصوله على دعم مالي يمكنه من شراء مركب كبير غالي الثمن وعالي التقنية، عمد الى تحقيق هذا الأمر بوسائله الذاتية. فباع كل ما يملكه جامعاً مبلغ ١٦٠ ألف دولار أمّنت له يختاً يزيد ٣٥

(٢) British Oxygen Company (BOC) وتدعى اليوم BOC Group.

سنتيمتراً فقط على الطول الادنى المسموح به والبالغ ١٢ متراً.

أطلق هيو على مركبه الشراعي اسم جده المتوفى "جوزف يونغ." وكان المركب المصنوع في أسوج (السويد) قوي البنية سريع الحركة بسيطاً. وكانت قمرته ضيقة الى حد أنه كان يتلمس جنباتها بمجرد بسط ذراعيه ولا يستطيع الوقوف فيها مستقيماً. وكان في القمرة سرير مبيَّت في الجدار ومطبخ صغير له فرن بموقدين وأجهزة لاسلكية وطاولة للخريطة وللعمل.

بدا مركب هيو، وهو راس وحده في هاليفكس، الأكبر والأسرع والأبرع. لكنه الى جانب مراكب منافسيه الـ٢٤ التي احتشدت في نيوبورت كان الأقل جلالاً، مما شكل طعنة لمعنويات هيو. وكانت القوارب الأخرى لمتبارين ترعاهم شركات خاصة، أكثر تعقيداً وأقصر بمقدار النصف. كما تأمنت لها فرق دعم من اختصاصيين يتقدمونها جواً الى محطات التوقف. كذلك يُسِّر للمتبارين البارزين الحصول على معلومات فورية عن الطقس من محطات ساحلية تتولى مراقبة التقلبات الجوية حول العالم. حتى أن أحد القوارب الأمريكية كان مزوداً ثمانية أنظمة للقيادة الذاتية. أما هيو الذي مثّل كندا منفرداً فكان في السادسة والعشرين من عمره، وهو أصغر المتبارين سناً.

تحطم الاحلام. أبحرت القوارب يوم ٣٠ أغسطس (آب) في المرحلة الأولى الممتدة ١٣٠٠ كيلومتر الى كيب تاون في سباق مدمر شهد اصطدام قاربين قبل بدء السباق بثلاث دقائق، وغرق قارب آخر قرب برمودا. وفقدت قوارب أخرى صواريها أو انقلبت أو اندلعت فيها النار. ومر جميع المتسابقين في مغامرات تقشعر لها الأبدان.

وذات يوم فيما كان هيو يرشف قهوته عند باب القمرة، ارتعب إذ مرت به ناقلة عملاقة لم تبعد عن قاربه سوى ثلاثة أمتار، فنجا "جوزف يونغ" من كارثة محققة. وعندما اقترب هيو من كيب تاون شاهد حوتاً ينداح متقوساً تحت مقدم قاربه. فقبع منقطع الانفاس ينتظر الاصطدام المروع، لكن الحوت استدار في اللحظة الأخيرة متيحاً للقارب متابعة سيره من دون أن يصاب بأذى. وبعد ٥٥ يوماً وصل هيو الى كيب تاون حالاً في المرتبة الأخيرة، لكنه كان بين ١٩ متبارياً اجتازوا المرحلة الأولى.

وانطلق المتسابقون في المرحلة الثانية التي تقودهم الى سيدني. وهبت عاصفة ليلية هوجاء يوم ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) بعثرتهم كلاً في طريق. وفي أوج العاصفة اضطر هيو الى العودة الى كيب تاون لاصلاح حبال صاريه، الأمر الذي أخره ٢٧ ساعة. ووسط ظروف جوية غريبة عن شتاء شمال الأطلسي، انطلقت اليخوت تتسابق على امتداد ١١ ألف كيلومتر عبر "قعر" العالم.

وصل هيو الى سيدني أخيراً ليلة عيد الميلاد وقد هدَّه الارهاق بعد خمس ليال لم يذق فيها طعم النوم مصارعاً

العواصف والضباب وجبال الجليد. هكذا اجتاز "جوزف يونغ" وربانه امتحان البحر القاسي. ولمّا أطلق رئيس وزراء أوستراليا بوب هوك النار ايذاناً ببدء سباق الـ١١ ألف كيلومتر الى ريو دي جانيرو يوم ١٨ يناير (كانون الثاني)، حدد هيو مساره المروع الى كيب هورن. الى حين نخر الوهن معدن صاريه وحطم آماله.

فكرة جنونية. جلس هيو يرشف القهوة ويقلب الرأي في ما يفعل. كانت أقرب يابسة إليه تبعد ١٧٥٠ كيلومتراً جنوباً حيث شاطىء قارة القطب الجنوبي (أنتارتيكا). وإلى الخلف نيوزيلنده على بعد ٢٨٠٠ كيلومتر وفي اتجاه معاكس للريح. ولكي يبقى في السباق عليه التوجه مباشرة الى أمريكا الجنوبية البعيدة ٧٤٠٠ كيلومتر شرقاً. لكن عليه أولا ترقيع الأضرار بعجل كي يعيد "جوزف يونغ" الى مساره، خصوصاً أن حزام عواصف يلف خطوط العرض هذه ويهدد بتحطيم اليخت الشارد بين لحظة وأخرى.

تحرك هيو زحفاً على سطح القارب المترجح الذي بات فخاً مميتاً بسبب فقدان حاجز الميمنة. وأقام ساريتين ارتجل بهما شكلا يشبه العدد "٨" وربطهما معاً بحبال. ثم رفع فوقهما شراعاً صغيراً برتقالياً للعواصف. اذذاك انطلق المركب بسرعة حسنة بلغت ٧،٥ كيلومترات في الساعة. وقبل أن يأوي هيو الى سريره كتب في سجل الرحلة: "ما زال المركب يرشح، لكنه بات آمناً."

في غضون ذلك استُنفر أصدقاء هيو بعد مكالمة هاتفية أجراها مقر قيادة السباق مع صديقته فيكي ماكدرموت في دارتموث بمقاطعة نوفاسكوشيا الكندية. وكان أعضاء نادي دارتموث لليخوت أهدوا الى هيو، قبل رحيله، بضعة أشياء كمالية، بينها سترة نجاة. وحين أنشق صاريه في المرحلة الأولى جمعوا مبلغ ٤٠٠٠ دولار كي يرسلوا اليه صارياً وأشرعة جديدة الى كيب تاون. والآن عقدوا العزم على دعمه بأي ثمن. وفيما هم أنصرفوا الى جمع التبرعات، أوصى المهندس البحري جون ساندفورد على صار يرتفع ١٨ متراً وما يرافقه من أشرعة ولوازم ضرورية.

وحين أدار هيو جهازه اللاسلكي سمع رسالة تثلج الصدر: "عليك بلوغ اليابسة حيث ينتظرك صار وأشرعة جديدة."

اتجه هيو، وقد ارتفعت معنوياته، الى قاعدة تالكاوانو التشيلية البعيدة ٢٢٠٠ كيلومتر من جنوب كيب هورن، حيث تنتظره المساعدة. لكن "جوزف يونغ" توقف فجأة عن الحركة. وتوالت الأيام واليخت يتثاقل بطيئاً، فيما دار أقرانه حول كيب هورن مبتعدين عن مجاله اللاسلكي.

وبعد إنقضاء ١٧ يوماً على هذه الحال كاد هيو يجن. لقد خسر صاريه وشراعه ولم يعد قادراً على إكمال السباق، فاراد العودة الى نيوبورت قبيل الاحتفاء بتقديم الجوائز الى الفائزين يوم ٣١ مايو (أيار). ثم راودته فكرة جنونية: ماذا لو اكتفى بالشراع الموقت لبلوغ كيب هورن؟

العواصف العاتية لا تهدأ حول كيب هورن إلا يوماً واحداً كل أربعة أيام. وحرارة المياه تكاد تبلغ درجة الصقيع. ولا مثيل لأمواج كيب هورن العاتية. وعلى رغم كل ذلك أبحر "جوزف يونغ" جنوباً يوم ٢٧ فبراير (شباط).

وفي اليوم التالي كتب هيو في سجله متهللا: "تحركت أخيراً: البحر هائج!" ونقل هواة اللاسلكي رسالته الى دارتموث: "انه في طريقه الى كيب هورن!"

في أغوار الموج. تصدرت ملحمة هيو عناوين الصحف في نوفاسكوشيا. وكان تقدمه يُسجَّل يومياً بدبابيس على خريطة جدارية في "متحف هاليفكس للملاحة الأطلسية." وعمد مؤيدوه الى جمع الأموال ببيع أوراق يانصيب وقمصان رياضية، فحصلوا على ٤٠ ألف دولار نقداً ومعدات متنوعة قبل أن تقدم "الشركة الوطنية المحدودة للمنتجات البحرية" مساعدة دعائية بلغت ٥٠ ألف دولار.

وفيما حركت الدبابيس فجأة على الخريطة مشيرة الى تقدم "جوزف يونغ" جنوبا، تولى فريق الدعم شحن الصاري والأشرعة البديلة الى ملقى جديد في جزر فوكلاند.

وكان تلاميذ السنة الابتدائية السادسة في مدرسة غلوسكاب يتابعون السباق على الخريطة ويبعثون رسائل يتلقاها هيو في المرافىء التي يتوقف عندها، ويتهللون فرحا وهم يراقبون تقدمه اليومي. وتقول معلمتهم كلوديا شيسمان: "لم نفرح كثيراً عندما درسنا الأخطار التي تعترض طريقه." كما أنهم لم يتصوروا هشاشة حياة هيو وهو يكافح أخطاراً لا تلين على متن قاربه الواهن.

أبحر المركب تصارعه العواصف الثلجية وسط أجواء مكفهرة، وقد غلفته رطوبة خانقة وصقيع يقارب التجمد. وتسرب الماء من الفوهة المرقّعة مُنصبا على الخرائط. وزاد الأمر سوءاً تقطر الماء عن معطف هيو المشمع كلما عاد الى القمرة. وفاحت روائح كريهة من كيس النوم شبيهة برائحة جوارب نتنة. وأمضى هيو ليالي قلقة يصيخ السمع الى ما قد يتأتى من مشاكل محاولا سرقة لحظات يخلد فيها الى النوم. وكان شرب القهوة ملاذه الوحيد في وحدته الخانقة. ولكن قبل خمسة أيام من بلوغه كيب هورن نفد الماء من خزّانيه ولم يبقَ لديه سوى سبعة ليترات اختزنها في حزمة النجاة وراح يغذيها بحبات بَرَد يجرفها عن سطح القارب.

وعلى رغم هزال الشراع مضى "جوزف يونغ" في سرعة فاقت ١٥ كيلومتراً في الساعة. لكن الأمواج بلغت من الارتفاع حداً جعل الشراع القزم يستكين في أغوارها. وذات يوم ترجح المركب بعنف وهو في غور احدى الأمواج، ثم انقلب دورة كاملة بفعل موجة عملاقة. فانفتحت الخزائن من جراء الصدمة العنيفة، وانكسرت قارورة صلصة فوق الجهاز اللاسلكي. فنظر هيو حوله وقد انطمر تحت محتويات صندوق

العدة، وخيل اليه أن النهاية وشيكة.

لم ير هيو في حياته مثل هذه الأمواج الجبارة. ولم يخف هكذا من البحر. وفجأة رأى صخوراً سوداء تنذر باصطدام وخيم والزبد يندفع عنها عنيفاً. لكن المركب حافظ على مساره الصحيح. وفي الثالثة من صباح اليوم التالي الموافق ٢١ مارس (آذار) أطل "جوزف يونغ" على كيب هورن. وفي السابعة دار متجهاً الى الشمال الشرقي.

"برافو جون!" لم يجد هيو ما يحتفي به سوى تناول قالب الحلوى المعدّ لعيد الميلاد، وفتح علبة بطاطا استقطر منها مياهاً يشربها. وفي مدرسة غلوسكاب احتفل التلاميذ بالنصر بقطع كعكة في شكل خريطة أمريكا الجنوبية خُط عليها مسار هيو. وفي مرفأ هاليفكس تهلل الانصار والمشجعون بتلويح أعلام كُتب عليها: "برافو جون!"

لقد قهر جون هيو كيب هورن.

وبعد ثلاثة أيام لاقت اليخت دورية من البحرية البريطانية وواكبته الى جزر فوكلاند. فسارع هيو، وقد بدا أشعث الشعر أحمر البشرة بعد ٦٦ يوما في البحر، الى شرب ابريق القهوة الذي أرسلته البحرية اليه في قارب مطاط. لقد أمضى ٤٥ يوما تحت الشراع المرتجل، والساعات الست والثلاثين الاخيرة من دون ماء.

في هذه الأثناء وصل من كندا جون ساندفورد وإفرت باسكت وهو بحار أولمبي وصانع صوار، للمساعدة في إعادة تركيب الصاري والشراع. وبعد ١٣ يوماً قضاها في المرفأ يمم "جوزف يونغ" شطر ريو دي جانيرو حيث أمضى هيو ثلاث ساعات فقط انطلق بعدها في مساره.

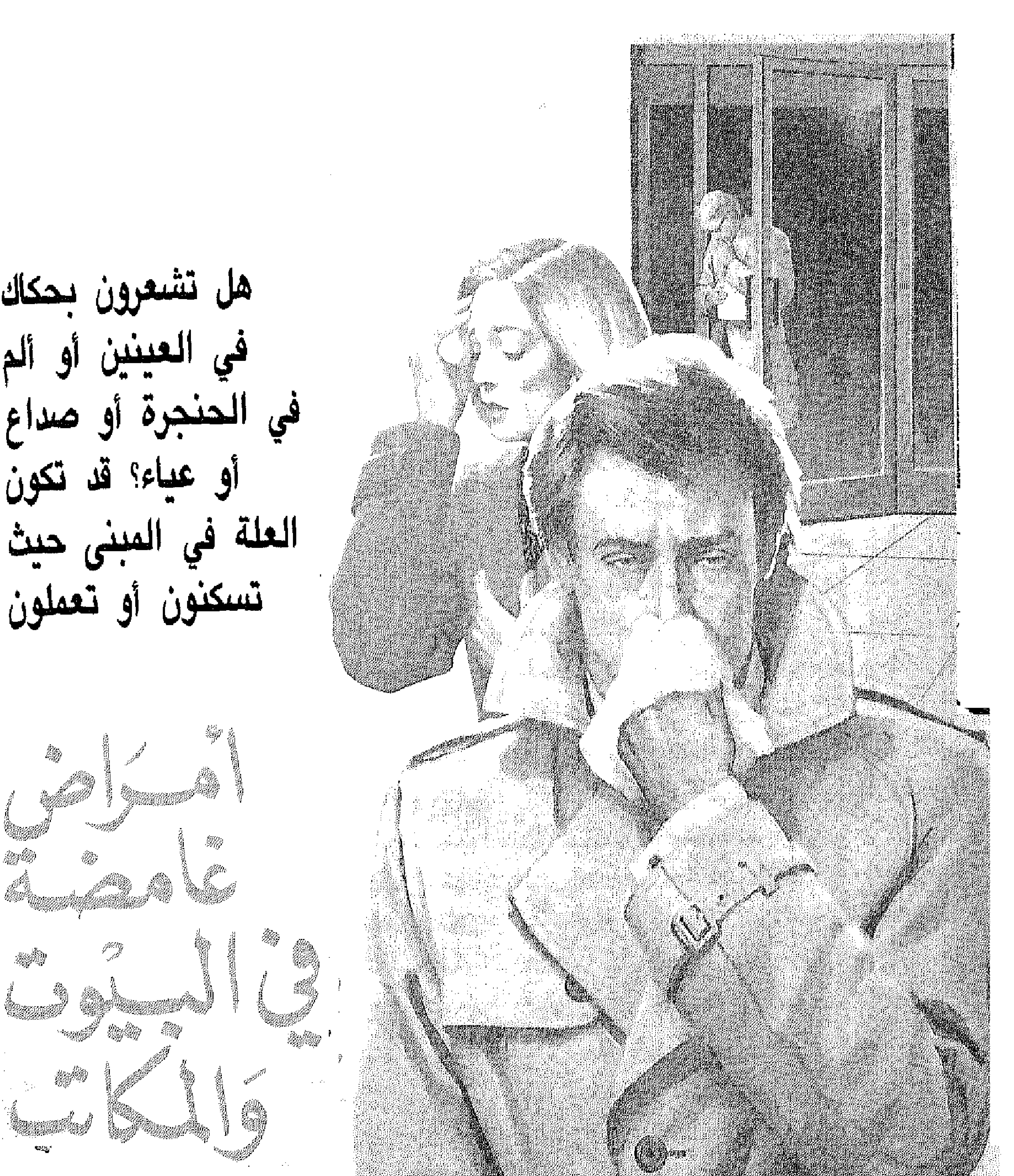
وبعد قضاء ٢٢٤ يوماً في اليم دخل البحار العنيد مرفأ نيوبورت قبل أربعة أيام من الاحتفال بتوزيع الجوائز.

فاز الفرنسي فيليب جانتو للمرة الثانية بالمرتبة الاولى، وحصل على ١٥ ألف دولار. وهو اجتاز المسافة في ١٣٤ يوماً. ونال الأمريكي مايك بلانت مبلغا مماثلا لحلوله في المرتبة الثانية بعد ١٥٧ يوماً. أما هيو الذي وصل أخيراً، وإن لم يكن آخراً في التقدير، فنال جائزة خاصة "كمثال يحتذى في البراعة الملاحية وقوة الاحتمال والرفقة الطيبة والروح الرياضية."

أبحر "جوزف يونغ" عائداً الى دياره بعدما قطع مسافة ٥٢٨٨٠ كيلومتراً. وأصطف ألوف المستقبلين تحت وابل الأمطار فيما واكبه أسطول من اليخوت الى مرساه في نادي دارتموث حيث نزل هيو الى الشاطىء واستُقبل كالأبطال. لقد هزم كيب هورن الذي يماثل قمة إفرست بحراً. فعل ذلك من دون صار. وحقق بعبوره كيب هورن بصار وشراع مرتجلين ما لم يحققه بحار منً قبل.

فهل يشترك هيو في هذا السباق ثانية؟ يقول: "تسألني اليوم فأجيب لا. وإن سألتني بعد أسبوع فقد أقول ربما. فللبحارة ذاكرة ضعيفة."

جون ديسون ■



هل تشعرون بحكاك في العينين أو ألم في الحنجرة أو صداع أو عياء؟ قد تكون العلة في المبنى حيث تسكنون أو تعملون

أمراض غامضة في البيوت والمكاتب

□ بعد أشهر من افتتاح البناء الجديد المتلألىء الملحق بمسرح كوبنهاغن الملكي في الدانمرك في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ عانى الممثلون والراقصون ومغنو الاوبرا عيونا دامعة وآلاما في الرأس والحنجرة. وتبين أن السبب مادة لاحمة طليت بها أبواب البناء الجديد ونوافذه. ويقول أوف تيلسن الذي حقق في القضية: "انه يطلق كبريتا يهيج الحواس." وعندما أزيلت المادة اللاحمة توقفت الشكاوى.

□ في المانيا الغربية أصيب الاولاد والموظفون في عدة روضات للاطفال بزكام غريب لازمهم خلال السنة الدراسية ١٩٨٦ - ١٩٨٧. واكتشف الدكتور بيرغر هاينزو الاختصاصي بعلم السموم البيئية

ILLUSTRATION: HECTOR GARRIDO

في ولاية شلزفيك – هولشتاين أن جميع المدارس بنيت من أجزاء جاهزة متطابقة مكسوَّة بقطع من الخشب. يقول: "عوالج الخشب بالـ"لندين" والـ«PCP» وهما مادتان كيميائيتان سامتان تستخدمان لوقاية الخشب من العفن. وكانت الكتب والاوراق وقطع الأثاث ملوّثة بأبخرة هاتين المادتين. ويقدر هاينزو كلفة ازالة التلوّث من الروضات بـ٣٠٠ ألف مارك للروضة الواحدة.

□ بعدما جُهزت إحدى المطابع في النورماندي بفرنسا بمكيف هواء، أصيب رئيس العمال على الفور بحمى والتهاب في الحلق، ثم ظهرت لديه أوجاع في الصدر. وكانت أوجاعه تزول حين يذهب في عطلة سنوية أو اجازة مرضية وتعود الى الظهور بعد رجوعه الى العمل. وأظهر تشخيص في النهاية أنه يشكو من "حمى الرطوبة" الناتجة من البكتيريا والعفن وغيرهما من العوامل الكامنة داخل أجهزة تكييف الهواء.

في العقدين المنصرمين وقعت مئات الحوادث المماثلة في بيئات وأقطار مختلفة كاليابان وألمانيا الغربية وايطاليا والولايات المتحدة والدول الاسكندينافية. وهي تشكل – بكلام الدكتور كلود مولينا رئيس فريق العمل المهتم بنوعية الهواء داخل الابنية بتكليف من المجموعة الاوروبية – "بروز نوع جديد من المرض بحيث تسبب الأبنية ازعاجا أو مرضا لساكنيها." أما الاعراض الاكثر شيوعا لهذه "الامراض المرتبطة بالابنية" كما يدعوها العلماء، فهي حكاك العينين واهتياج الجلد وجفاف الحنجرة وانسداد الانف بفعل الزكام وصداع وإعياء ذهني. وهذه المشاكل شائعة جداً بحيث أطلقت عليها تسمية "علة الابنية الممرضة."[1] ومن الاعراض الشديدة الدوار والغثيان ونوبات الربو وذات الرئة. ولم تود أمراض الابنية هذه بحياة المصابين الا في حالات نادرة.

وتقدر منظمة الصحة العالمية أن نسبة ٣٠ في المئة من الابنية الجديدة والمجدّدة تمنى بهذه الامراض. وفي دراسة أجريت عام ١٩٨٦ على ٤٤٥٩ عاملا من ٧٠ بناء للمكاتب في مدينتين يابانيتين، شكا ثلث العمال من أعراض علة الابنية الممرضة. وأظهر مسح شمل ٤٣٧٣ موظفا مكتبيا في بريطانيا ان ما يزيد على نصف العاملين في بعض الاماكن أصيبوا بالمشاكل ذاتها. وتقدر جمعيـة من الخبـراء الصنـاعيين والحكوميين الهولنديين أن قرابة ٤٠٠ ألف يوم عمل تهدر في هولندا سنوياً بسبب الامراض المتعلقة بالابنية. وفي الولايات المتحدة يفيد تقرير حديث لوكالة حماية البيئة أن الامراض المرتبطة بالابنية تكلف مليارات الدولارات التي تهدر سنويا نتيجة تدني الانتاج والعناية الطبية والخسائر في الارباح وأيام المرض.

أجواء فاسدة. يعتقد الخبراء أن الازدياد السريع للامراض المرتبطة بالابنية يعود اجمالا الى تدابير خفض

(١) Sick — building Syndrome

التكاليف التي اعتمدت عقب الازمة النفطية في السبعينات. فبغية خفض تكاليف التدفئة عمد المهندسون الى بناء مكاتب ومنازل محكمة الاقفال، يمتزج فيها الهواء الداخلي الدافيء الذي غالباً ما يكون رطباً، بكمية صغيرة من الهواء الخارجي، ثم يعاد "تدويره" في الابنية عبر قنوات التهوئة. وسدّت النوافذ باحكام لمنع تسرّب الحرارة مما جعل تكييف الهواء ضرورياً حتى في البلدان الباردة.

في دراسة بارزة أجريت عام ١٩٨٤ اكتشف الدكتور أنطوني بيكرنغ الاختصاصي بامراض التنفس في مستشفى وذنشو في مانشستر ببريطانيا وباحثان آخران، أن الناس المقيمين في أبنية محكمة الاقفال ومجهزة بمكيفات هواء هم أكثر تعرضا للاصابة بالكسل والتراخي. والصداع واهتياج الجلد والعينين ومشاكل التنفس، من أولئك الذين يعملون في مكاتب حيث التهوئة طبيعية. فلماذا؟

أولا، لان التصميم الرديء أو الصيانة غير الوافية أو الخطأ في تقدير مجاري الهواء أو الملوثات الكيميائية في مواد البناء، قد تفسد الاجواء في الداخل. والأسوأ من ذلك أن الجراثيم التي تسبب الامراض قد تدخل جهاز التبريد وتتكاثر في الماء الراشح من مكيفات الهواء وأجهزة ترطيبه، ومن ثم تنتشر في البناء من طريق دوران الهواء.

وبرز الخطر الاخير الى الواجهة عام ١٩٧٦ حين اخترقت باكتيريا مجهولة تعيش في الماء جهاز تكييف الهواء في فندق "بلفو ستراتفورد" بولاية فيلادلفيا أثناء انعقاد مؤتمر لرابطة المحاربين الامريكيين القدامى، وقتلت ٢٩ منهم بسرعة. ونبّه "مرض المحاربين" الجسم الطبي الى أخطار الامراض التي تنتشر في الهواء داخل الابنية. وفي العام ذاته شهد بيكرنغ حادثا آخر من الامراض المنتشرة في الهواء في مطبعة ببريطانيا. فقد اكتشف ٣٥ عاملا "أصيبوا بضيق تنفس يرافقه صفير أثناء عملهم، وتحسنت حالهم في عطلة نهاية الاسبوع." ووجد بيكرنغ أن جهاز ترطيب الهواء في المؤسسة كان ملوّثا بالمتعضيات المجهرية ومصمما على نحو جعل تنظيفه مستحيلا فعليا. فلم يكن بد في النهاية من ابداله بجهاز جديد.

الفطر القاتل. في أجنحة السرطان وغرف العناية التي تتلو العمليات الجراحية في المستشفيات تكافح الاوبئة المحمولة بالهواء. وكان السبب أساسا أنواعا من الفطر من عائلة "أسبرجيلوس"[٢] تنمو في كل مكان على الارض وعلى النبات. هذا الفطر لا يؤثر في الناس الاصحاء لكنه قد يكون مميتا لمن يعانون ضعفا في أجهزة المناعة.

ظهر أول وباء كاسح لفطر "أسبرجيلوس" في أوروبا عام ١٩٨٢ في مستشفى هنري موندور في كريتاي بالقرب من باريس. فبعد تجديد المبنى أطلقت مستوطنات من الفطر كانت متجذرة خلف السقوف الزائفة. وكان

(٢) Aspergillus

جهاز التهوئة يصفّي الهواء الآتي من الخارج، فلم يلاقِ الفطر أي عوائق، فيما حمل الهواء الدائر في الداخل بذوره الى كل منافذ الهواء في البناء فأنشأ مستوطنات جديدة.

حين غزت مستوطنات الـ"أسبرجيلوس" جناح أمراض الدم حيث يعالج أناس يعانون نقصاً في المناعة، جثم كابوس على الجناح. فأصيب ٢٦ مريضاً خلال سنتين مات منهم ستة. ولم تقتلع الآفة الا بعد تصفية الهواء تماماً داخل وحدة أمراض الدم. ويحتل مرضى ضعف المناعة في كريتاي اليوم غرفاً خاصة تحوي أجهزة مستقلة لتصفية الهواء.

ومواد البناء الحديثة، كالبلاستيك والمركّبات والأنسجة الاصطناعية والاسمنت الجديد، هي عوامل رئيسية أخرى لأمراض الابنية. ويقول تيد بايتمان وهو مهندس معماري ايرلندي ومستشار في ميدان أمراض الابنية في البورغ بالدانمرك: "ظهرت في الستينات والسبعينات مئات من مواد البناء الجديدة، ولم يعرف الناس كيف ستكون حقيقة تفاعلها في المنازل والمكاتب."

تصب في الطبقات تحت الارضية أنواع جديدة من الاسمنت تحتوي على الـ"كاسيين" وهو نوع من البروتيين يؤمن للبنائين عملية تمهيد أسهل وأسرع. ويحذر الدكتور توماس ليندفال وهو أستاذ علم الصحة البيئية في معهد كارولنسكا في استوكهولم بأسوج (السويد): "لكن لهذا التقدم ثمناً، فالاسمنت الجديد الذي يمهد ذاته رطب جداً ويتطلب وقتاً طويلاً لكي يجف. فاذا بني فوقه وهو لا يزال رطباً، تحلل الكاسيين فيه وابنعثت منه مادة الأمونيا (النشادر). والى ذلك فالرطوبة قد تولّد فطراً كريه الرائحة."

في أوائل الثمانينات أنشىء ١٥ بناء ضمت ١٥٠٠ شقة سكنية، على أرضية رطبة في منطقة انشكيده في استوكهولم، وبحلول العام ١٩٨٨ اشتكى مئات السكان من آلام في العينين والانف والحنجرة تنطبق نموذجياً على أعراض "علة الابنية الممرضة." فشكلت لجنة رسمية للتحقيق اكتشفت أن تفاعل الأرضيات الخشبية وسجاد البلاستيك والاسمنت الرطب الذي تنبعث منه الأمونيا كان يولّد مادة كيميائية جديدة تبعث روائح غريبة. ويقول الدكتور كييل أندرسون أحد أعضاء اللجنة: "قد يكلف حل هذه المشاكل كلياً نحو ٥٠ مليون دولار."

غازات ممرضة. يحتوي كثير من مواد البناء والتجهيزات الجديدة على كميات لم تعهد قبلاً من مركّبات عضوية سهلة التبخر، أي كيميائيات تتحول غازات في درجة حرارة عادية. وتمتزج هذه المركبات بالغراء في رقاقات خشب الاثاث ونسيج السجاد والمطاط الاسفنجي العازل والمواد اللاحمة للشقوق. وقد يكون بعضها، مثل غاز "فورمالديهايد"، ذا تأثير مهيج قوي. وقد تواصل المنتجات المحتوية على هذه المركبات

اطلاق الغازات لأشهر بعد تركيبها. وتبين للعلماء أن النفحات الاولى من الغازات، وان لم تكن مؤلمة، تثير حساسية في العينين ومجاري الانف والحنجرة، والتعرض المتواصل لها قد يولد احساساً أليماً يستمر الى ما بعد هبوط نسبة الغازات المنبعثة من البناء.

ساد دار المحكمة في كييل بألمانيا الغربية جو خانق بسبب غازات المركبات العضوية بعد تركيب ألواح خشبية فاصلة في غرف المحكمة ويقول الاداري غونتر موغيله: "لقد حفرنا فيها شقوقاً لامتصاص الصوت." لكن ذلك زاد المساحة السطحية للالواح فازداد انبعاث الفورمالديهايد. ويضيف موغيله أن القضاة والكتبة شعروا بتأثير الغاز فكانت عيونهم "تحرق" وسدّت أنوفهم وأصيبوا بألم في الحنجرة واشتكى بعضهم من الصداع. وعلى رغم مسح الالواح وتنظيفها تكراراً وأخذ اجراءات جديدة لزيادة التهوئة فلا تزال المشكلة من دون حل.

ان التهوئة الطبيعية للأبنية تؤمن هامش وقاية من غازات المركبات العضوية. فكلما زاد عدد الناس داخل البناء زاد مقدار التهوئة، لان التيارات الحرارية المنبعثة من أجسامهم تولّد مجاري تدفع بالهواء وبالملوثات عبر النوافد الى الخارج. أما الابنية التي يضبط فيها المناخ فيبقى فيها مجرى الهواء ثابتاً ما لم يعدَّل نظام التكييف. وترفع الأجسام الاضافية حرارة الغرفة متيحة للمركبات العضوية اطلاق غازاتها.

بدأ موظفو المكتبة الجديدة في جامعة استوكهولم يشكون من الصداع وتهيج العينين والحنجرة والشعور بالاعياء بعيد افتتاح المكتبة عام ١٩٨٣. وتقول لينا لوندن المتخصصة بعلم النفس البيئي التي درست وقائع المكتبة لمدة ٣٣ أسبوعا بين ١٩٨٧ و١٩٨٨: "لقد ساد اعتقاد أن الاعراض الجسدية ناتجة من أسباب نفسية." ولكن بعد استخدام كمبيوتر لتحليل ١،٨ مليون معلومة مستقاة من الاسئلة ومن عينات الهواء، أوضحت لوندن بالتعاون مع فريق بحث أن زوار المكتبة عانوا الاعراض ذاتها التي انتابت موظفي المكتبة، فاستبعدت العوامل الجسدية – النفسية. كما ظهر ترابط واضح بين ارتفاع نسبة غازات المركبات العضوية وازدياد الأعراض المرضية. ويخطَّط الآن لعملية تجديد البناء من أجل ازالة المركبات العضوية.

نداء الى المهندسين. كيف تعرفون أن بناءكم يمرضكم؟

اذا أصيب عدد لافت من القاطنين في قسم معين من البناء بالاعراض الشائعة لامراض الابنية، فينصح الخبراء باستدعاء أحد المتخصصين بالنوعية الداخلية للأبنية أو أحد فنيي الصحة المهنية، ليجري فحصاً للبناء وشاغليه. فطبيعة الاعراض ومكان انتشارها في البناء وأوقات ظهورها مؤشرات مهمة لجلاء الغموض.

في سبيل اكتشاف مصدر التلوّث يبدأ المحققون غالبا بالتجوال داخل المنزل أو

المكتب ليستشعروا الهواء ويتبينوا روائح يمكن تحديدها.

قبل وقت قريب استدعي غاري رو من "مؤسسة أبحاث البناء" في بريطانيا الى أحد المكاتب حيث أفيد أن الهواء فاسد وحار جداً فتناول أنبوب دخان (وهو نوع من الضباب المعلّب) وكسره ثم راح يراقب الدخان يرتفع الى السقف ويتجه مباشرة الى أنبوب يؤدي الى الخارج. فقال: "ان المنافذ التي تُدخل الهواء النقي من الخارج وتطرده من الداخل متقاربة أكثر مما ينبغي. لذلك يدخل الهواء من منفذ ويخرج من آخر من دون أن يصل الى الناس."

ويحلل المحققون أيضاً عينات من الهواء والغبار المنبعث من السجاد ومن أجهزة تكييف الهواء لتبيّن مركبات عضوية قابلة للتبخر وغيرها من الملوثات. وإن لم تكن إحدى المواد الكيميائية بمفردها مسؤولة عن ظهور الاعراض المرضية فان المزيج الاجمالي قد يكون له شأنه. ويرى رو أن "أعراض علة الابنية الممرضة قد تتأتى من التأثير المشترك لملوثات كثيرة، كل واحد منها قاصر عن إحداث هذه الاعراض بمفرده."

وللمساعدة في حل مشاكل أمراض الابنية افتتح معهد للابحاث في اسكوتلندا عام ١٩٨٩ برعاية جزئية من "كلية ماكنتوش للهندسة المعمارية" الذائعة الصيت في غلاسغو. وتحظى الكلية بتعاون دولي لعلماء وفنيين بارزين. ويتفق الخبراء على ضرورة تنبّه المهندسين المعماريين منذ البداية الى الكلفة الخفيّة للأبنية الممرضة. فالخسائر الناجمة عن المرض في الأبنية المحكمة الاقفال، مثلاً، قد تفوق قيمة التوفير في مصاريف التدفئة. والسقوف المسطحة وشرائح الاسمنت على الارض الرطبة قد تتحول مصائد للفطر. كما أن قنوات الهواء المركبة في غير أماكنها الصحيحة، ومواد البناء المحملة بالمركبات العضوية القابلة للتبخر، قد تشل فاعلية العمل.

يقول أوف نيلسن من الدانمرك: "يوم يتنبه البناؤون تماماً الى هذه النتائج الوخيمة، تصبح الأبنية المشحونة بالامراض الغامضة في وجه الماضي."

مارك هنتر ■

نصائح عملية

آراء وحقائق تساعدنا في اجتياز نهار عمل:

■ **التسعون في المئة الاولى من العمل تستهلك ١٠ في المئة من الوقت. أما العشرة في المئة الباقية فتستغرق ٩٠ في المئة من الوقت.**

■ **الآلات الناسخة تنتج نسخاً سريعة عن الأخطاء البشرية.**

■ **عندما توضح الامور تماماً يرتبك الناس.**

■ **لا عمل مستحيلا حتى يحوّل الى احدى اللجان.**

مجلة "يو"

التفاؤل والصمود في الأزمات

كلنا يمر بتجارب قاهرة فمنّا من تقصمه الصعاب
ومنّا من يجتازها ويحيا

ان التكيف مع حدث قاصم، كوفاة حبيب أو طلاق أو مرض أو فقدان وظيفة، هو مؤلم دائما، لكن بعض الناس يتخطون تحولات كهذه بلباقة. فما الذي يساعد هؤلاء في السيطرة على تبدلات حياتهم؟

لقد توصل الباحثون المختصون عمليات التبدل الى تحديد التدابير المميزة الآتية التي تساعد في التكيف والاوضاع الجديدة:

١. **التفاؤل يُجزي**. يقول أستاذ علم النفس كريستوفر بيترسن: "ثمة وهم شائع أن المتفائل ساذج. والحقيقة أن المتشائم لا يجيد التكيف والاوضاع الجديدة لأن موقفه السلبي يعميه عن رؤية الحلول الممكنة. والمتفائل اكثر سعادة وأوفر صحة وأقدر على ايجاد حلول للمشاكل اذ يواجهها بالقول: "سوف أتمكن من معالجة هذه المسألة."

PHOTO: © RON LOWERY / TSW

وهذا ما قاله بوب ديل لنفسه اذ خف على أثر الصدمة التي اصابته بعد أزمة شخصية. وكان بوب عمل أكثر من ٢٦ عاماً في مصنع لتوضيب اللحوم في بنسلفانيا، ثم أقفل المصنع نهائياً من دون إنذار. فوجد بوب نفسه وهو في الخامسة والاربعين من عمره عاطلاً عن العمل ومن دون تعويض خدمة، مسؤولا عن اعالة زوجة وطفلين وتسديد رهن، وهو لا يملك لذلك سوى شهادة ثانوية.

يقول: "في البدء سألت نفسي: كيف السبيل الى تخطي أزمتي؟ ثم قررت: لا يجوز أن أتوقف، يجب أن أجد عملا جديداً."

بعد فترة وجيزة زاره مندوب احدى شركات التأمين. ويتذكر بوب: "قلت له انني عاجز عن دفع أي مبلغ لأنني عاطل عن العمل. فأخبرني أن شركته في صدد توظيف مندوبين جدد، ونصحني بتقديم طلب عمل."

لم يهمل بوب الفكرة مع أنه لم يبع شيئاً في حياته. فهو، كمتفائل نموذجي، كان منفتحا على كل الاحتمالات.

وجب عليه أولا أن يخضع لامتحانين. أولهما لتقويم خبرته المهنية، وثانيهما اختبار يجريه مارتن سليغمن أستاذ علم النفس في جامعة بنسلفانيا.

أظهرت أبحاث سليغمن، انطلاقا من فرَضية توافر مستوى أساسي من المهارات لدى موظف المبيعات، أن العامل الأهم الذي يجعله بائعاً جيداً ليس جدارته المهنية بمقدار ما هو وضعه النفسي. فلكي يكون البائع ناجحا يحتاج الى مخزون عميق من التفاؤل يساعده على الصمود في وجه الرفض المستمر. ويعتقد سليغمن أن المتفائلين ينزعون الى اعتبار النكسات أموراً موقتة لا دائمة. وهو أقنع الشركة بتوظيف أكثر من مئة مندوب جديد أظهر الاختبار ضعف أهليتهم وقوة تفاؤلهم، متكهنا بأنهم سيبيعون أكثر من الموظفين الجدد الذين أظهروا أهلية عالية وتفاؤلاً متدنياً. وكان محقاً، اذ تفوّق المتفائلون على زملائهم المتشائمين في نسبة المبيعات.

ويقول سليغمن: "يعتقد المتفائلون أن الامور ستتحسن، ويتصرفون على هذا الاساس. هؤلاء الناس قادرون على تحويل أي ظرف لمصلحتهم."

كان بوب ديل واحداً من ١٣٠ موظفاً جديداً "متفائلا" انضموا الى الشركة. وفي أقل من سنة تحوّل من عامل يحشو النقانق الى بائع متفوق يكسب ضعفي ما كان يتقاضاه في مصنع توضيب اللحوم. وعلم ديل بأمر الاختبار لاحقاً من مقال في احدى المجلات. وبتفاؤله المعهود، اتصل بسليغمن معرفاً بنفسه وباعه بوليصة تقاعد.

٢. **التقدم خطوة خطوة.** ثمة ظروف مخيفة يصعب النظر اليها بتفاؤل. فما العمل ازاء ظروف كهذه؟

كانت غرايس شافير في الخامسة والثلاثين عندما توفي زوجها جيري على نحو مفاجىء تاركاً لها أربع بنات صغيرات ومؤسسة تجارية متعثرة. وتقول: "بعد الحزن العظيم اجتاحتني

موجة رعب. كيف لي أن أحافظ على استمرار المؤسسة وأسدّ حاجات بناتي؟ واستمر القلق مسيطراً علي الى أن أدركت أنني أهدر طاقتي.

"وكانت خطتي الجديدة أن أشغل نفسي بشؤون بناتي والمؤسسة بحيث يستحيل علي التفكير في أي شيء آخر. وبتّ أعيش ليومي: لا خطط لخمس سنوات، ولا لسنة واحدة، بل خطة لكل يوم."

هذا الاسلوب يحمينا من الغرق في "الصورة الكبرى." وترى آن بنبرثي الاختصاصية بعلم النفس السريري، أن تجزئة الامور مراحل لا تتعدى الواحدة منها ١٥ دقيقة تبني لنا "تاريخاً من التغلب على الصعاب" يدعمنا للاستمرار في الحياة. وعندئذ يتحول السؤال من "كيف سأتدبّر أمري حتى آخر عمري؟" الى "كيف سأتدبر أمري في الدقائق الخمس عشرة المقبلة؟" وهذا يشجع الناس على التوقف عن القلق والشروع في العمل."

كانت غرايس شافير تشك في قدرتها على التكيف وواقع وفاة زوجها. لكنها أفاقت يوماً لتجد أنها اعتادت خسارتها: "اضمحلّ شعوري بالعجز وتساؤلي كيف أستطيع العيش من دونه، اذ ألفيت نفسي أعيد تنظيم المؤسسة وأعيل بناتي وأدير شؤون العائلة."

٣. التمسك بالايمان. يعتبر طبيب الامراض النفسية فردريك فلاك أن الايمان هو "العنصر الاكثر حيوية" في المرونة التي نحتاج اليها للتكيف والأزمات الشخصية. فالايمان يغذي الأمل. ويقول في كتابه "المرونة": "تذكرنا الصلاة بأن ثمة مساراً أفضل لحياتنا قد لا نستوعبه كلياً ولكن يمكننا أن نصبو اليه اذا نحن تحركنا مع الاحداث في تطورها."

صبر أيوب عليه السلام على مصائبه المتكررة رافضاً بعناد أن يكفر بنعمة الخالق. وعندما انتهت تجاربه جازاه الله خيراً على ايمانه. هكذا، يشعر الناس في الازمات بأنهم يخضعون لامتحان لا تتكشف اهدافه ومكافآته إلا بعد حين، وقد لا تتكشّف أبداً.

أما غرايس شافير فوعت الهدف الحقيقي لحياتها في أثناء صلاة تذكارية لراحة نفس زوجها. وهي تقول: "عندما نظرت الى طفلتي النائمة بين ذراعي أدركت فجأة أنها المستقبل، وان من واجبي أن أحيا من أجلها وأجل أخواتها."

٤. درس الوضع. لا يعني التفاؤل أن نكون عمياناً. فالنجاح في التكيف يتطلب تحليل الوضع بدقة. ويحذر بيترسن: "اياكم وتجاهل الحقائق الصعبة. الاعتقادات المتفائلة تساعد لكنها لا تغيّر الحقائق."

أما الحقيقة الصعبة في حياة مارشا داولينغ فكانت الكفاح للاحتفاظ ببيتها بعد طلاق صعب من دون نفقة أنهى عشر سنين من الحياة الزوجية.

وفي وحدتها وكآبتها وتحت وطأة

ضغط مالي هائل، درست مارشا وضعها واستنتجت أن عليها النهوض من عثرتها. وتقبلت ضرورة العمل سبعة أيام في الاسبوع الى أن تمكنت من الوقوف على أرض صلبة.

إن مواجهة مارشا المتطلبات المتغيرة لوضعها الجديد ساعدتها في التكيف.

أجروا "جردة" لموجوداتكم أيضاً. فالدور العملي للمال غالبا ما يهمل في الازمات. وتقول العالمة النفسانية سوزان فوكمن: "المال مهم جداً في الظروف الصعبة. فهو يزيد الخيارات المتاحة." ان شخصا عاطلا عن العمل ويملك مالا في مصرف، يستطيع الصمود حتى يجد وظيفة مناسبة بدل قبول أول عرض.

الاقارب والاصدقاء والجيران والمرشدون الذين يقدمون النصح والدعم المعنوي هم نوع آخر من الذخر.

ولكن توقعوا أن تتغير صداقاتكم والعلاقات الاجتماعية التي كانت تدعمكم. يقول أستاذ علم النفس روبرت د. فلنر: "عندما نتقاعد نفقد اتصالاتنا بالناس الذين كنا نراهم كل يوم في العمل. واذا طلقنا شريك حياتنا فقد لا نلتقي الازواج الذين كنا نقيم معهم علاقات اجتماعية."

وعلى رغم أن مارشا داولينغ كانت تعيش وحيدة، اذ توفي والداها ولم ترزق أولاداً، فهي أفادت من دعم بعض أصدقائها المقربين ومن انتمائها الى جمعية نسائية.

٥. **الشروع في العمل.** شعر رجل الاعمال جيم بلوت بالعجز عندما أصيب بنوبة قلبية كادت تودي بحياته وهو في الحادية والثلاثين من عمره. وأشار عليه الاطباء بأن يغير عاداته ويخفض وزنه البالغ ١٣٠ كيلوغراما وإلا أصبح عاجزاً عن صعود السلالم وحتى عن اللعب مع طفليه. ويقول جيم: "لم أتقبل فكرة تحولي كسيحا بسبب مرض القلب، وأدركت أنه آن الاوان لكي أغير بعض عاداتي."

توقف جيم عن التدخين وتناول القهوة واتبع حمية صارمة. ثمّ باشر رياضة المشي بناء على نصيحة طبيبه، وانتقل بعدها الى الهرولة. وفي سنة ونصف سنة خفض وزنه ٥٧ كيلوغراماً وأصبح في وضع صحي سليم مكّنه من الاشتراك في سباق للمسافات الطويلة.

كان في وسع جيم أن يتبع سبلا مختلفة تؤدي الى الشفاء. ولكن، كما تقول الاستاذة نانسي ك. شلوسبرغ في كتابها "المقهورون: المتكيفون مع خير الحياة وشرها": "ليس المهم التزام خطة معينة، بل التزام المرء تحريك قدراته وتجربة أمور جديدة."

ليس كل من يواجه أزمة يتمكن من الافادة منها، لكن كثيرين ممن يجتازون تجربة التبدل يصبحون أفضل استعدادا لجبه أي تحد قد يعترضهم.

تتذكر غرايس شافير التي أنقذت مؤسستها المتعثرة وتزوجت ثانية، أنها كانت تقلق كثيراً لأمور تافهة: "بعد وفاة جيري تعلمت ألا أخاف. وأدركت أنني ما دمت تغلبت على أقسى الضربات ففي وسعي تدبر كل أموري.

وليم توماس بكلي ■

أمّ الفقراء

العالم مليء بأطفال جياع ومرضى وهذه سيدة تبلسم بعض الجروح

جاءت المكالمة الهاتفية باكراً صباح يوم أحد من نوفمبر (تشرين الثاني): هل توافق دورين ويكس وزوجها بن الرسام الكاريكاتوري، على مقابلة شابين في حاجة ماسة الى مساعدة؟

وبعد ساعة جلس الزوجان في غرفة فندق في تورونتو بكندا يستمعان الى القصة المرعبة التي رواها لهما عضوان في "هيئة إغاثة إريتريا" ومفادها أن القوات النظامية في اثيوبيا (الحبشة) تنفذ سياسة الأرض المحروقة لتهجير الشعب الاريتري الى مستوطنات جديدة، وأن الجفاف المدمر أوصل إريتريا الى شفير المجاعة المفجعة.

قاطعهما بن: "هل هيئتكم مرتبطة بالجبهة الشعبية لتحرير إريتريا؟"

فأجابا معترفين: "نعم."

فاستدار بن مخاطباً زوجته: "إذاً، للقضية وجه سياسي. فلئن قررتِ مساعدة هؤلاء الناس فسوف تتورطين في مسائل خطرة...".

لم يبدُ على دورين أنها سمعت قوله، بل انحنت الى الأمام وسألت الإريتريَّين: "هل يموت النساء والأطفال في منطقتكما لنقص في الأدوية؟"

فأجاب أحدهما: "نعم، بعشرات الآلاف..."

قالت: "إذاً سنساعدكم."

باشرت دورين ويكس اجراءاتها على الفور. انها امرأة معسولة اللسان في الخامسة والخمسين من العمر أسست "الهيئة العالمية للامدادات التربوية – الطبية الكندية."(*) وهي جمعت خلال بضعة أسابيع ٣٧ صندوقاً من المواد الطبية، فيما توصل زوجها بن الى إقناع شركة الخطوط الجوية البريطانية بنقله مع المؤن مجاناً الى السودان.

كان دخول منطقة الثوار الإريتريين مغامرة مثيرة بالنسبة الى بن ويكس، وهو رجل طريف بالغ الحيوية. وصل بن الى بور سودان ومكث يومين في فندق رخيص ينتظر ملاقاة عناصر الاغاثة. وعندما وصل ثلاثة منهم في سيارة "لاندروفر"، يقول بن، "حمَّلنا المؤن في الشاحنات ثم انطلقنا في السيارة." وبعد ١٥ ساعة من

(*) Global Ed - Med Supplies Canada Inc. (Gems)

السفر المضني عبر الصحراء غير المطروقة، بدأ السائق يبحث عن الممر الوعر المؤدي الى قاعدة الثوار في واد خفيّ.

يقول بن: "لن أنسى ذلك ما حييت. كانت الشمس بدأت الشروق. فجأة برز من خلف صخرة جندي علق على كتفه بندقية. تبسم وحيّانا مرحباً، ثم أشار الينا بالعبور. بدا الأمر كمشهد من فيلم وسترن أمريكي."

ترك بن نصف المؤن في المخيم. واقتيد في الأيام العشرة التالية الى موقع لـ"الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا" عبر مناطق مقفرة. هناك شاهد نحو ٦٠٠٠ لاجيء إريتري وقد تكوكبوا طالبين مأوى تحت خيم من الخرق والاغصان انتشرت على قاع نهر جاف تكويه أشعة الشمس.

يذكر بن: "كان هناك مستوصف حجبته جمهرة من الأمهات الجاثمات حوله وهن يحملن رزماً صغيرة. وقد نهض بعضهن بصعوبة ودفعن أولادهن إليّ. كنت أبيض البشرة، لذا ظننَّ أني طبيب. وكانت مؤننا قليلة، لكن الطبيب الشاب هناك رآها استجابة لصلواته."

ولمّا عاد بن من إريتريا أخبر دورين أن كثيراً من الاطفال السيئي التغذية يموتون في ليالي الصحراء الباردة لنقص في الحرامات. فقالت: "سنشنّ اذاً حرب حرامات."

دورين باحثة متفوقة عن اللوازم المجانية عندما يتعلق الأمر بقضية محقة. وإذ أتاحت لها محطات الإذاعة فرصة طلب المساعدة، جمعت عدداً من المتطوعين وبعثت رسائل الى مدارس تورونتو طالبة من التلاميذ التبرع، كلٌ بحرام لا يحتاج اليه.

ووافقت شركة "يونايتد فان لاينز" للحافلات على جمع الحرمات ونقلها الى مصابغ "كاديت" لتنظيفها ثم الى شركة "سينيود كندا" لتوضيبها. كل ذلك من دون مقابل. وسرعان ما تجمَّع ٥٠ ألف حرام شحنت الى مراكز اللاجئين الاريتريين.

وطرحت مشكلة أخرى هي الرَمَد (التهاب باطن الجفن) الذي تفشى بين الاطفال وتسبب في اصابة كثيرين بالعمى. ازاء ذلك اتصلت دورين بشركة أدوية تبرعت بـ١٥ ألف أنبوب من مراهم المضادات الحيوية (أنتيبيوتيك) التي تنقذ الاطفال من العمى المحتوم.

اطفال منتفخو البطون. ليس من طبيعة دورين ويكس غض الطرف عن أي مشكلة تواجهها. لهذا السبب أسست "الهيئة العالمية للامدادات التربوية – الطبية الكندية."

بدأ ذلك عام ١٩٧٨ عندما كتب بن مقالا عن ميتم للاطفال العمي والصم تديره متطوعة في هاييتي. حرك المقال عاطفة ابنته المراهقة سوزان التي تطوعت للمساعدة خلال عطلتها الصيفية. وكانت دورين في هذه الاثناء ممرضة غير متفرغة وأما لثلاثة أولاد. واذ كثرت مكالماتها الهاتفية مع سوزان، رأى بن من الأوفر أن تسافر جواً الى هاييتي.

تقول دورين: "هالني ما رأيت من

أولاد منتفخي البطون وأمهات يحملن أطفالا يبِّسهم الكزاز وعائلات منحشرة في أكواخ من صفيح." وكان أكثر ما يثير الشفقة منظر الاطفال الذين يعانون ديدانا أمعائية.

ولدى عودة دورين الى كندا قالت لزوجها: "يجب القيام بعمل ما." ثم سافرت الى بريطانيا وتعلمت من اختصاصي هناك كيف تعدُّ برنامجا رائداً لمعالجة الاطفال المصابين بهذه الطفيليات. وأقنعت شركة "جونسون اند جونسون" للمستحضرات الصيدلانية بتقديم كمية مجانية من دواء "فرموكس" الذي اقترحه الطبيب البريطاني. ثم يممت شطر هاييتي في اوائل مايو (أيار) ١٩٨٠. ورافقت بعثة طبية الى قرية جبلية استلزم الوصول اليها ركوب سيارة جيب والتجذيف في قارب على مدى أيام.

وهناك دعمت دورين العلاج بالارشاد الصحي. وتذكر أن "بعض الأمهات كن يسرن ثلاثة ايام لاحضار أولادهن الى المستوصف. كن حقاً رائعات."

ورائعة كانت نتائج أعمالها، اذ بينت الفحوص بعد ستة أشهر من العلاجات الأولية ان ثلاثة أطفال فقط من اصل ١٢٠ عاودهم المرض. وبعد سنة تولت المهمة هيئة كبرى. وقد افاد ما يزيد على ٢٠ الف طفل من هذا البرنامج.

ولدى عودة دورين الى تورنتو كتبت رسائل الى نحو ٤٠٠ مستشفى في كندا بلغها أنها تطرح معدات قديمة ما زالت صالحة للاستعمال، وبينها أسرّة وحقن وآلات جراحية وقساطر وماكينات تعقيم أجهزة أشعة سينية (إكس)، وهي معدات يتمنى أطباء البلدان الفقيرة الحصول عليها.

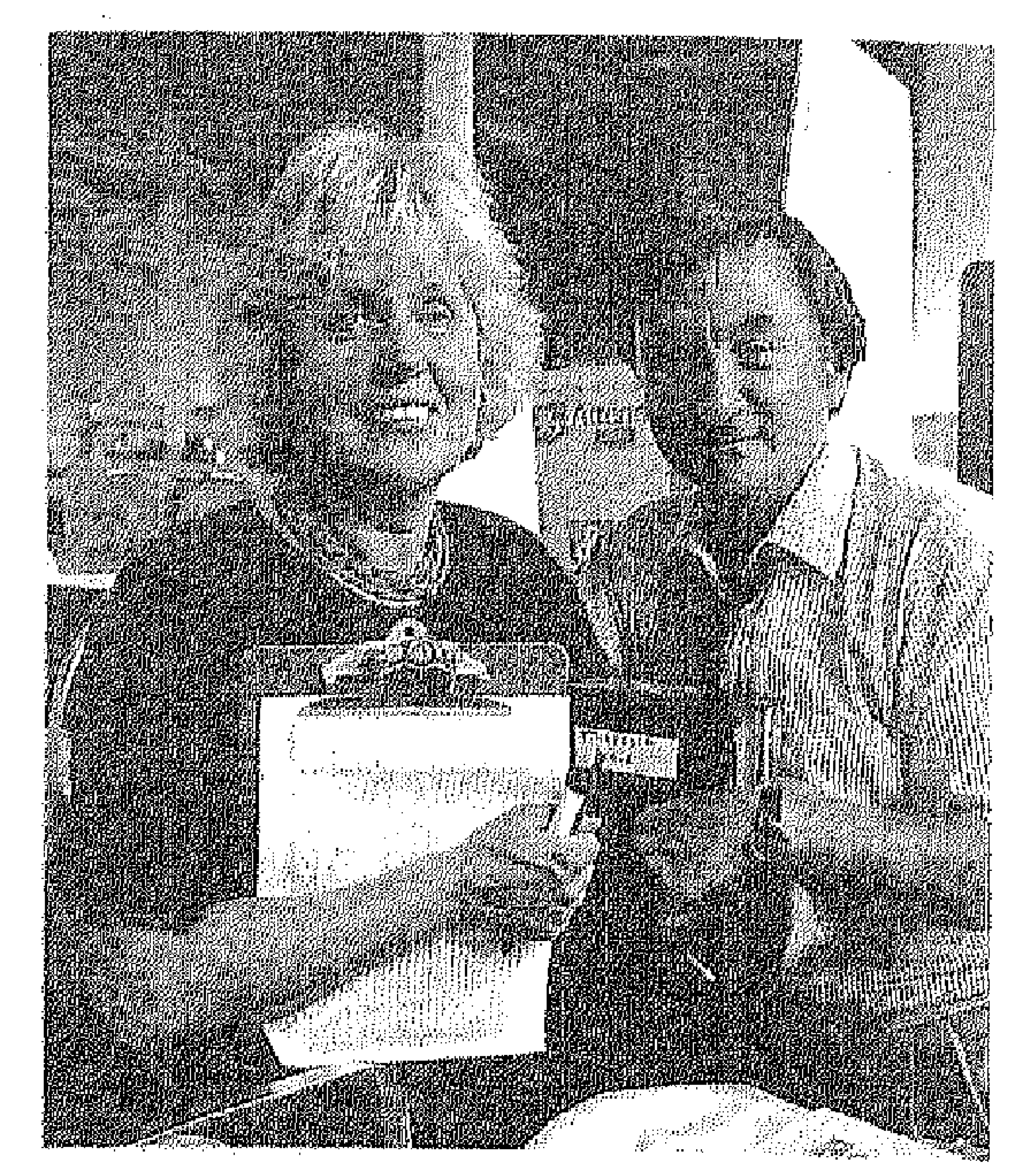
جاء رد المستشفيات غامراً. وتدفقت على الزوجين امدادات من كل نوع بفضل النقليات المجانية التي أمنتها "يونايتد فان لاينز."

قال بن لزوجته: "نحن في حاجة الى مستودع. وبسرعة!"

وخلال سنة وزعت الهيئة مساعدات بقيمة مليون ونصف مليون دولار: معدات لعلاج السرطان الى مستشفى في البيرو، وأغطية ومأكولات وأسرَّة أطفال الى مستوصف توليد في ترينيداد، وأدوية وضمادات الى مجمَّع للبرص في هاييتي. وتنجز دورين هذه الأعمال بمساعدة ثلاثة موظفين ومجموعة من المتطوعين وعدد من المستشفيات، فضلا عن المتبرعين من أشخاص وشركات.

[illegible]. نشأ الزوجان ويكس في عائلتين فقيرتين. وُلد بن عام ١٩٢٦ في حي فقير جنوب جسر لندن. ووُلدت دورين في بريستول عام ١٩٣٥، وكان لها أشقاء ثلاثة وأربع شقيقات كنَّ، كما تقول دورين، ينمن "في سرير واحد... ثلاث تحت واثنتان فوق."

كانت دورين في التاسعة عشرة من عمرها عندما ذهبت لقضاء عطلة في نيوكي بمنطقة كورنوول. وعلى الشاطىء ذات يوم اقترب منها شاب قصير ضحوك يتحدث باللهجة الكوكنية السائدة في أحياء لندن الفقيرة، وعرفها بنفسه.



دورين ويكس وزوجها بن في مستودع الهيئة في تورونتو.

لكنه لم يخلف في نفس دورين أثراً يذكر. بل هي رأت فيه انتهازياً اذ أكل غير مستأذن كل ما لديها من حلوى، وطلب منها ١٠ شلنات تعهد أن يعيدها عندما يقبض راتبه. ومع ذلك لاحظت فيه سحر من يتكل على الحظ. كما لاحظت أنه يتجول حاملاً إضمامة رسم وقلم رصاص. وكان بن بدأ ينتج رسوماً كاريكاتورية ونشر بعضاً منها.

أحب بن دورين وراح يتودد اليها. ولم تمض بضعة أشهر حتى تزوجا.

قررا مباشرة حياتهما المشتركة في كندا، فسافرا الى كالغاري حيث عملت دورين ممرضة، فيما تنقل بن بين عدة وظائف، ثم عاد الى ممارسة الرسم. وأرسل بضعة رسوم كاريكاتورية الى مجلة "ساتردي إيفننغ بوست" الامريكية التي، لدهشته، اشترتها.

بيد أن أياماً سيئة تلت ذلك، اذ خسر بن عمله كبائع حليب في وقت كانت دورين حاملاً ومن دون عمل. وسرعان ما انفقا كل مالهما ولم يبقَ معهما سوى ٥٠ دولاراً. فدفع اليأس بن الى الالتحاق بالجيش عازف مزمار.

وما إن توافر له راتب ثابت حتى عاد الى الرسم جديا. وأنجز مجموعة رسوم من نوع "كاريكاتور الجيب" وباعها من مجلة "ألبرتان" في كالغاري. ولم تمضِ ستة أسابيع حتى انهالت عليه الطلبات من بضع عشرة مجلة كندية.

ويتهكم بن على موهبته الفنية، لكنه يعتبر نفسه "بائعاً رائعاً." واذ اقتنع بأن رسومه قادرة على بلوغ جمهور أكبر، ذهب الى تورونتو عام ١٩٦٣ وأبرم عقداً مع نقابة "تلغرام" التي تبيع مواد معدة للنشر الى عدة صحف ومجلات في وقت واحد.

وعندما أنهى بن خدمته في الجيش استقر مع عائلته في تورونتو. وهو قارب الاربعين من عمره، لكنه بدأ يصيب قسطاً كبيراً من النجاح الى أن بات في السبعينات واحداً من أنجح الرسامين الكاريكاتوريين في كندا.

قطرة في دلو. كان في وسع الزوجين الانصراف الى حياة مريحة بعدما تحقق لهما الاستقرار المالي. بيد أن آلام شعوب العالم الثالث أصابتهما في الصميم، فلم يجدا سبيلا الى نسيانها.

دأب بن على تخصيص نصف وقته لجمع التبرعات وتنظيم الحملات

PHOTO: JOHN REE

الاعلامية لهيئة الامدادات التربوية – الطبية. ومن نشاطاته دفع زملائه يوم "عيد الشكر" من كل عام الى التبرع بجنى مواهبهم لاحدى قضايا الهيئة، ومنها: تمويل أعمال خيرية في الاحياء الفقيرة في ليبيريا، وتمويل بعثة من كيبيك مؤلفة من ثلاث فتيات يدرن مستوصفا في ناحية جبلية نائية في هاييتي، وتمويل ممرضة من نيو برنزويك تعمل بعناد في مستوصف وسط الحرب التي كانت تمزق الموزامبيق آنذاك.

في تلك الاثناء استغلت دورين أموالا قدمتها "هيئة التنمية الكندية الدولية" لتوسيع أعمالها ومساندة مشاريع انماء الأحياء الفقيرة في جامايكا وهاييتي وليبيريا. وفي العام ١٩٨٦، خلال زيارة لها المستوصف وست بوينت للأحياء الفقيرة في ليبيريا، وجدت أن المتطوعة الكندية تريزا هيكس تواجه ضغطا في العمل. وفيما هي هناك دخلت جدة تحمل طفلا مصابا بحمى شديدة وبذات الرئة وحمى التيفوئيد والاسهال الحاد، وجسمه متجعد بفعل الهزال والجوع.

قالت تريزا لدورين وهي تضع الطفل بين يديها: "هيا، مارسي التمريض!"

لم تر دورين في حياتها حالة تيفوئيد. لكنها سارعت الى تغذية الطفل بمحلول لمعالجة الجفاف مؤلف معظمه من السكر والملح المذابين في الماء. فقالت لها تريزا: "خلال نصف ساعة سترين الفرق واضحا في هذا الصغير. لقد استعاد فجأة قدرته على البكاء."

اعتادت أم الطفل المصاب تناول وجبة واحدة في اليوم، لذا ظنّت أن طفلها لا يحتاج الى التغذية سوى مرة واحدة يوميا. واذ أبرز هذا الحادث لدورين أهمية التربية الصحية، باتت الأقلام والكتب وكراريس الارشاد التي تتحدث عن النظافة والصحة والعناية بالاطفال، جزءا أساسيا من برنامج الاغاثة.

لا تخالج الزوجين ويكس أوهام في سياق عملهما الدؤوب لتخفيف المعاناة عن شعوب العالم الثالث، اذ إنهما كمن يرمي قطرة في دلو. بيد أنهما يستمدان رضى من تذكارات كثيرة ترد عليهما: صورة أم تبتسم وطفلها جالس وسط ملاءات نظيفة في مستوصف وست بوينت للأحياء الفقيرة في ليبيريا. ورسالة من جزر مالايو جاء فيها: "تسلمنا بفرح ما أرسلتموه." ورسالة من البيرو تشكر الهيئة على المؤن "التي بعثت لدى سكان هذه القرية المنسية أملا بالتغيير."

وهذه قطرات كبيرة.

تشارلز و. سميث ■

حسابات أم

ساعدت ام ابنها المراهق في حل تمارين الرياضيات. وبعد اسبوع اعاد الفتى دفتره الى البيت وقال لامه مطلقاً زفرة عميقة: "آسف يا اماه، لقد اعطاك الاستاذ صفراً!"

د.ت.ف.



الميكروويف ساحرة في مطبخك!

"الموجة الصغرى" تطهو الطعام وتقتل الجراثيم وتشفي من السرطان!

حار روبرت شيفمان في أمره وهو يحاول جاهداً تحضير الفشار (البوب – كورن) المطلي بالكراميل في فرن الميكروويف[1]، إذ كانت حبوب الذرة تتفحم أو تقصر عن التفتق. وغالبا ما كانت طلية الكراميل تتحول مادة لزجة سوداء كالقار.

لقد سبق أن احتار شيفمان، لكنه كان دائما يتغلب على العقبات. فعلى مدى ٢٥ سنة قضاها يدرس المنافع الطهوية لطاقة الميكروويف، جبه أكثر المشاكل إثباطا للهمم، ومنها: لماذا تفور القهوة السريعة الذوبان في الميكروويف؟ وكيف تمنع فطائر المربى المجلدة من "التفجر"

(١) microwave أو الموجة الصغرى.

عندما تتعرض لحرارة الميكروويف؟

بيد أن أصعب ما واجهه كان معضلة الفشار بالكراميل التي يشرحها شيفمان: "تتفتق حبوب الذرة في درجة الحرارة ذاتها التي يحترق فيها الكراميل." لكن التحديات التي تواجه العلماء في أبحاث الميكروويف تتجاوز كثيراً قضايا المطبخ اليوم. فـ"الفرن"، يقول شيفمان، "أطلق العنان للقدرات الابداعية للجميع."

بدأ استعمال الميكـروويف خلال الحرب العالمية الثانية عندما باشرت شركة "رايثيون"، التي كانت آنذاك شركة صغيرة للالكتـرونيات خـارج بـوسطن، انتـاجـا واسـع النطـاق للمغنطرون[٢] وهي المرسلة الصغيرة التي لا غنى عنها في الرادار الجديد. والمغنطرون أنبوب خوائي (مفرّغ) يحوِّل الكهرباء موجات كهربائية – مغنطيسية صغرى (ميكروويف).

وبالمصادفة، اكتشف برسي سبنسر البـاحث لـدى "رايثيـون"، قـدرة الميكروويف على الطهو. ففيما كان واقفاً بتكاسل يستمع الى طنين رادار يعمل بالميكروويف، تبين له أن لوح الشوكولاتة في جيبه ذاب تماماً. فالتمعت في ذهنه فكرة عمد على أثرها الى تسليط الميكروويف على بعض حبوب الذرة، فتفتقت للحال! وكانت تلك أول وجبة يُنضجها الميكروويف. وفي العام ١٩٤٧ انزلت "رايثيون" الى الأسواق نموذجاً أخرق بطول رَجُل، بعيداً كل البعد عن أفران الميكروويف المستعملة اليوم في التسخين وتذويب الجليد عن الأطعمة.

ولم يفهم الباحثون الا في الماضي القريب كيف يُسخِّن الميكروويف الطعام، وكيف يطهوه بهذه السرعة. فالأفران العادية تُسخِّن الطعام من خارج الى داخل: فهي تنشط جزيئات الهواء التي تضرب بعنف جزيئات سطح الطعام، فتثير هذه بدورها جزيئات الطبقات الأعمق. وهكذا، طبقة فطبقة، تصل الحرارة بعد نحو ساعة الى لب الطعام.

على نقيض ذلك، يعمل الميكروويف بايصال طاقته مباشرة الى الطعام الذي يسخن فيما يبقى هواء الفرن بارداً. وخلافاً للأفران التقليدية، تسخن أفران الميكروويف الطعام من داخل ومن خارج في آن، وإن بغير توازن أحيـاناً. فالميكروويف ينشط ملايين المليارات من طبقات الجزيئات دفعة واحدة، وخصوصا جزيئات الماء التي تدور على الدوام محدثة احتكاكا يولد حرارة تنتقل بدورها الى جزيئات البروتيين والكربوهيدرات والدُهن.

ولا صحة للمفهوم السائد بـأن الميكروويف يُسخِّن الأطعمة من داخل الى خارج. والواقع ان خسارة بعض الحرارة في الهواء الأبرد حول الطعام يؤدي الى برودة أجزائه الخارجية بسرعة أكبر.

معالجة السرطان. لا يقتصر عمل الميكروويف على طهو الطعام. ففي مختبر "كرافت جنرال فودز" في تاريتاون بولاية نيويورك، يعتمد الفيزيائي تشارلز بفلر

(٢) Magnetron.

هذه التقنية لتعجيل بَسْترة الطعام[٣] وتطويرها لتشمل التعقيم. يقول: "البسترة لا تقتل كل الجراثيم، لذلك يتوجب حفظ الحليب في الثلاجة. أما الأطعمة المعقمة والمختومة ضمن أكياس محكمة السداد فتحتفظ بجودتها وإن بقيت سنوات على رفوف المحال."

والقضاء على جميع الجراثيم يستوجب رفع الحرارة الى ١٢٠ درجة مئوية لثلاث دقائق. لكن رفع الحرارة بالوسائل التقليدية يفتت الطعام متى بلغ درجة التعقيم. لذا يأمل بفلر أن يتمكن من إبقاء اللحوم طازجة والجزر يانعاً بواسطة الميكروويف.

ومنافع التعقيم بالميكروويف ليست قصراً على منتجي المأكولات، اذ يمكن الإفادة من هذه التقنية في التخلص من النفيات الطبية التي تحمل جراثيم معدية. وقد توصل علماء ألمان غربيون الى ابتكار أسلوب لتطهير هذه النفيات بواسطة الميكروويف. وبعد المعالجة بهذا الأسلوب يمكن تصريف هذه النفيات كأي نفيات عادية.

بيد أن أكثر التطبيقات الطبية إثارة هي استخدام الميكروويف في تدمير الأورام السرطانية. وليس "مركز سيتي أوف هوب الطبي" في كاليفورنيا سوى واحد من ٢٠٠ مستشفى أمريكي يلجأ الى معالجة السرطان بالفرط الحراري الميكروويفي.[٤] مرتين في الاسبوع، يسلط الاطباء موجات صغرى مخفوضة الطاقة لمدة ساعة على الورم السرطاني، ثم ترفع الحرارة الى ٤٣ درجة مئوية أو أكثر. يقول الدكتور كنيث لوك العالم بمعالجة الأورام بالأشعة: "هنا يحدث أمر في غاية الروعة. فالأنسجة السرطانية السريعة التأثر بالحرارة تبدأ بالاضمحلال."

يترافق هذا العلاج عادة والعلاج التقليدي بالأشعة والمواد الكيميائية. لكنه لا يخلو من بعض سيئات، بينها أعراض جانبية كالحروق والقروح.

لغز البيتزا. للميكروويف تطبيقات صناعية متنوعة، منها ما تلجأ إليه شركة "لوكهيد" في تجفيف المواد المستعملة في صناعة السيراميك (الخزف) الخفيف الوزن الذي يقي المكوك الفضائي الحرارة المتأتية من اختراق المجال الجوي للارض. كما تجري شركات أخرى اختبارات على الميكروويف في تجفيف الأخشاب. ولكن سيكون للميكروويف، على الأقل في المستقبل القريب، أبعد الأثر في الصناعات الغذائية حيث تبقى معضلات كثيرة في حاجة الى حل.

واحدة من هذه المعضلات التي اقضّت مضاجع المهندسين هي مسألة "التسفّع والهشاشة." مثلاً، عندما تتحمص فطيرة بيتزا في فرن عادي، ترتفع جزيئات الماء فيما يخبز العجين، ولا يتبخر منها سوى تلك التي تبلغ السطح. لذا يبقى العجين رطباً من الداخل وهشاً من الخارج.

(٣) Pasteurization . وهي تعقيم السوائل والاطعمة جزئيا بحرارة تقتل الجراثيم من غير ان تحدث في المادة المبسترة تغييرا كيميائيا جوهريا.

(٤) Microwave hyperthermia .

أما في أفران الميكروويف، فتتبخر جزيئات الماء عميقاً في العجين. ثم، عندما تتدافع هذه الجزيئات نحو السطح، يتولى الهواء البارد تكثيفها، فتعود الى القشرة. لذا تخرج البيتزا من الفرن ندية مترهلة.

ولمعالجة هذه المسألة، عمدت شركة "ديبوزيشن تكنولوجيز" في سان دييغو بكاليفورنيا الى ابتكار حل جزئي قوامه "مِحَسّ" هو غشاء معدني يسخن متى تعرض للميكروويف. والفكرة ألهمها الغلاف الخارجي الممتص لموجات الرادار في القاذفة "ستيلث" التي لا يمكن الرادار رصدها. فالمحسّ يمتص الموجات الصغرى تماماً كما تمتصها "ستيلث"، ثم يحوِّل الطاقة حرارة تصل خلال ٢٠ ثانية الى ١٧٥ درجة مئوية.

وتعمل هذه الأدارة الرمادية الصقيلة مثل السخّانة التي تسفع كل ما يوضع عليها من أطعمة كالبيتزا والبطاطا المقلية وغيرهما.

ويوم أتم المهندسون معالجة مسألة "التسفع والهشاشة" بات حل معضلة "الفشار بالكراميل" مسألة وقت فقط. وكالعادة، وجد روبرت شيفمان الحل.

فقد أجرى تجارب تناولت مواد عدة – لم يصرح بها – تمزج بالكراميل وتكوِّن "كوابح حرارية." فتمتص هذه المواد المضافة بعض طاقة الميكروويف مبطئة سرعة نضج الكراميل مما يتيح للفشار الوقت اللازم للتفتق. وهكذا توصل شيفمان الى حل عالي التقنية لمسألة شغلته وقتاً طويلاً.

مارك رومان ■

غسلة جامعية

شعرت صديقتي بتعاسة غامرة عندما غادرت ابنتها الوحيدة المنزل للالتحاق بالجامعة. وبعد شهر رايتها في حديقة منزلها تنشر الغسيل على ستة حبال. وعندما سالتها عن هذه الغسلة الكبيرة اجابتني مبتهجة: "اتت سناء لزيارتنا مصطحبة بعض صديقاتها."

واضافت: "انا لم اخسر ابنة، بل ربحت جامعة."

ش.هـ.

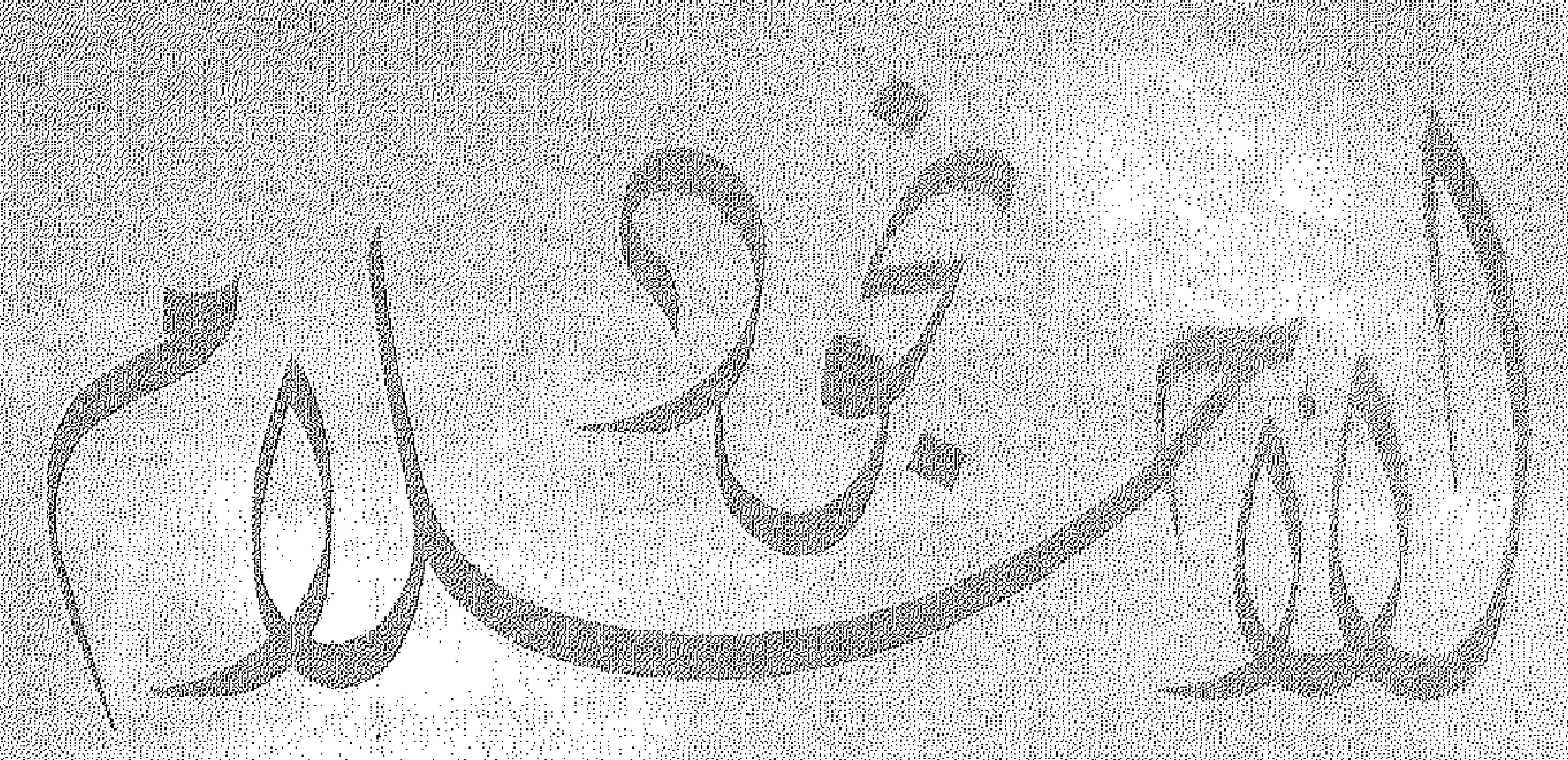
كاذب صغير

لاحظت أن طفلي البالغ الرابعة من عمره يكذب أحياناً، فحذرته من أن من يكذب تظهر بقع على لسانه. ثمّ طلبت منه أن يمدّ لسانه، وعندما فعل صرخت: "ها! هناك بقعة."

فأجابني من دون أن يرمش له جفن: "انها من الاسبوع الفائت."

ب.ف.د


صَبَاح الخَيْر!
NESCAFE
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ..١ بالمئة صافية سريعة التحضير .
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح .
PI 2960



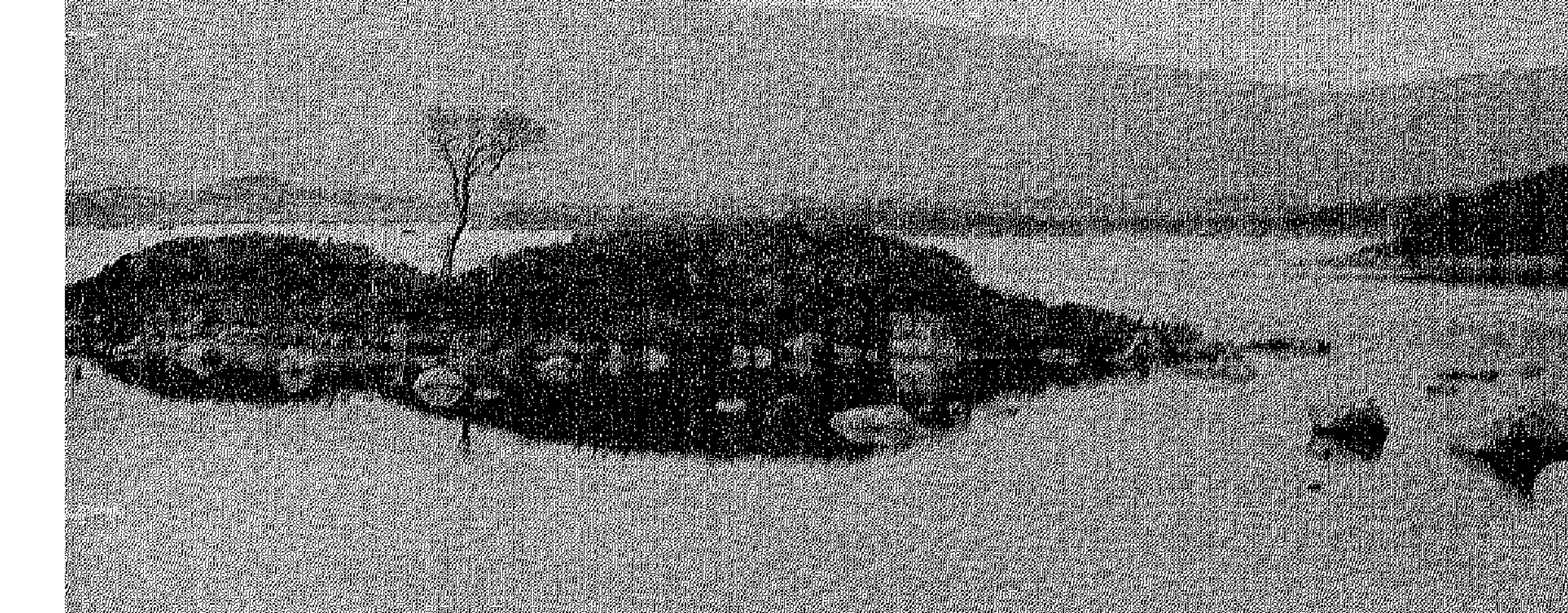
أرض الآكام والبحيرات الرواكد تتوشى حسناً برياً آسراً

اسكوتلندا بقاع شتى: جنوب تتخلله أنهار وأودية خصيبة، ووسط تحرسه مدينتان توأمان هما غلاسغو وادنبره، وجزائر غربية يزبد الموج على شواطئها. ولكن اذ نغمض عيوننا تلوح لنا اسكوتلندا نجوداً[1] برية بديعة.

أنت هاهنا في شمال البلاد. فالهواء أبرد والنور أبهت، والثلوج على مدار السنة تعمم جبلاً قصياً. إنها احدى القفار القليلة في أوروبا حيث المناظر الطبيعية تسبي سكان المدن وتوقظ فيهم حب الارتحال.

في كل ناح تقع على بحيرة صغيرة يحف بها القصب، وزنابق الماء متبددة على سطحها تميل أوراقها في الريح فتبدو كأشرعة متسابقة. الأنهار تنساب من الهضاب بلون الشاي، وبين فينة

(١) Highlands



وأحنتها تلوح كتلة من الجبال منتصبة في تباين يهزّ النفس، منتظمة في أروع الاشكال. منها جبل سويلفن الأجرد المخروطي على الساحل الغربي من سادرلند، وجبل بن نيفز بسنامه الثقيل، وهو أعلى جبل في الجزر البريطانية.

في هذه الارجاء ظباء تعدو مختالة عبر القفار الفُسُح، وأسماك سلمون تتواثب من بين نبتات الخلنج. وفي يوم سعد ترى عقابا يمتطي الريح. وفي البراري ثعالب وارانب برية. ومن شق ما أو أجمة ترمقك عينان صفراوان لقطة برية.

هذه بلاد العشائر التي شغف العالم بلباسها واعرافها. وما زال بعض شيوخها في القلاع متأهبا للحرب. وفي النجود الاسكوتلندية تقام مباريات في قذف جذوع شجر الشوح. هنا آخر المعاقل لديمومة اللغة الغاليّة.

وتمتد "غلين الكبرى" قطريا عبر هذه النجود. انها بحيرات ومنحدرات مخططة بالروابي الجرداء ومبقعة بغابات الصنوبر. وقد ذاعت شهرتها في العالم بفضل لوك نيس، أطول بحيراتها واعمقها حيث تحيا وحوش خرافية مزعومة كالدينوصورات.

قصدتها، مثل كثيرين، لأتحقق من هذا اللغز المحير الذي وددته حقيقيا. لوك نيس الرمادية دوما، ساكنة دوما، تلطخ سطحها بقع داكنة فأكاد أرى كل بضع دقائق رأسا أسود سابحا، وعنقا متلويا كالانقليس، أو اثر شيء ما يوشك أن يتحرك.

أنعمت النظر فلم تقع عيناي على الوحش في هذه المياه الباردة المسكونة.

مرَّ بي حرّاج شاب، فسألته هل رأى كائن البحيرة. لم يبتسم لسؤالي. لقد

MIKE TAYLOR



قضى حياته هنا، كما أخبرني، ولطالما ترصد الوحش المزعوم لكنه لم يشاهده بعد. وجوده أو عدم وجوده لا يهمه، بل هو فسّره على هواه بأنه رمز لليقين. قال: "إنه يعلمنا أن نوقن بشيء لا نراه... أتدرك ما أعني؟".

الحبل المشدود. "غلين الكبرى" الموصولة الى قناة كاليدونيا التي شقت في القرن التاسع عشر، تربط بحر الشمال بالمحيط الأطلسي وتجتازها يخوت وقوارب صيد. ولا يبعد اي مكان في نجود اسكوتلندا اكثر من ٦٥ كيلومتراً عن البحر. وتفاجأ مرة إثر مرة اذ تكتشف "لسانا" ضيقاً من البحر ينسل باعوجاج في محاذاة البرّ، متلألئاً تحت أشعة شمس الاطلسي.

واذ يعبر المرء قمة جبل أو يدور حول منعرج، يقع غالباً على موقع منعزل لصيد السمك وفيه زورقان راسيان قرب رصيف وشاحنة تنتظر نقل السمك الى انفير أو أبردين أو غلاسغو.

في يوم راكد تكون مياه البحر كالمرآة تعكس صفحتها الروابي السواكن في كل مكان. ولا صوت سوى هدير مولّد أو صيحة عارضة. إن مرسى صغيراً كهذا يمر به المرء، على غير توقع، يوحي أموراً وأموراً، لكأنه ملاذ سري لأعمال تجرى خفية بعيداً عن عيون خفر السواحل.

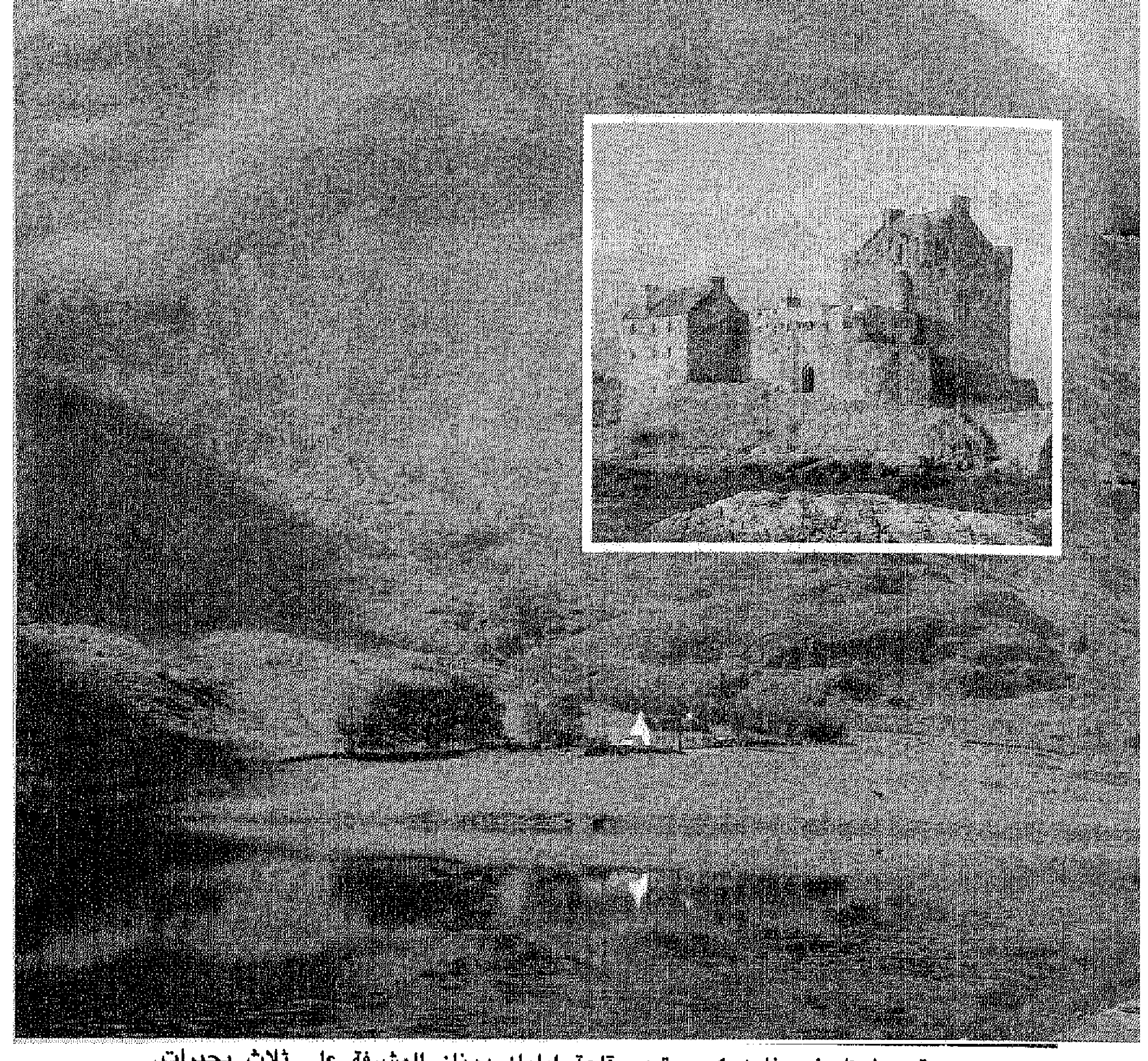
نجود اسكوتلندا خالية من المدن، وبلداتها الكبيرة معدودات. ولكن اذ يدخل المرء بلدة منها سائقاً، ترحّب به بسمت الحريص على الدنيا وما فيها، وبسخاء ودماثة. لأصغر سوق هنا شأن، يجللها نصب قديم وفندق على الطراز الفيكتوري وقاعة تقليدية للاجتماعات وأثر تذكاري لجندي أو شاعر أو محام أو طبيب زاد البلدة بهاء وفخاراً في الازمان الغابرة.

تتركز حياة النجود في بضع قرى الى جانب الطريق، حيث تلقى النجدي كما تصوره الاساطير: مهذباً، مرهف الاحساس، مراوغاً. في منطقة النجود البالغة مساحتها ٢،٥ مليون هكتار يقطن أقل من ٢٠٠ ألف نسمة. والنجدي الاصلي يطغى عليه الوافدون. فعلى مرونته وتراثه الحربي، يبقى حضوره باهتاً.

عبر هذه التربة الرقيقة، ووسط هاته السلاسل الجبلية غير المضيافة المعرضة للريح والبرد، يمشي النجدي برشاقة فخوراً ببلاده على حذر، اذ ان الحياة كانت عسيرة على الدوام والتاريخ قلاباً لا يركن اليه.

كانت اسكوتلندا، حتى في الازمنة المعاصرة، متاهة من العداوات والمؤامرات وأعمال الخطف والقتل والحروب مع انكلترا، والتحالفات مع فرنسا. فتن يذكيها زعماء رعب من أمثال "آل دوغلاس السُوْد" وأنار ظلمتها ذوو شهامة ونبل أمثال روبرت بروس وماري ملكة الاسكوتلنديين.

جزء كبير من النجود لا يُطرق الا سيراً. وما زال معظمها غير مأهول. الطرق القليلة التي تشق القفار شبه مهجورة، وثمة قُطر بلونين أزرق وأبيض تتلوى بشجاعة بين الجبال. في زمن مضى لم



موقع منعزل في غلين كو. وتبدو قلعة ايليان دونان المشرفة على ثلاث بحيرات.

تكن هذه البلاد خاوية كما هي الآن، وكان في عدد من سفوحها الموحشة اليوم مزارع ومدارس وبيوت.

في القرن الثامن عشر فطن الاقطاعيون الى أن الخراف تدر عليهم ربحاً أكثر من المستأجرين. وفي القرن التاسع عشر زُيِّن لهم أن صيد الظباء هو الافضل. فطرد ألوف من صغار المزارعين وشحنوا بالسفن الى أراض اسكوتلندية جديدة في الجانب الآخر من المحيط الاطلسي.

نداء المزامير. عندما أمّ الدكتور جونسون اسكوتلندا في القرن الثامن عشر توقع أن يرى بلداً على الفطرة. وهذا ما لقيه حقاً: "اسكوتلندا اذ تراها هي شكل أسوأ لانكلترا. لكأنك ترى زهرة تذبل تدريجاً فتغدو سويقة عارية."

PHOTOS: DEREK BAYES / ASPECT

بعد نصف قرن بدّل الوطنيـون الغيورون هذا الصيت فأضاؤوا كل شيء يمت الى اسكوتلندا بمشعل الأبهة. وكان على رأسهم الكاتب والشاعر البارز السر ولتر سكوت.

عشائر النجود ورموزها ولغتها القديمة ونباتها وحيوانها سلبت الالباب وأضرمت الخيال في كل مكان، جاذبة السر ادوين هنري لاندسير[2] الى منطقة غلين والملكة فيكتوريا الى بالمورال. وهي ما زالت تهز منا الوجدان. وليس سوى بليد الاحساس من لا يطرب لأنغام مزامير القرب؟

عصر الرفاه الاسكوتلندي هو القرن التاسع عشر من دون ريب. آنذاك انتثرت في أرجاء النجود بيوت شواهق على الطراز الفيكتوري تعمر في مواسم الصيد، ودور وقصور قوطية مستكنة في الاودية الضيقة أو قابعة على ضفاف البحيرات، وكأنها تفصح عن الأمان والحفاوة والعيش الرغد الهانيء الذي يعدّ من سمات الحياة الاسكوتلندية.

لدى سيادة النمط الفيكتوري ووسمه الاشياء الاسكوتلندية نشأ حافز لحسن الضيافة. وكان البيت الريفي في اسكوتلندا في أوج عزه: أسماك سلمون رقراقة في أطباق فضية، وغزال مشوي ينش فوق الجمر، وطيور معلقة تشهي.

ويزدهر "ساحل النفط" في الجانب الشرقي من النجود. وتنتشر فيه المطاعم والمقاهي والمكاتب والسيارات الفخمة وفنادق رجال الاعمال.

جبال غرامبيان الوعرة لا تبعد اكثر من ٦٥ كيلومتراً داخل البلاد. وفي وسعك أن ترتحل في ساعة من الاراضي القفر الى مطار دايس القريب من البحر حيث تقلع طوافات ليل نهار في اتجاه حقول نفط بحر الشمال.

وتنساب في مصارف آبردين أموال طائلة. وتعد هذه المدينة اليوم احدى مدن النفط الرئيسة في العالم. كما نشأت فيها صناعات فرعية من ألف نوع. لكن هذه الأعمال الجديدة الطريفة في آبردين لم تفقدها رشدها. فالعاصمة الصوّانية للشمال الاسكوتلندي لا تزال قوية ودؤوبة مستغنية عما سواها، تستبقي لنفسها مغانم هذه الثروة المذهلة وتعدّ ليوم نفادها طبقاً لقول مأثور بين أهليها: على المرء أن يأخذ للمستقبل أهبته، فالمستقبل قاصر لا يعتني بذاته.

يان موريس ■

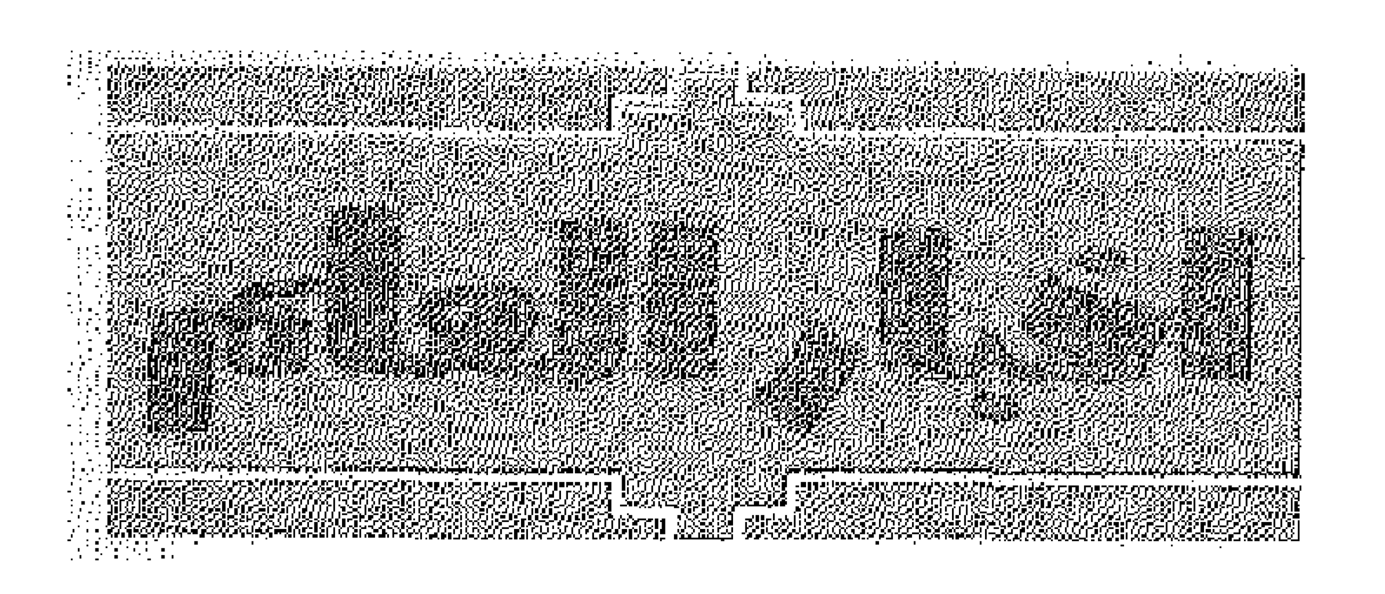
(٢) هو رسام بريطاني (١٨٠٢ – ١٨٧٣) اشتهر برسوم الحيوانات.

جدّة عاشقة!

قرر جدّاي إحياء شبابهما فتواعدا على الالتقاء في الثامنة مساء في الحديقة العامة حيث كانا يلتقيان "أيام زمان." وعندما وصل جدّي الى الموعد بهندامه الكامل حاملاً باقة زهر لم يجد جدتي هناك. وانتظرها حتى التاسعة لكنها لم تأت.

فعاد الى المنزل غاضباً وواجه "الشابة القاسية القلب." فاعتذرت جدتي اليه قائلة: "لكنك تعرف يا حبيبي أن أمي لا تسمح لي بالخروج ليلاً."

ج.ت.



كمبيوتر بصري

■ كشف العلماء في مختبرات "بل"* عن كمبيوتر في طور التجربة ينجز العمليات الحسابية بواسطة نبضات ضوئية بدل الكهرباء. وخلال سنوات ستتمكن أجهزة الكمبيوتر "البصرية" من انجاز عمليات متعذرة حالياً.

ويحوي الكمبيوتر البصري شبكة من الليزر والعدسات والمرايا التي توجه شعاعات الضوء وتحوّل مسارها على نحو شبيه بتوجيه التيارات الكهربائية عبر الاسلاك الدقيقة في رقائق الكمبيوتر. ولكن خلافاً للكهرباء، يمكن مرور الشعاعات الضوئية بعضها خلال بعض من دون أن يعترض شعاع سبيل آخر. وبالتالي فان الكمبيوتر البصري ينجز ما يشبه مكافحة ازدحام السير بالسماح للسيارات بالمرور بعضها عبر بعض عند تقاطع الطرق.

لذلك تستطيع أجهزة الكمبيوتر هذه انجاز ملايين العمليات الحسابية في آن، تماماً مثل الدماغ والعين البشرية عندما يتعرف صاحبهما الى وجه ما. ويمكن استخدام الكمبيوتر البصري في أجهزة الأمن لتمييز الوجوه، أو كعيني "رجل آلي" في مصنع. ويمكن هذا الكمبيوتر أيضاً حلّ المسائل التي تتطلب اعتبار عدد كبير من المتغيرات، كالتوقعات البعيدة المدى للاحوال الجوية.

ولا يزال كمبيوتر مختبرات "بل" غير مكتمل بالمقاييس الالكترونية الحديثة. ففي حين يحوي الكمبيوتر المكتبي نحو مليون محوّل، لا يحوي هذا الكمبيوتر سوى ١٢٨ محولا. لكن العلماء يعملون الآن على صنع أدوات ليزر مجهرية دقيقة لتصغير حجم هذا الجهاز. ويتوقع توافر الكمبيوتر البصري تجارياً بعد السنة ٢٠٠٠.

صحيفة "نيويورك تايمز"

(*) AT & T Bell Laboratories

النوم الزائد مستحب!

■ يفيد معظم البالغين كثيراً من ساعة نوم اضافية على الأقل في الليلة الواحدة. هذا ما تشير اليه أبحاث "مركز اضطرابات النوم" في مستشفى هنري فورد بمدينة ديترويت في ولاية ميشيغن الامريكية.

راقبت الدراسة ٢٤ رجلا صحيحاً ينامون عادة ما بين ٧ ساعات و٧،٥ ساعات في الليلة الواحدة ولا يشكون من النعاس خلال ساعات النهار. ولمدة ستة أيام، أوى هؤلاء الرجال الى الفراش باكراً وناموا نحو تسع ساعات في الليلة. وخلال هذه الفترة أخضعوا لفحوص تختبر تيقظهم وانتباههم وتحاكي اختبار مهارات قيادة السيارات أو مراقبة المعدّات. وقد سجلوا كلّهم تحسناً بيِّناً.

ويشير العالم النفساني تيموثي رورز مدير الابحاث في المركز، الى أن الدراسة تخالف الحكمة التقليدية القائلة بأن النوم الزائد غير مستحب. ويضيف: "يبدو أن الناس يفيدون من النوم أطول وقت ممكن."

صحيفة "واشنطن بوست"

مأساة واقعية

كادت البيتزا تكلّفني حياتي

جاء الشاب لتسليم فطيرة بيتزا فوجد في انتظاره مجرمين خطيرين

وقف أناند "أني" ألويو أمام باب شقة في الطبقة الثانية من عمارة سكنية في فورت ورث بولاية تكساس، حاملا طبق بيتزا على راحته وصندوقاً صغيراً من علب المرطبات باليد الاخرى. وكان عنوان المنزل في بطاقة التسليم مطابقاً للاسم المكتوب على مدخل الشقة. فقرع الباب، وكانت الساعة تجاوزت الحادية عشرة ليل الأحد ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٨٩. وسمع صوت امرأة من الداخل يستعلم من الطارق، فأجاب: "انها البيتزا التي طلبتها يا سيدتي."


فردت المرأة بخشونة: "لم تطلب بيتزا، انصرف من هنا."

فمضى أني ساخطاً ومردداً في نفسه: ليت الناس لا يتصرفون هكذا، فليس لدي وقت أضيعه.

وأني شاب أسمر مفتول العضلات، وخريج جامعي يطمح الى دراسة المحاماة والتخصص بقانون الشركات. وبانتظار قبوله في كلية المحاماة عمل في تسليم البيتزا الى المنازل.

ما ان وصل أني الى الطبقة الاولى حتى سمع صوتاً يناديه من الباحة في أسفل البناء: "هل معك بيتزا لي؟"

كان ذلك رجلا ناحلا أسود يلبس سروالا فضفاضاً وقميصاً ذا مربعات ويقف عند البركة. فاقترب منه أني



ILLUSTRATIONS: BILL DODGE

بارتياح وسأله: "أأنت طلبت البيتزا؟ السيدة في الطبقة العليا قالت انها لم تطلبها."

أجاب الرجل وهو يحكّ لحيته الخشنة: "نعم، فأنا استخدمت هاتفها. سآتيك بالثمن من صديقتي في موقف السيارات. انتظر هنا قليلا."

توارى الرجل عند زاوية البناء ورجع بعد لحظات ومعه رجل أسود ضخم الجثة يعتمر قبعة رياضية.

قال الرجل الاول ببرود: "ضع البيتزا جانبا." ثم زمجر مهدداً حين لم يمتثل أني لأمره: "هيا يا رجل، نحن لا نمزح معك." ولم يصدّق أني عينيه حين رأى الرجل الثاني يوجه مسدساً صغيراً الى صدره.

وضع أني البيتزا والمرطبات على الارض وتذكر وقد خدّره الخوف عملية سلب مسلحة تعرض لها قبل أسبوع عامل آخر لتسليم البيتزا يعمل في المطعم ذاته. فتبادر الى ذهنه أن مهاجميه لا بد أن يكونا منفذي العملية السابقة، ووقف رافعاً يديه.

تكلم الرجل الاول: "أعطني ما في حوزتك من مال، ومفاتيح سيارتك. ولا تحاول المراوغة، فهذا المسدس حقيقي."

ناوله أني محفظته ومفاتيح سيارة والده الجديدة." فغاب الرجل ثم عاد بعد لحظات وهو يقود السيارة. فنخس رفيقُه أني بالمسدس وقاده نحو السيارة، وكانت لا تزال تحمل لافتة "بيتزا دومينو" مضاءة على سقفها.

فتح الرجل الاول صندوق السيارة، وغرز رفيقه الضخم فوهة مسدسه في رقبة أني من خلف.

فصعِد أني الى صندوق السيارة. وحين أُقفل الغطاء خيّم ظلام قاتل في الداخل. فشرع أني يضرب الصندوق بقبضتيه صائحاً فيما انطلقت السيارة من الموقف وموسيقى الروك الصاخبة تلعلع من مكبرات الصوت كاتمة الصراخ.

ذكرى منسية. بعد لحظات الذعر الاولى تنفس أني بعمق وهدأ روعه. وكان غالبا ما يلجأ الى التنفس البطيء وأساليب الاسترخاء لتخفيف صفير التنفس لدى اصابته بنوبات الربو. وحاول الا يفكّر في ما قد يصيبه لو فاجأته نوبة ربو وهو في صندوق.

وعادت اليه ذكرى من طفولته كاد ان ينساها. فعندما كان في السن العاشرة تحداه أخوه الأكبر أن يدخل صندوق سيارة والدهما. وما ان صار في الصندوق حتى أقفله أخوه بالمفتاح، فذعر وراح يبكي. الا أن أخاه بيَّن له بعدئذ كيف يفتح الصندوق من الداخل. والآن، بعد ثلاث عشرة سنة، لجأ الى طريقة أخيه للنجاة.

كانت السيارة الصغيرة تثبت فوق حافات الطريق عند المنعطفات وهي منطلقة بسرعة فائقة. فاستجمع أني قواه وسدّ أذنيه بيديه ليريحهما من صوت الموسيقى الصاخبة.

ورأى انه في حاجة الى بعض الضوء. فتلمّس البراغي التي تثبت مجمَّع

الاضواء الخلفية حيث كان رأسه محشوراً. وما هي الاّ دقائق حتى تمكن من فكّ برغيين وسحب جزءاً من مجمع الاضواء داخل الصندوق، فأضاء ظلمته.

ثمّ شعر بأنه يكاد يختنق. فرفع احدى زوايا سجادة الصندوق، وتلمّس عجلة الاحتياط الى أن عثر على سدادتها. وحين انتزعها تدفق الهواء النقي المنعش داخل الصندوق الخانق.

وانصرف أني الى فتح الصندوق. فتحرك حتى أصبح في وضع مناسب، ثم انبرى الى معالجة أجزاء القفل الى أن عيَّن موضع "اللسان" الذي يفتحه.

كانت السيارة منطلقة بسرعة ثابتة، فقدر أني أنها تسير في طريق رئيسية. ورجّح أن يوقفها شرطي سير ينتبه الى أن الانوار الخلفية مطفأة، فيفتح الصندوق في تلك اللحظة، لانه عرف أن فتحه الآن سيطلق ضوء انذار على لوحة أجهزة القياس فيثير انتباه الرجلين داخل السيارة. كان عليه اذاً انتظار اللحظة المناسبة.

أمسك أني اللسان الصغير بين أصابعه وقال في نفسه: "سأقفز فور ابطائهما.

في الحفرة. لم تسنح لأني فرصة للقفز من الصندوق. وعندما توقفت السيارة أخيراً فُتح باباها الاماميان ثم رفع غطاء الصندوق. واذا بالرجل الضخم المسلّح يأمر أني: "اخرج من هنا."

نزل أني بهدوء من الصندوق ومشى مذعناً الى الباب الايمن وركب السيارة. وجلس الرجل المسلح وراءه في المقعد الخلفي.

لم يبق أمام أني سوى مصادقة الرجلين. فتكلف الابتسام وقال: "شكراً لاخراجي من ذلك المكان. لقد كان حاراً جداً." ثم انتظر فلم يحظ بجواب. وتابع: "تعلمان أن الاحوال صعبة في هذه الايام، فليت معي مزيداً من المال أعطيكما اياه."

والتفت أني الى السائق فصاح به هذا: "إياك أن تنظر الى وجهي."

ثم تابعوا السير في مناطق ريفية دامسة الظلام، طرقها مهجورة وحقولها جرداء. وتوقفوا بعد ١٥ دقيقة. فبدأ قلب أني يدق. ثم أمره المسلّح بأن يخرج من السيارة، وأجبره على الانبطاح في حفرة عمقها حوالى ثلاثة أمتار.

دفن أني رأسه في الوحل والعشب الندي، ولم يجرؤ على التحرك لشدة خوفه من اطلاق الرصاص عليه. وكان عود يخز خدّه حتى كاد ان يثقبه.

شعر بارتياح حين سمع الرجل المسلّح يقول: "عدّ الى مئة ثم امشِ. سنترك سيارتك في أسفل الطريق."

فجأة تفجّر ضوء لامع داخل رأسه ومزّق ألم حاد قاعدة جمجمته. واذا بانفجار ثان يفتل وجهه الى اليسار ويرميه هو على العشب الندي. وللحظة انتفض جسمه متشنجاً الى أن حطّم شيء ذقنه وشلّه.

بركة دم. تفيد سجلّات شرطة فورت ورث أن تحالفاً آثماً نشأ بين فرنك

ليمونز (٢٧ عاماً) وآرك برايس (٢٨ عاماً) في الصيف السابق حين أقدما على سرقة محلات صغيرة في المنطقة تفتح حتى ساعة متقدمة من الليل. وكان سجل ليمونز (الذي قابل أني أولا) نظيفا حتى ذلك الوقت. لكن برايس (حامل المسدس) كان مجرماً محكوماً عليه أربع مرات وله تاريخ حافل بالاجرام منذ سنوات. وللمرة الثالثة أفرج عنه قبل انتهاء عقوبته ووضع تحت المراقبة. وكان في السابعة عشرة عندما دين مرتين بجرمي السرقة والسطو على المنازل.

خطط ليمونز وبرايس لخطف عامل تسليم بيتزا وسلبه قبل أسابيع عندما أعوزهما المال. وتمكنت ضحيتهما الأولى، أنسل تورن وعمره ٢٤ عاماً، من فتح صندوق السيارة والهرب. لكنهما أطلقا الرصاص عليه فجرح في ساعده.

هذه المرة سارت الأمور بحسب مبتغاهما. فقد استوليا على سيارة جميلة ومحفظة مليئة ببطاقات الاعتماد، وأهم من ذلك كله أنه لم يكن هناك شهود.

عاد أني الى وعيه، فتحرك قليلا ثم شهق اذ أحس جسمه كله ينبض ألماً. كانت يداه ورجلاه ترتجف لاإراديا، ونفَسه يرتعش واهياً في صدره ويكاد ينقطع. وصمّ أذنيه هدير تتخلله قعقعة، وكان وجهه غارقا في بركة من الدم المتدفق من فمه. فبذل جهداً كبيراً لكي يركّز بصره. وقال في نفسه: لا بد أن إصابتي شديدة.

وأصاخ ليتأكد من رحيل الرجلين، على رغم الهدير الصاخب الذي ملأ أذنيه.

ثم فكّر: ما علي الا المجازفة.

فنهض بصعوبة عن الارض الرطبة وحدّق في ظلام الليل. وإذ تأكد من غياب سيارته زحف خارج الحفرة.

عودة المجرمين. مشى أني مترنحاً في اتجاه الطريق العامة، ولاحظ ان الدم يقطر من ساعديه. وبشعور غريب من الانفصال عن الذات استنتج أن ذلك ليس حسناً. وعندما وصل الى الرصيف سار بمحاذاة الطريق.

مرّت به سيارتان، فحاول طلب النجدة بالتلويح والصياح، لكن رفع يديه استنزف كل قوته وخانه لسانه في لفظ الكلمات. فلمس فمه واكتشف أن أسنان فكه الادنى ناتئة الى الخارج من بين شفتيه الداميتين المتورمتين. وبعد محاولة ثانية في طلب النجدة من السيارات العابرة، انهارت قواه ويئس من التكرار فتابع سيره.

وأخيراً اقتربت من خلفه سيارة، وأبطأت اذ أصبحت بمحاذاته. ثم توقفت فجأة بعدما تجاوزته بضعة أمتار. لكن آمال أنّي تحطمت حين حدّق مرتعباً الى مؤخر السيارة الصغيرة ورأى مصابيحها الخلفية مطفأة!

ركض أني عبر الشارع فيما استدارت السيارة الصغيرة بسرعة. وكاد قلبه ان يتوقف اذ أعمته أضواء مصابيحها الامامية المتوهجة، فتعثر وسقط في خندق لتصريف المياه، لكنه عاد وزحف مذعوراً الى الجهة المقابلة. وإذ طارده الرجلان اصطدم بسياج من أسلاك



شائكة. فتخبّط محاولا تحرير نفسه وهو ينتحب مردداً: "يا الهي، سوف يقتلانني!" لكنه نجح في تسلق السياج بعدما اصيبت رجله بجرح بالغ. وركض بضعة أمتار تعثر بعدها وانزلق في جدول موحل. فتمدد هناك ساكناً آملا أن تحجبه عتمة الدغل والماء.

وتحقق أمله. فبعد دقائق من التفتيش انصرف الرجلان خائبين وهما يشتمان. وسمع أني صرير عجلات السيارة الصغيرة اذ انطلقا بها مسرعين. فتنفس الصعداء. لكنه واجه صعوبة كبرى وهو يحاول النهوض هذه المرة.

وحين وصل الى الرصيف قرر البقاء بعيداً عن الطريق وتجنّب السيارات حتى يصل الى مكان مضيء آمن. فهو خشي أن يكون خاطفاه ما زالا في المنطقة.

وظل يردد في نفسه: خطوة، خطوة، ما عليك سوى متابعة سيرك.

مكالمة من مجهول. لم يكن الاستسلام خياراً وارداً في عائلة ألويو. فوالدا أني هاجرا من الهند الى الولايات المتحدة عام ١٩٦١، واجتازا كل العوائق التي اعترضتهما، بدءاً بالعقبات المالية وانتهاء بالتمييز العنصري. فحصل والده على شهادة ماجستير في الهندسة، وتعلّم أخواه اللذان يكبرانه سناً وأصبحا طبيبين. ولم يكن أني يبحث بعيداً عن أبطال يقتدي بهم، ففي كل صباح ومساء كانوا يجلسون معه الى المائدة.

والآن صمم على التمثل بهما عزماً. فمشى حوالى ثلاثة كيلومترات الى أن بلغ طريقاً يعرفها. فوقف تحت أنوار الرصيف راجياً أن يتوقف أحدهم لمساعدته.

وأخيراً سلطت سيارة شرطة أضواءها عليه، فتوقفت اذ شاهده سائقها يترنّح دامياً. وإذ رأى أني الاضواء الزرقاء والحمراء الوامضة تقدم من السيارة

بخطى متعثرة وقال للشرطي الذي نظر اليه مذهولا:

"رجلان فعلا بي ذلك. ويمكنني ان أصفهما." ثم أعطى الشرطي رقم لوحة سيارته وانهار في المقعد الخلفي.

بعد يومين من الحادث تلقى رجال الشرطة مكالمة من مجهول دلهم على مكان فرنك ليمونز وآرك برايس. وكانا لا يزالان في فورت ورث. فقبض عليهما ودينا بتهمة محاولة قتل بعدما تعرف أني الى صورهما الفوتوغرافية. ووقّع الاثنان افادة تشرح تفاصيل عمليتي "سرقة البيتزا" اللتين ارتكباهما.

أما أني فأجريت له جراحتان لانتزاع رصاصتين من رأسه، فيما بقيت الثالثة مغروزة في ذقنه بانتظار جراحة ثالثة لانتزاعها. وتضرر سمعه وبصره. والى ذلك، ما زالت الكوابيس المتكررة تنتابه منذ ليلة الجريمة فتقض مضجعه.

أثارت هذه التجربة المرعبة غضب أني الشديد حيال القضاء الجزائي الذي أفرج عن مجرم متيحا له مهاجمته هو وغيره من المواطنين. يقول: "بفضل برايس وليمونز أفكر جدياً في متابعة دراستي لاصبح نائباً عاماً لا محامي شركات. أريد ان يكون لي دور في تقرير مسار القضاء في بلادي."

ديبرا موريس ■

الأبلق العقوق

يعمل والدي ناظراً في شركة للسكك الحديد. وكان يوماً يجري مقابلة مع شاب طلب العمل في الشركة. وأبدى هذا رغبته في التعرف الى كل الوظائف الممكنة. فسأله والدي: "اتحب العمل عند ملتقى خطوط السكك الحديد؟"

فأجابه الشاب: "لست اكيدا من ذلك. ما نوع العمل هناك؟" وبعد اصغائه الى شرح مطول للوظيفة، قال إنها لا تروقه.

فسأله والدي: "إذاً ما رأيك في أعمال الورش؟" ووصف له هذه الوظائف ايضاً. فلم يبدِ الشاب رغبة في العمل هناك.

ثمّ عرض عليه والدي وظيفة عامل كوابح، لكنه رفضها كذلك.

فسأله والدي وقد نفد صبره: "حسناً يا بني، ما هي بالضبط الوظيفة التي تروقك؟"

فأتاه الردّ سريعاً: "وظيفتك يا سيدي."

م.د.

ايقاع الحياة

عندما يتقاعد رجل عجوز يستعيد مرح الطفولة ولامسؤوليتها. يصبح مستعداً للعب. وإذا تعذر عليه العدو مع ابنه، فهو قادر على مجاراة حفيده في خطواته الاولى المترنحة. فخطواتنا الاولى والأخيرة لها الايقاع ذاته.

ا.م.

الصلع دليل تفوق؟

حين كنت صغيراً كان أبي يسمح لي بفرك رأسه الاصلع حتى يغدو لماعاً يعكس نور مصباح غرفة الجلوس. وهو أخبرني أن الصلع علامة تفوُّق وبطولة. وزعم أيضاً أن الهنود الحمر سلخوا فروة رأسه وهو في الثلاثين من عمره. ولفتني الى الشبه بينه وبين الجنرال أيزنهاور الذي أنقذ أوروبا ويوليوس قيصر الذي عاث فيها خراباً.

والحقيقة أن يوليوس قيصر سُرَّ حين أجاز له مجلس الشيوخ الروماني إبقاء اكليل الغار على رأسه، ربما لانه يغطي بعض صلعته.

الشعر الذي تمناه يوليوس قيصر والذي يبقى موضع تقدير كبير لدينا، ليس سوى بصلات من البروتيين الليفي نابتة بمعدل ١٠٠ ألف شعرة في الرأس العادي. وهو في نمو وسقوط مستمرين.



وفي كل يوم يخسر الرأس العادي نحو مئة شعرة. ومعظم الناس المشرفون على الصلع لا يخسرون أكثر من سواهم، لكن شعراتهم الساقطة لا تعوَّض دائماً.

وعلى رغم الادعاءات المتناقضة، علاقة للصلع العادي بالقبعات الضيقة وقصات الشعر وكسل الدورة الدموية ونقص الفيتامين والقشرة وجريبات الشعر المنسدّة والجلدة الزيتية وشكل الرأس والتفكير المفرط. أما شعر والدي فقد "كُنس" بفعل عوامل خارجة عن سيطرته. ولم يكن الهنود الحمر هم السبب، بل العمر والهرمونات والمورِّثات[1] التي لا مردّ لعادياتها. كان صلعه "صلع الذكور النموذجي."

انما ليس ذلك سبب الصلع الوحيد (فهناك أيضاً "صلع الاناث النموذجي" والصلع الناجم عن المرض أو الضيق). لكنه السبب الاكثر شيوعاً.

وينتهي سقوط الشعر الى "جبهة عريضة" تبلغ مؤخر الرأس مخلّفة حاشية من الشعر في المؤخر وعلى الجانبين.

هذا الصلع يورثه الآباء لابنائهم. وقد تمر أجيال تخلو منه ثم يعود الى الظهور في الذرِّية لاحقاً. وأتذكر كيف تجلّت لي سطوة الصلع الوراثي خلال مأدبة عشاء عائلية. كنت آنذاك في الرابعة عشرة من عمري. وحين وقفنا الى المائدة نتلو صلاة الشكر نظرت خلسة الى الرؤوس المحنية، فأذهلني أن أرى رؤوس جميع ذكور العائلة، أعماماً وأخوالا وأبناء أعمام وأخوال، صلعاء مثل بيضة، مثل رأس أبي، مثل رأسي أنا عندما أبلغ الثلاثين. وراعني ما رأيت: إن فقدان الشعر لم يكن مكتوباً في سجلّي الوراثي، بل محفور فيه:

الصلع دليل رجولة؟ تبدأ عملية الصلع عادة في العشرينات حين ترسل مورثات الصلع تعليمات الى جريبات الشعر (الغدد التي ينبت منها) لكي تنتج كميات مفرطة من الخميرة "٥ – ألفا ريدكتيز."[2] ويتحد الهرمون الذكري المعروف بـ"تستوستيرون" مع هذه الخميرة (الانزيم) لانتاج "ديهيدروتستوستيرون."[3] وهذا هو المذنب الحقيقي، وبتأثير منه تتقلص بعض الجريبات فتنتج شعرات هزيلة تزداد نحافة حتى تصبح زغباً خفيفاً، فيما تتوقف جريبات أخرى عن الانتاج.

وقد عُرف دور الهرمونات الذكرية بداهة عبر التاريخ. وذكر أرسطو وأبوقراط وغيرهما أن الخصيان لا يصلعون. ولا تزال طريقة الخصي هي الاكثر فاعلية، وان تكن غير مستحبة، لتفادي الصلع. واستناداً الى هذا الواقع تستمر الاسطورة القائلة بأن الرجال الصلع رجوليون متفوقون. والحقيقة أن الصلع يكفيه مستوى عادي من الهرمونات الذكريّة.

على مر العصور جرّب الرجال

---

(١) المورِّثات او الجينات (genes) هي حاملات الخصائص الوراثية في نواة الخلية.

(٢) 5-alpha reductase

(٣) Dihydrotestosterone

الـراغبون في الاحتفـاظ بشعـرهم، وبرجولتهم، كل طريقة أمكن تصورها. فعمدوا الى فرك رؤوسهم بالقطران والنفط وروث البط وبول البقر. وحشروا رؤوسهم داخل قلنسوات مطـاطية مـوصولـة بمضخات خوائية لسحب الشعر الغائر الى سطح الجلد، ولكن من دون جدوى.

لكن بعض الجهود الحديثة حقق فاعلية أكبر. فقد تبين ان في الامكان تطعيم مقدم المنطقة "المنكوبة" وقمتها بخصلات صغيرة من الشعر السليم منتزعة من مؤخر الرأس أو جانبيه، وهي مناطق غير مرشحة وراثيا لاجتياح الصلع. وتراوح كلفة هذا الزرع الجراحي بين ألف دولار وأربعة آلاف للجلسة الواحدة، علما أن العملية تقضي عدة جلسات. وهناك خيار بديل هو تقليص مساحة الصلع بسلخ جزء من القمة وتغطيته بشدّ جلد جانبي الـرأس المكسوّين بالشعر، وتراوح الكلفة هنا بين ٥٠٠ و٢٥٠٠ دولار.

منجم ذهب. ثمة طريقة واحدة فقط لنمو الشعر فعلا بكثافة، وهي طلي المنطقة الجرداء مرتين يومياً بالعقار "مينوكسيديل."[٤] وهو استخدم أصلا لمعالجة ارتفاع ضغط الدم، لكن ٧٠ في المئة من متناوليه أفادوا عن نمو شعر غير متوقع (أحياناً في أماكن غير مستحبة كالجبين). وتنبهت شركة "أبجون" الى هذه المعلومات ورأت فيها دليلا الى منجم ذهب. فأنتجت محلولا يحتوي على اثنين في المئة من "مينوكسيديل" سوَّقته باسم "روغين"[٥] واعتبرته "مديرية الغـذاء والدواء" الامـريكية العقـار الموصوف الوحيد للصلع. وتبلغ كلفة مؤونة منه لسنة ٦٠٠ دولار.

ولا أحد يعلم يقيناً كيف يعمل "مينوكسيديل"، لكنه قد يتيح للجريبات المتقلصة معاودة النمو الى حجم قادر على انتاج شعرات قوية مرئية. وهو حقق نتائج واعدة، وان تكن محدودة. وفاعليته الفضلى هي في تغطية تلك البقع المفرغة التي تنذر ببداية الصلع. وقد ظهر لدى نصف عدد الرجال الذين شملتهم بعض الدراسات نمو شعر "لافت" أو "مقبول تجميليا."

ان فائدة "مينوكسيديل" لا تشمل الجميع. فلا رجاء لي فيه لاني فقدت معظم شعري، وما زال سقوط البقية مستمراً منذ خمس سنوات وقد تجاوزت الثـلاثيـن مـن عمـري. وليس "مينوكسيديل" دواء شافيا، بل هو التزام لمدى الحياة. فما إن تتوقف عن استعماله حتى يخف شعرك خلال أشهر.

ويعكف العلماء على اختبار أدوية أخرى علَّها تعد بفاعلية أكبر. ولكن ريثما يكتمل العلاج الناجع أو تُكتشف مورثة الصلع ويهندس القضاء عليها، فما علينا نحن المبتلين بالصلع الا أن نجد ملاذاً وعزاء في كلام وليم شكسبير: "ما أنقَصَه من شعر الرجال نفَحَهم بديله ذكاء وفطنة."

فريد ستربرغ ■

(٤) Minoxidil

(٥) Rogaine or Regaine

GUNTER ZIESLER

فراخ الاوز تحيي مربيتها.



عالمة أحياء شابة ربّت خمس إوزّات يتيمة وأطلقتها الى الحرية

نقف فرخا اوزّ بيضتيهما داخل "فقّاسة" في معهد ماكس بلانك للفيزيولوجيا السلوكية بمدينة زيفيزن في مقاطعة بافاريا الألمانية. وعندما رفعت غطاء الصندوق ذلك الصباح من شهر مايو (أيار) عام ١٩٨٦، حيّتني كرتان صوفيتان بصفير هامس. التقطت الفرخين بتأن ودسستهما داخل سترتي الصوفية وحملتهما مسافة ٧٠ كيلومتراً الى كوخي الخشبي قرب بلدة فوسن في بافاريا الذي سيصبح منزلهما الجديد.

منذ زيارتي لعالم السلوكية الراحل كونراد لورنز في غرونو بالنمسا عام ١٩٧٥ بات حلمي تربية الاوز البري مثله.

درست علم الاحياء وذهبت في رحلات استكشافية الى البراري في أنحاء العالم. والآن تحقق حلمي، إذ سمح لي معهد ماكس بلانك بتربية ستة فراخ من الاوز البري المخطط الرأس(*) المتحدرة من التيبت والتي تأقلم بعض طيورها في المانيا. أما البيضات الست فأخذت من أعشاش مهجورة ووضعت داخل فقاسات.

عندما وصلت الى فوسن أوقفت سيارتي أمام أحد المخازن. واذ تعذر علي أن أترك الفرخين وحدهما، وإن للحظة واحدة، صممت على اصطحابهما الى التسوّق. ومن الواضح أنهما شعرا بالدفء والامان داخل سترتي، فقد ناما طوال الرحلة. وما إن وقفت أمام منضدة الخبز حتى أعلنا حضورهما بتغريدة ناعمة "ڤي ڤي ڤي." فأجبتهما بهمهمة اوزّية مهدئة: "غانغ غانغ غانغ." وأملت ألّا يلاحظهما أحد. لكن ذلك لم يجد، إذ ان البائع حدّق الي مشدوهاً. وبعد سقسقة أخرى لم أرَ بداً من الخروج، وكانت تلك آخر مرة أصطحبهما الى التسوق.

عندما وصلنا الى البيت وضعت الفرخين على أرض الممر المؤدي الى المنزل، وأردتهما ان يلحقا بي الى باب المدخل. رفع أحدهما رأسه عالياً ففقد توازنه وانقلب. فدعوته "بورتسل" أي "المتشقلب". أما الثاني فدعوته "فلوكه" أي "الزغبي" لرقته ونعومته.

نزعت حذائي أمام الباب ودخلت البيت، لكن بورتسل وفلوكه بقيا واقفين قرب حذائي. وكان كونراد لورنز لاحظ منذ العام ١٩٣٥ أن الاوز الحديث التفقيس يطلب التعرف الى امه، وهذه ظاهرة تسمح للبشر بانتحال دور الام. وفي معظم الاحوال لا تتذكر الفراخ المتفتحة على الانسان سوى ألوان ثيابه وحذائه، مما اضطرني الى ارتداء الثياب ذاتها على مدى أسبوع الى أن يتوصلا الى تمييز صوتي.

كان الفرخان يحتاجان الى نوم كثير. وتبقى الأوزة الام دائماً مع فراخها لكي تمنحها الدفء والامان تحت جناحيها. وخلال النهار كان بورتسل وفلوكه يتدافعان تحت سترتي. وفي الليل كنت أضعهما داخل صندوق صغير قرب سريري وأغطيهما بمنشفة وأدفئهما بمصباح كهربائي. وكانا يسقسقان باستمرار كأنهما يسألانني "أما زلت هنا؟" ولا يطمئنان الا بعد أن أجيبهما.

في يومهما الرابع عدت الى زيفيزن لتسلم فرخ آخر دعوته "فلو" أي "برغوث." وتسلمت معه حاضنة نقالة تحتوي على ثلاث بيضات، اثنتان فيها على وشك النقف. وكنت أسمع بين الحين والآخر سقسقة ضعيفة، الى أن رأيت من خلال فتحة صغيرة طرف منقار دقيق يشق القشرة القاسية. لكنني لم أرَ الكرتين الصوفيتين الصغيرتين الا بعد انقضاء النهار. وكان أحد الفرخين الجديدين أسود، بينما تميز أشقاؤه بكساء بني ضارب الى الرمادي ومرقط بالاصفر. فدعوت الاسود "بونكتشن" أي "مرقط" والآخر "موكه" أي "ذبابة."

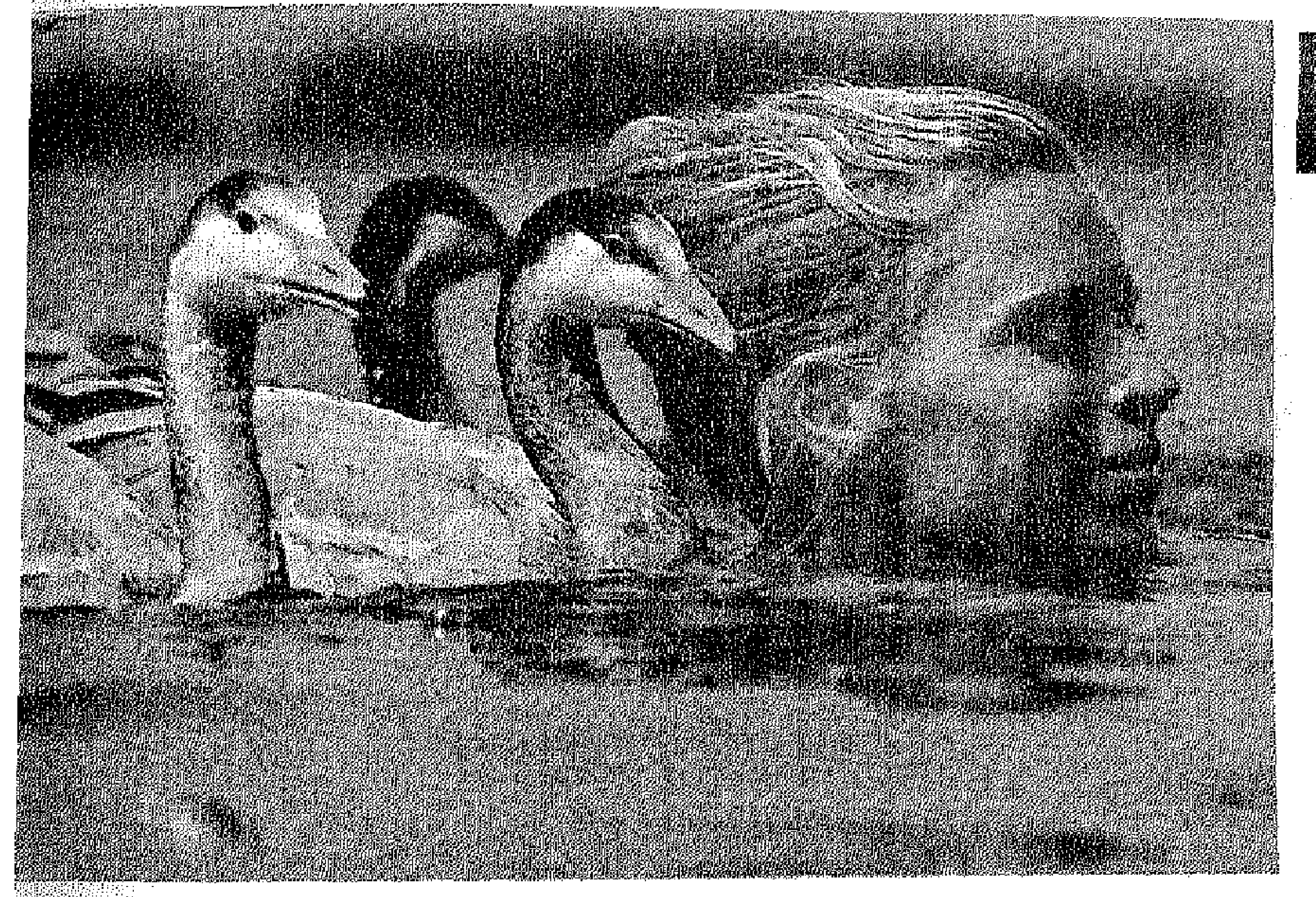
(*) Anser indicus

كانت سقسقتهما حافزاً قوياً للفرخ الثالث الذي عمل بكل طاقته للخروج من البيضة، فكانت هذه تترجح الى الامام ثم الى الوراء، وتصدر منها طرقات خفيفة. وفي الاول من يونيو (حزيران) خرجت "يولشن" أي "جولي" من البيضة، واستغرقت عملية خروجها ثلاث ساعات فقط بينما استغرق خروج شقيقيها نحو يومين. وها هي الآن تتمدد منهكة داخل الحاضنة وزغبها لا يزال مبللا وملتصقاً بكسور القشور. ولكن بعد بضع ساعات من الاحتكاك المتواصل بسترتي سقطت القشور ونفش الزغب الناعم.

السلوك الفردي. لا تطعم أمّات الاوز فراخها. ففي الساعات الثماني والاربعين الاولى تقتات الفراخ ببقايا صفار البيض. ثم تشير الام بمنقارها الى ما هو صالح للاكل. وخلال جولاتنا القصيرة حول المنزل جعلت من ابهامي وسبابتي منقاراً. أشرت به الى الاعشاب وقطفت به البرسيم والهندباء البرية والاعشاب. الا أن الفراخ وجدت في العشب النابت في شقوق المصطبة وفي ثلم الخس قربها خير غذاء. وكانت الخسات مصفوفة في أثلام جميلة، ولكن لم يمض وقت قصير حتى تعرت من أوراقها.

تعرفت الفراخ الى الماء في البركة الصغيرة أمام المنزل. وكنت أقف داخلها وأغوي الفراخ بصوت ناعم على الغطس. وكان بورتسل وفلوكه سباقين الى تلبية الدعوة. وجذب صوت غطسهما في الماء الفراخ الأخرى التي ما لبثت ان غطست بين قدمي. وحدها يولتشن لم تنجح، إذ ظلت مؤخرتها طافية مثل فلينة فوق الماء.

بعد السباحة شرعت الفراخ تسوي ريشها بمناقيرها. وللطائر المائي غدة شحمية خاصة فوق ذنبه يشحم بدنه بافرازاتها كي لا يغرق. أما فراخ الاوز فلا تعمل غددها الشحمية الاّ بعد بضعة



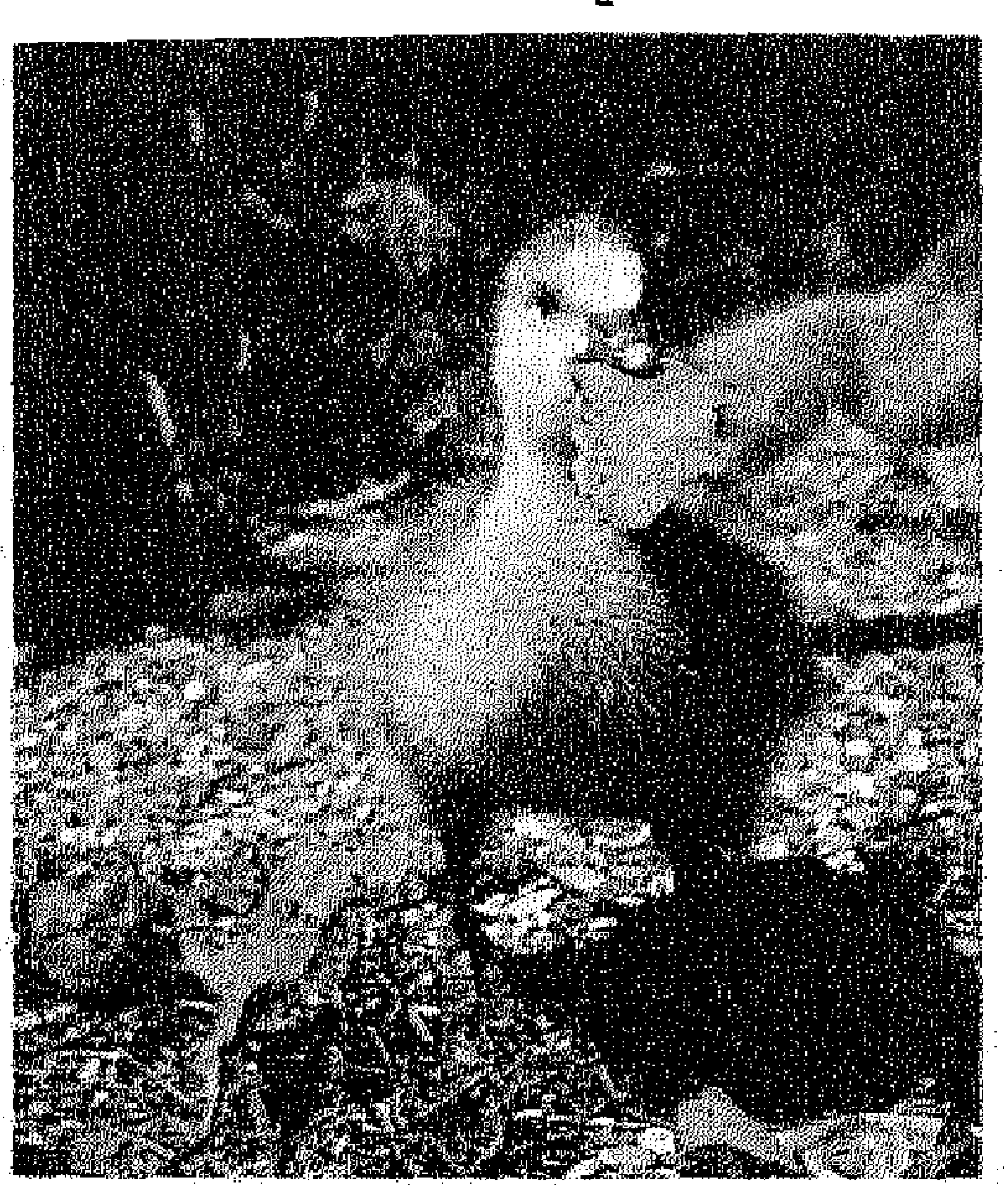
WOLFGANG ENGLERT

الكاتبة تسبح مع موكه ويولتشن. والى اليسار، الخس وجبة فاخرة لموكه.

أسابيع من تفقيسها. والى ذلك الحين ترطب زغبها من طريق حكه بريش أمها. وقد أثبتت سترتي الصوفية قصورها في هذا المجال اذ لم تقِ زغب فراخي من البلل. وبعد كل "حمّام" كانت الفراخ تبدو مثل فئران مبللة.

"كيف يمكنك التمييز بين فراخك الستة؟ فهي متشابهة تماماً."

كثيراً ما طرح علي هذا السؤال. لكنني لم أواجه صعوبة في التمييز بين فراخي، فلكل فرخ صوت مختلف ووجه خاص وسلوك مميز. وقد لمس بورتسل وفلوكه استقلاليتهما في مرحلة مبكرة، ولازم واحدهما الآخر باستمرار. وترأس بورتسل المجموعة منذ البداية، لكنه بين الفينة والاخرى كان يشعر بتحدي فلو وهو المتذمر الاكبر. أما يولتشن فكانت منشرحة الصدر معظم الاحيان ومنفتحة على كل جديد. وكثيراً ما كان فضولها ينسيها اللحاق بي وباخوتها. أما موكه



GUNTER ZIESLER

وبونكتشن فكانا الاكثر التصاقاً بي يتوددان الي في كل سانحة.

يوماً بعد يوم نمت حيوية الفراخ وحاجتها الى الحركة. وكان وزنها يتضاعف كل أسبوع. وسرعان ما ألفت الجوار ولم أدر بها الا وقد اضطلعت بدوري فباتت تسير امامي خلال نزهاتنا اليومية الى البركة أو عبر الغابة.

وبدت الحفر المملوءة بمياه الامطار أنسب المواقع للعب بالماء. فكانت الفراخ تعكرها بأقدامها المكففة باعثة فيها غيوماً من الوحل، ثم لا تلبث أن تبحث بمناقيرها عن حصى صغيرة تخزنها في معدها لتساعدها على الهضم. وتركض فجأة في كل اتجاه باسطة أجنحتها القصيرة، ثم تدور وتتجمع تحت قدمي كأنها تنفذ أمراً سرياً. هذا النوع من التفرق هو، مثل الغوص في المياه، ضرب من اللعب. لكنه أيضاً سبيل لنجاة الاوز البري عندما تتهدده الثعالب أو الطيور الكاسرة.

حان الوقت لاصطحب فراخي الى نهر آك الذي يبعد ٥٠٠ متر عن بيتي. ركضت الفراخ أمامي طوال الطريق. ولكن عندما دخلنا أراضي مجهولة تهادت خلفي رافعة أعناقها بتيقظ ولم يكن ثمة ما يردعها عندما وصلنا الى النهر، فانزلقت رأساً على عقب من الضفة الى المياه.

وكان عرض لفنون السباحة. فقد مارس موكه ويولتشن "الشقلبة" والوقوف على الرأس. وترجح كل من بورتسل وفلوكه يمنة ويسرة مصفقين بأجنحتهما باهتياج شديد. أما فلو وبونكتشن فمارسا الغوص. وعندما كان

أحدهما يطفو على ظهره لم يظهر منه الا الاقدام والبطن. وكانت الفراخ جميعها ترش الماء بحماسة، فتبللتُ وأنا جالسة على الضفة.

تعلم الطيران. في منتصف يونيو (حزيران) نبت لفراخي بعض ريش عوض الزغب. وعظمت شهيتها للطعام وباتت



الفراخ مرتاحة خلف المقود.

تبدي اهتماما بخضر أخرى غير البرسيم والهندباء البرية، كالملفوف الغض مثلا. لكنني رفضت التضحية بالملفوف كما ضحيت بالخس، فسيجت مسكبة المزروعات.

في الاسابيع الثلاثة السابقة أصيبت فراخي ببعض "أمراض الطفولة." فعانى موكه وفلوكه أولا التهابا في العيون، ثم التهبت حنجرة فلو. وفي احدى جولاتنا أثار بونكتشن قلقي إذ رفض الاكل ومتابعة السير وارتضى أن أحمله الى البيت. وفي اليوم ذاته أصيب باسهال حاد، فأخذته مساء الى الطبيب البيطري الذي أعطاه حقنة... ولكن بعد فوات الأوان. ففي صبيحة الغد نفق بونكتشن بين ذراعي. شعرت بالحزن طبعاً، لكنني أدركت أن احتمالات الوفاة هي أعلى في الطبيعة، وأن علي أن أفرح إذا استطعت المحافظة على الفراخ الخمسة الباقية.

كان بورتسل وفلوكه في أسبوعهما السابع عندما استحوذت عليهما الرغبة في الطيران. فما ان خرجا من البيت حتى أخذا يركضان في أرجاء الفناء مصفقين بأجنحتهما باهتياج. وكان أثر ذلك معدياً، إذ سرعان ما انضمت اليهما الفراخ الثلاثة الاخرى. وتعلمتُ كلمة جديدة من قاموس الاوز هي "غاق" حادة افترضت أنها تعني: "هيا بنا نطير!"

كانت مساحة المرجة خلف البيت صغيرة نسبياً ولا تفي بحاجة تمارين الطيران. الا أن جارتي سوّت جانبا من أرضها، فقدت فراخي الى هناك وركضت أمامها. حقق مسلكي هدفه، إذ تبعتني الفراخ وهي تقفز وتصفق بأجنحتها.

وقوي اصطفاق أجنحتها يوما بعد يوم. وفي اليوم الاخير من شهر يونيو (حزيران) حان وقت الطيران. فركضت الفراخ أمامي نحو "المدرج." وبعد اجتيازها بضعة أمتار ارتفعت للمرة الاولى في الهواء وحطت على بعد عشرين متراً الى جانب الطريق. ولاحظت من جديد أن يولتشن احتاجت الى الركض مسافة أطول.

وسط هذه الاثارة الجديدة زادت رغبة الفراخ في الطيران. وبات مدرج جارتي

دائم الانشغال. كانت الفراخ تبدأ نهارها بجولات صباحية فوق المنازل المجاورة. ثم أدرجت نهر آك في برنامج طيرانها. ولم يكن نمو أجنحتها اكتمل بعد. وعلى رغم قدرتها الغريزية على الطيران كانت لا تزال في حاجة الى اتقان الاقلاع والهبوط والمناورة. وكان قلقي يزداد كلما ارتفعت أكثر في طيرانها. فثمة منازل وأسلاك هاتف وكهرباء، وأنا لا أستطيع الطيران في الطليعة لأحذرها من الخطر كما تفعل أمات الاوز الاصيلة. وبعد فترة وجيزة بت عاجزة عن اللحاق بها ركضاً. وفي نزهتنا التالية الى بحيرة هوبفن امتطيت دراجتي ولحقت بها. وعندما وصلت لاهثة وجدتها ترعى في انتظاري.

وعلى رغم قدرتها الجديدة على الطيران ظلت متعلقة بي. وغالباً ما كانت تعود من نهر آك عندما تلاحظ غيابي. وحتى أثناء طيرانها كانت تبقى على اتصال صوتي بي، وكلما ناديتها: "تعالي" عادت وحطت بقربي.

نداء الحرية. ذات أمسية في أواخر أغسطس (أب) رفضت الفراخ اللحاق بي الى المنزل. لا شك في أن غريزتها انبأتها بوجوب المبيت عند البحيرة. وبقلب كسير عدت وحدي الى البيت، فطوال ثلاثة أشهر قاسمتني هذه الفراخ غرفتي وها هي فجأة تصبح بالغة. لقد فعلت كل ما يمكن لتحضيرها لحياة البراري، وها هي الآن جاهزة لذلك. على الاقل، أستطيع الآن أن أحظى بساعة نوم هانئة.

عند انبلاج الفجر صحوت على تحية صباحية حارة. وما ان جلست على العشب حتى قفز موكه الى حضني وغفا. ربما كان البلوغ يتطلب وقتاً أطول. وبعدما قضينا النهار كله معاً ظهر التململ على الفراخ. وقبيل حلول الظلام طارت نحو بحيرة هوبفن.

منذ ذلك الحين صار يومي يبدأ بزيارة الفراخ الصباحية. وكانت دقات قلبي تتسارع كلما لمحت طيفها في الجو.

ذات عصر في أوائل سبتمبر (أيلول) ذهبت في السيارة الى البحيرة فلم أجد فراخي هناك. لكنني وجدتها أخيراً على الضفة المقابلة في متنزه قرية هوبفن. فسألني اثنان من المارة: "تلك فراخك، أليس كذلك؟ كانت واقفة وسط الطريق. وكلما مرت سيارة بسطت أجنحتها ولم تتزحزح قيد أنملة. أخيراً طاردناها وأبعدناها عن الطريق، وما زلنا نراقبها."

وبعد أيام راقبت الفراخ من بعيد. قضت معظم وقتها على ضفة البحيرة. وفجأة رأيتها تتجه نحو الطريق. وبعد وقت قصير سمعت ازيز عجلات سيارة أرغمت على التوقف فجأة، فقلت لنفسي: ماذا لو وقع حادث؟ سأضطر الى دفع الاضرار. كيف أعلمها أن تخاف الطرق؟

قصدت شركة تأمين وسألت الموظف: "هل يمكنني الحصول على بوليصة تأمين رسمية على خمسة فراخ أوز برية؟" فنظر الي مندهشاً ثم عبس مفكراً وانهال علي بوابل من الاسئلة. وبعد اتصال هاتفي أجراه مع المدير حصلت على البوليصة.

تطوع أبي لتمثيل دور "الفزاعة." فتسلّح بقرن كبير وبعلب تنك فارغة. وكان

كلما اقترب أحد الفراخ من الطريق أصدر جلبة رهيبة. وهو نجح في مسعاه – على الاقل في الايام القليلة التالية – إذ أبقى الفراخ بعيدة عن نطاق الخطر.

ومع أن الصيف كان لا يزال مخيماً على الريف في أواخر سبتمبر (أيلول) فقد ازدادت رغبة الفراخ في الطيران. فموعد الهجرة السنوية للطيور يقترب في موطنها الآسيوي الاصلي. ويطير الاوز المخطط الرأس عبر جبال حملايا الى قواعده الشتوية في السهل الهندي الشمالي. وللوصول الى هناك عليه أن يعلو أكثر من أي طائر آخر. وأدركت أن فراخي لن تطير بعيداً، فالطيور الصغيرة تتبع والديها اللذين يقودانها في طريق هجرتها. ولكن خلال الايام القليلة السابقة لم تعد فراخي تمضي الليل عند بحيرة هوبفن، بل كانت في كل مساء تطير شرقا الى بحيرة فورغن حيث انتقت مضجعاً بين القصب، ولا تعود الى بحيرة هوبفن الا مع انبلاج الفجر.

وحان وقت الوداع. فريبياتي التي أمضيت معها ما يقارب خمسة أشهر باتت قادرة على الاعتناء بذاتها. وصباح يوم أحد من شهر أكتوبر (تشرين الاول) غطّى ضباب الخريف الرطب البحيرة. واذ أعلنت ساعة البرج المجاور تمام السادسة انبثقت أطياف خمس اوزات برية من جدار الضباب الرمادي وامتزجت نداءاتها البهيجة برنين الاجراس. ناديتها، فهبطت مرة أخيرة من أعاليها إليّ.

لقد تحقق حلمي.

أنجليكا هوفر ■



توارد خواطر

عندما كنا ندرس نظرية "توارد الخواطر" في صف علم النفس، قال الاستاذ المحاضر إنه سيقف في صدر القاعة ويرسل افكاره الينا. وطلب منا تسجيل الافكار التي ترد علينا لمقارنتها لاحقاً بافكاره.

وران صمت مطبق على الصف اذ وقف المحاضر بوقار واغمض عينيه محاولا التركيز. لكن طلاباً ضعيفي الارادة لم يتمالكوا انفسهم ومضوا يقهقهون بصوت مكبوت. لكن الصف بكامله انفجر ضاحكاً عندما سأل أحدهم الاستاذ بصوت هادىء: "هل تسمح باعادة السطر الأخير؟ لقد فاتني تسجيله بسبب القهقهة."

ا.د.ك.

ميلاد ضوئي

فاجأتني عائلتي بقالب حلوى يوم عيد مولدي أضْفَى عليه لمسة بارعة. فبدلا من الشموع غرزت "لمبة" في القالب وحولها ورود من السكر.

ا.ل.

المختار

يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيما
بين ١٩٨٩/٨/١ و١٩٩٠/٩/٣٠
اربعة اعداد اضافية مجاناً
مع كل ١٢ عدداً.
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهراً) يتلقى
١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم:
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً؛
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العنوانين المذكورين
خلف هذه القسيمة.

الاسم ______________________

____

العنوان ______________________

____

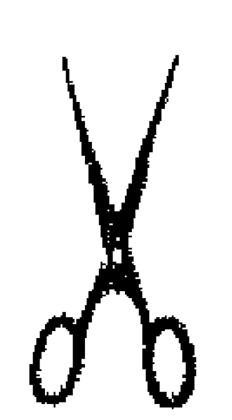
التاريخ ______________________

التوقيع ______________________

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العناوين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

ستة ناجحين يتذكرون دروساً تلقوها في انطلاقتهم الاولى الى ميدان العمل



■ ■ ■ ■ ■ صانع القبعات

خلال نشأتي في الأحياء الفقيرة شمال فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، كان الحصول على عمل أمراً ممكنا لأي ولد. وتوجب علي أن أعمل لأن والدي تخلّى عنا وكانت أمي في حاجة الى مساعدة مادية.

عملت ماسح أحذية. وكان أحد زبائني رجلا يملك معمل قبعات للسيدات. وما عتم أن طلب مني أن أعمل لديه في تسليم رزم البضائع. ولدى بلوغي الرابعة عشرة رقّاني الى العمل في خياطة أطر القبعات. وكان ينقدني ٥٠ سنتا في الساعة، فأعمل لديه بعد انصرافي من المدرسة.

وذات يوم طلب مني أن أساعده في عطلة نهاية الاسبوع لتحضير قبعات موسم الخريف. أبديت تمنعاً في بادئ الامر اذ كنت على موعد مع صديقتي للذهاب الى حديقة الملاهي. لكنه أفحمني اذ سأل: "أيعقل أن ترفض كسب المال وتخرج وتصرف مالا؟"

فاستصوبت الذهاب الى العمل.

وقال لي مرة ثانية: "أتعلم أنه أسهل علي كثيراً أن أبيع زبوناً مكنسة كهربائية لماعة من أن أقنعه بشراء سهم ماليّ واحد؟"

فسألته: "وما هو السهم؟"

فعرّفني الى عميل في البورصة اقترح عليّ شراء سهم في شيء أحبّه. وأحببت "بيبسي كولا" فاشتريت فيها سهماً بقيمة ١٨ دولاراً.

بعد ذلك شرعت أقرأ الصفحات المالية في المجلات والصحف للاطمئنان الى أوضاع شركتي، وما لبثت أن اشتريت مزيداً من الاسهم بعتها بـ٢٨ دولاراً للسهم الواحد لدى التحاقي بالجامعة. وبعد تخرجي عدت الى سوق الأسهم المالية لتوظيف مالي من أجل مستقبل عائلتي.

صرفت من عملي في مصنع القبعات وأنا في السن السادسة عشرة. فقد وشى أحد العمال بصاحب المصنع الى دائرة الاجور في وزارة العمل لانه يشغل قاصراً.

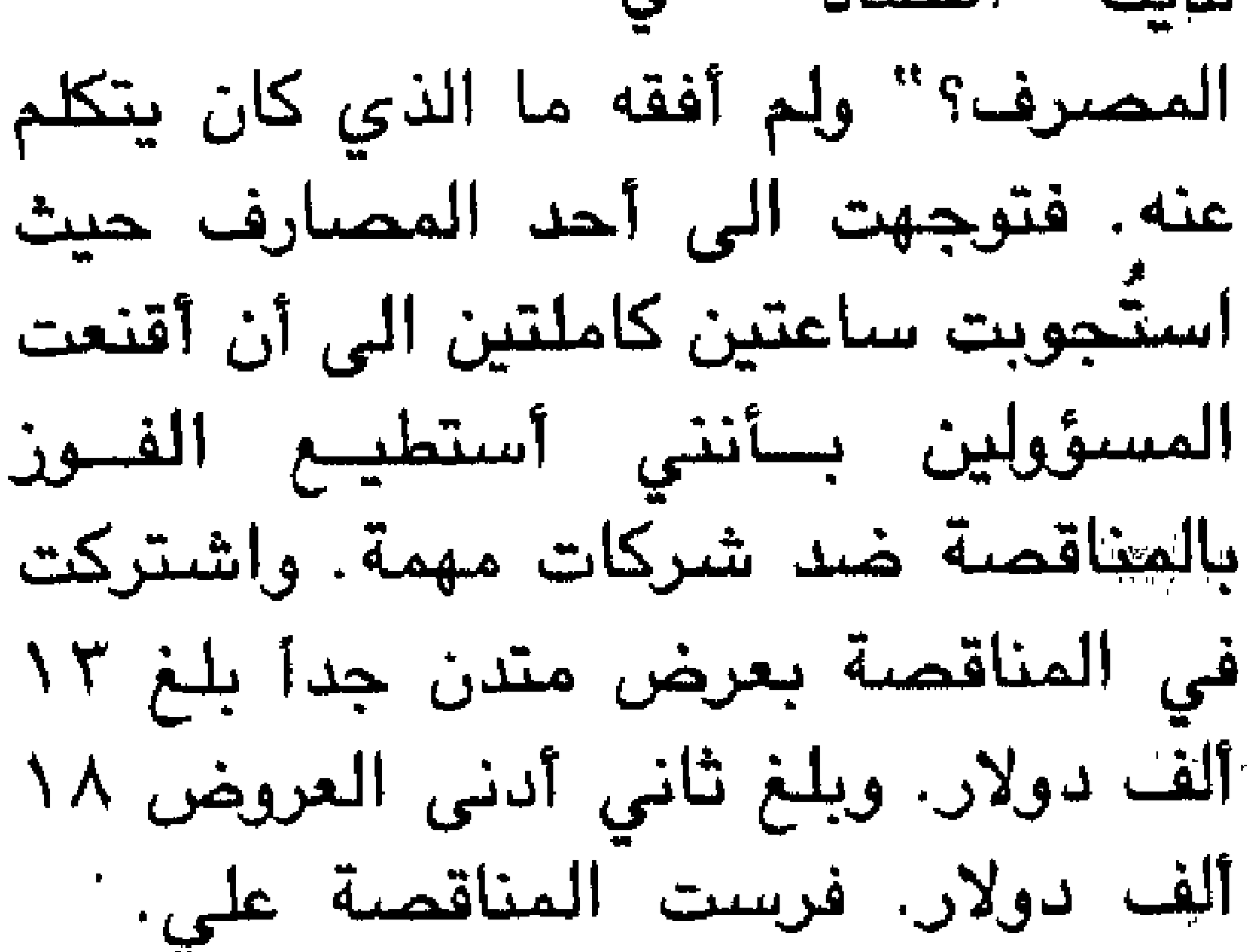
وقال المحقق لأمي إن رب العمل يستغلني. يستغلني أنا! فيا له من

استغلال رسم طريق حياتي.

ولتر وليمس "أستاذ ممتاز" في كلية الاقتصاد بجامعة جورج مايسون في ولاية فرجينيا. وهو صحافي مرموق ومؤلف أربعة كتب.

البنّاء

بعد توقفي عن الدراسة أردت أن أنشىء شركة بناء خاصة ولم يكن في حوزتي سوى ١٢٠٠ دولار ادخرتها من العمل صيفاً مع والدي الذي كان ناظراً في ورش البناء. فقدمت عرضاً في "مناقصة" على ورشة للاشغال العامة قرب منزلنا في شمال ولاية نيويورك. لكنني اكتشفت أنني في حاجة الى كفالة للفوز بعقد العمل. وسألني المسؤول عن الكفالات: "هل لديك اعتماد في المصرف؟" ولم أفقه ما الذي كان يتكلم عنه. فتوجهت الى أحد المصارف حيث استُجوبت ساعتين كاملتين الى أن أقنعت المسؤولين بأنني أستطيع الفوز بالمناقصة ضد شركات مهمة. واشتركت في المناقصة بعرض متدن جداً بلغ ١٣ ألف دولار. وبلغ ثاني أدنى العروض ١٨ ألف دولار. فرست المناقصة علي.



أرعبني فوزي. وكاد أبي يجن لاعتقاده أنني سأنتهي الى الافلاس. وكان ذلك اعتقادي أنا أيضاً. لكن عرضي المتدني جداً كان بَرَكة مخفية، فالمرء يبذل جهداً أكبر حين يكون مرتاعاً.

ولكي أتمكن من دفع ايجار المعدّات التي احتجت اليها، كنت أنهض في الرابعة صباحاً وأعمل في حفر أقبية للمنازل حتى السابعة، موعد بدء العمل في ورشة الاشغال العامة. وفي السادسة مساء أعود الى حفر الأقبية لمدة ثلاث ساعات. وكنت أتقاضى ٥٠ دولاراً عن كل قبو، وأحفر أربعة أقبية في اليوم. وبذلك تمكنت من تسديد ايجار المعدات.

كان العمل مضنياً، ولكن بعد انتهاء الورشة بات لدي رأس مال متواضع، وسجل رسمي لانجاز الاعمال لدى الدوائر المعنية، وثقة بالنفس تنبع من المخاطرة في سبيل تحقيق الاهداف.

روبرت ج. كونغل صاحب غالبية الاسهم في "بيراميد" كبرى شركات تشييد المجمعات التجارية في شمال شرق الولايات المتحدة.

البائعة

كان أبي يملك محلا للبقالة وآخر لبيع الزهور في بلدة مونتروفيل الصغيرة بولاية الاباما. وكنت في الثانية عشرة من عمري أساعده في تفريغ البضائع وطلب الزهور وتنسيقها، فأنهض في الخامسة صباحاً لاكون في المحل وألبّي طلبات العمال الذين يشترون اللحم والخضر لوجبة الغداء التي يتناولونها في حقول القطن.

لكني شأن جميع الصغار لم أحسن العمل دائماً، فكنت أهمل عد قطع النقد المعدنية أو اتغاضى عن تنظيف بعض الاسلاك في رف برّاد اللحم، فيجبرني والدي على اعادة تنظيفها بفرشاة أسنان.

PHOTO: © CHICAGO TRIBUNE / WALTER KALE

وكان يدفع لي ١٠ دولارات في الاسبوع، وكنت شغوفة بمطالعة الكتب. لكن المكتبة العامة كانت محرَّمة على الاولاد السود، لذا كنت أصرف خمسة دولارات في الاسبوع ثمناً للكتب وأدخر البقية لدخول الجامعة.

وذات مرة كنت مكبة على القراءة، فأهملت تلبية أحد الزبائن. فاستشاط والدي غضباً وهزّني بعنف قائلاً لي: "إياك أن تكوني فظة مع هؤلاء الناس، فهم من يتيح لك شراء هذه الكتب؟"

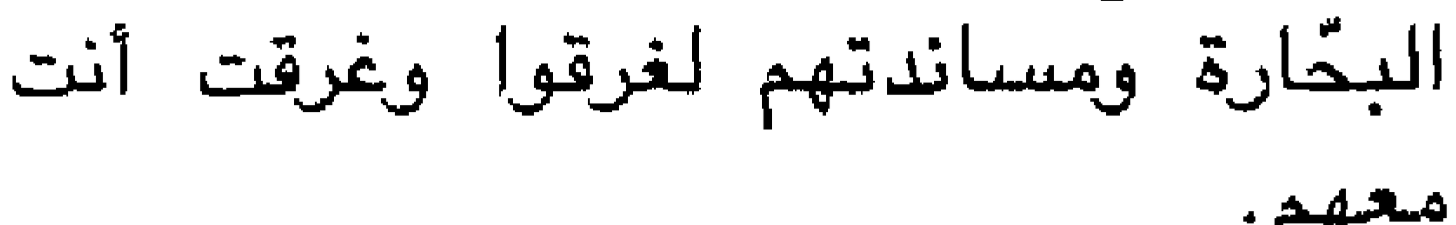
ولطالما تذكرت قوله هذا. وما أنا الآن سوى حصيلة ما تعلمته آنذاك.

مارفا كولينز مؤسسة مدرسة "وستسايد" الاعدادية في شيكاغو بولاية ايلينوي وهي حازت جوائز عدة تقديراً لعملها مربية.

■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ البحار

كنت على متن سفينة تجارية متجهة من الفيليبين الى هونولولو (جزر هاواي) حين ضربنا اعصار بعد ثلاثة أيام من مغادرتنا الميناء. ترنّحت السفينة تحت وطأة الامواج، وفكّ رباط ١٢ برميلا من الزيت فتدحرجت على متنها. واستحال وقوف شخص واحد بمفرده أمام البراميل المتدحرجة، فعملنا كفريق وحاصرنا البراميل ثم ثبتناها في أماكنها.

وفي ما بعد، في الحرب العالمية الثانية، كنت بحاراً مكلفاً مراقبة قافلة من ٤٠ أو ٥٠ سفينة محملة ذخائر. وفي برد الشتاء القارس ووسط العواصف الهوجاء التي تهب على شمال المحيط الاطلسي، كنت أقف على منصّة مكشوفة أراقب السفن فيتكثف الجليد على وجهي وملابسي. وكانت نوبتي في المراقبة تدوم أربع ساعات كأنها الأطول في التاريخ. لكنها علمتني أمرين مهمين حقاً: كيف تنجز عملك، وأي نوع من المعاونين أنت. ولا شيء عدا ذلك يستحق الاهتمام. فحياة الجميع متوقفة على كل فرد من البحّارة. وتلك أمثولة في أهمية التضامن البشري، فإن أحجمت عن حماية زملائك البحّارة ومساندتهم لغرقوا وغرقت أنت معهم.



لين كيركلاند رئيس الاتحاد العمالي الامريكي ورئيس مجلس المنظمات الصناعية.

■ ■ ■ ■ ■ ■ لاقط الكرات

إبان الازمة الاقتصادية في الثلاثينات كنت في المدرسة الثانوية. وعملت خلال فصل الصيف مساعداً للاعبي الغولف في عطل نهاية الاسبوع. وكان الاولاد الذين يسبقون سواهم الى الملعب يضمنون الحصول على تلك الوظيفة، لذا كانت أمي تنهض في الرابعة صباحاً لتحضير فطوري وغدائي فيسهل علي الوصول أولا الى الملعب.

وفي سنتي الثانية خطر لي أن أسأل

لاعبي الغولف أن يطلبوني كمساعد. ولم يكن الامر سهلا أدبياً، وتطلّب بعض الشجاعة لشعوري بأن هؤلاء أرفع مني منزلة. الا أن الحظ ابتسم لي حين كنت أساعد أحد أصحاب المصارف الذي قذف الكرة فانحرفت وسقطت في بحيرة. فما كان مني الا أن خلعت سروالي وخضت الماء ورحت أتلمس قعر البحيرة بأصابع رجلي حتى وجدت الكرة. سرّت بادرتي صاحب المصرف كثيراً، فاغتنمت الفرصة وعرضت عليه طلبي. ومنذ ذلك الحين كان كلما لعب الغولف يطلب أن أكون مساعداً له.

بعد ذلك أصبح الامر أسهل. وبت ملما بطلب المساعدة من الناس، أسألم أن يكونوا مراجع لي يشهدون لمؤهلاتي عند الحاجة. ولا جدوى من ذلك ان كنت لا تتقن عملك، ولكن ان أحسنت الاداء أحب الناس مساعدتك. ولكي تنجح، لا بد من أن تلازمك أهدافك خلال الأكل والنوم، وفي الاحلام، انما من المهم أيضاً الا تخشى طلب المساعدة.

كورت كارلسون منشيء مجمّع يضم ٧٥ شركة بلغ دخلها الاجمالي عام ١٩٨٩ نحو ستة مليارات دولار.

■ ■ ■ ■ ■ ■ تاجر الصابون

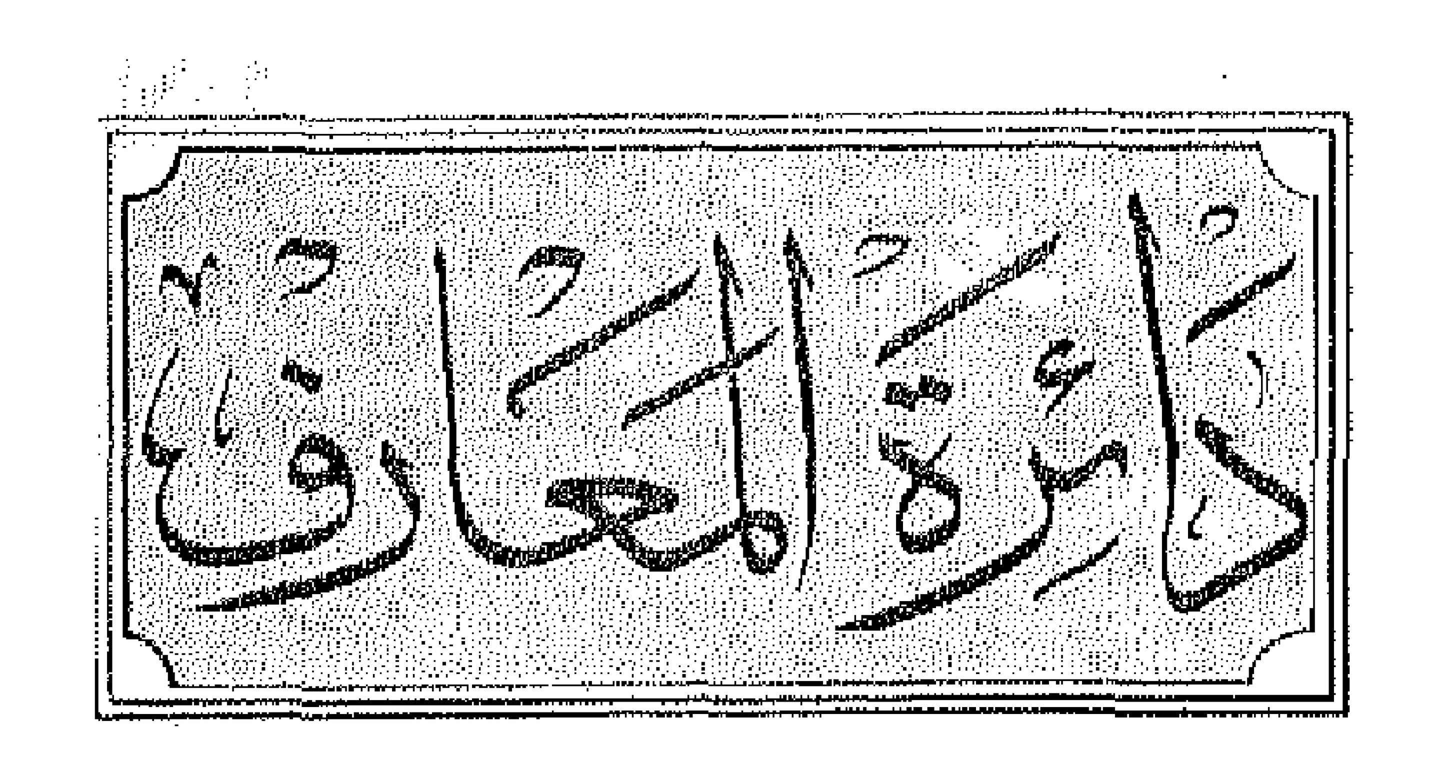
بعدما خدمت في سلاح البحرية خلال الحرب العالمية الثانية، وجدت نفسي حائراً في ما أعمل. لم تجذبني مهنة معينة، فعملت في حقل التأمين ثم أصبحت بائع صابون الى المستشفيات ومحلات غسل الملابس. فعرفت أني أملك موهبة البيع. وأذكر اجتماعي برئيس قسم المبيعات، كان يبدو سعيداً ويجني مالا كثيراً. لكني تساءلت: هل سأستمر أبيع الصابون بقية أيام حياتي؟

ثم التقيت رجلا يبيع اعلانات لاذاعة «WOR» في مدينة نيويورك. فجال بي في الاستوديو، وجلست مأخوذاً في غرفة البث أستمع الى اذاعة أحد العروض الكلامية اليومية. وكأن نوراً أضاء ادراكي فجأة، فعرفت للحال أن أمنيتي الحقيقية هي العمل في الاذاعة. وحصلت على وظيفة تأمين اعلانات تجارية لاذاعة «WOR» وهي عملاق صناعي في كبرى الاسواق الامريكية. وحققت نجاحا باهراً في عملي لانني أحببته حقاً.

من المهم، اذا لم تكن سعيداً في عملك، أن تتركه وانت لا تزال مرنا في ربيع العمر، قادراً على محاولة القيام باعمال جديدة. وحتى إن كان أجرك مغرياً ولا تجد عملك مثيراً فيجب أن تتركه اذ ليس في امكان أحد أن يجلّي في عمل مدة ٤٠ سنة اذا كان لا يحبّه.

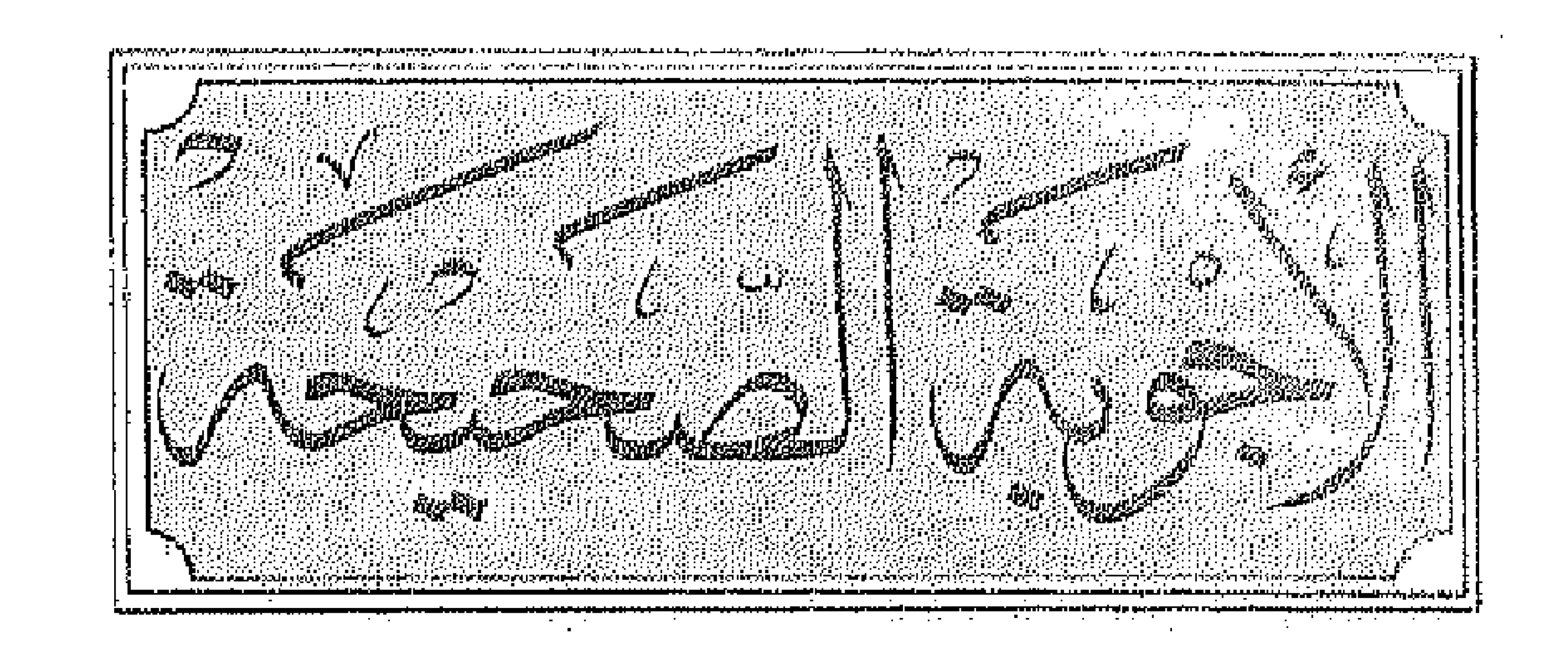
فرانك شكسبير رئيس قسم الخدمات التلفزيونية في شبكة «CBS» ومدير الوكالة الامريكية للمعلومات. وسفير سابق للولايات المتحدة في البرتغال (١٩٨٥ - ١٩٨٧) والفاتيكان (١٩٨٧ - ١٩٨٩).

راندي فيتزجيرالد ■



كلمات الدائرة أسماء على وزن فعلاء. وقد وضع امام كل اسم اربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسبا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

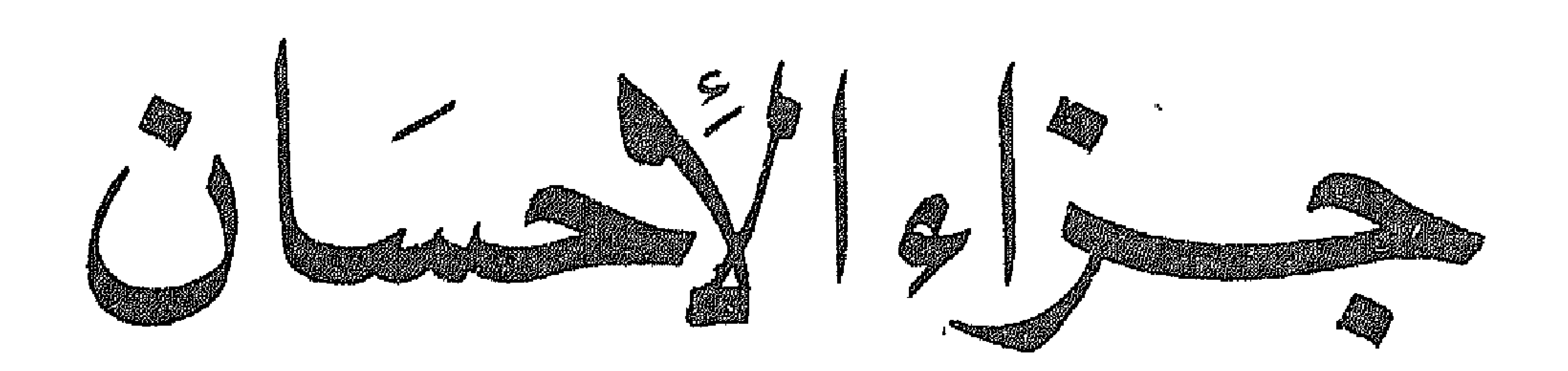
١. **بغضاء**: طراوة – غض الطَرْف – بغض شديد – هلاك.
٢. **حصباء**: حصى – قصب طويل – عروس – من الامراض.
٣. **ضوضاء**: شهرة – جلبة – ضوء ساطع – كذب.
٤. **سحناء**: تجهّم – حُسْن – جبين – هيئة ولون.
٥. **هيجاء**: حرب – ريح شديدة – غضب – ناقة شرود.
٦. **رمضاء**: عطش – ألم مبرّح – شدة الحر – اغماضة عين.
٧. **لوماء**: لؤم – عذل ولائمة – اشارة – نحيب.
٨. **تَرْباء**: ذهب – تراب – قبر – فقر مدقع.
٩. **وعثاء**: عثرة – خراب – سفر – مشقة وتعب.
١٠. **قوباء**: قوس – جماعة من الناس – مرض – مصيبة.
١١. **عنقاء**: طائر خرافي – فرس أصيلة – حبيبة – كرمة.
١٢. **لألاء**: اهتزاز – فرح تام – ثرثار مهذار – قذارة.
١٣. **بيداء**: موت – بُعد – حقل خصبة – فلاة.
١٤. **فحشاء**: فحش – بكاء صاخب – ظلمة – أنثى الوطواط.
١٥. **كأداء**: شدة ومشقة – عرجاء – قصر يد – عجوز.
١٦. **برداء**: عباءة – ستار – حمى مع برد – قشارة.
١٧. **حنّاء**: أوان – نبات يخضّب به – حنين – طائر.
١٨. **حَوْباء**: نعش – حشرة سامة – نفس – نبتة عطرة.
١٩. **شحناء**: عداوة – ازدحام – شحوب – أمارات الوجه.
٢٠. **جلّاء**: تأجيل – عين واسعة – هيبة – خطب عظيم.
٢١. **حرباء**: رمح قصير – غارة – عقرب – زحّافة متلونة.
٢٢. **غوغاء**: جلبة – سفلة الناس – اشاعات – كلام النائم.
٢٣. **سرّاء**: سر – مشي الليل – مسرّة ورغد عيش – سيادة.
٢٤. **بَوْغاء**: فساد – غاية – بلاغة – ما ثار من غبار.
٢٥. **فيحاء**: دار واسعة – حيّة ناشبة – رائحة – بستان.



١. **البغضاء**: البغض الشديد.
٢. **الحصباء**: الحصى. الحَصِبة: ريح شديدة تثير الحصباء.
٣. **الضَوْضاء والضِيْضاء**: الجلبة، وأصوات الناس في الحرب أو الازدحام.
٤. **السحناء**: الهيئة واللون. أيضاً: لين البشرة والنعمة.
٥. **الهيجاء**: الحرب.
٦. **الرَمْضاء**: شدة الحر. أيضاً: الارض الحامية من شدة حرارة الشمس.
٧. **اللوماء**: العذل واللائمة.
٨. **التَرْباء**: التراب، والارض ذاتها. يقال "بينهما ما بين الجرباء والترباء" أي ما بين السماء والارض.
٩. **الوعثاء**: المشقة والتعب. أيضاً: كل خصلة مكروهة. يقال "ركب الوعثاء" أي أذنب. وعثاء السفر: مشقته.
١٠. **القوباء**: داء يتقشر منه الجلد ويعرف عند العامة بالحَزاز.
١١. **العنقاء**: طائر خرافي، ويدعى عنقاء مُغْرِب والعنقاء المُغرب والمُغربة. يقال "حلّقت به في الجو عنقاء مغرب" أي هلك وبطل.
١٢. **اللألاء**: الفرح التام. أيضاً: بائع اللؤلؤ. لألاء السراج: ضوءه.
١٣. **البيداء**: الفلاة أي الصحراء الواسعة.
١٤. **الفحشاء**: الفحش وما يشتد قبحه من الذنوب.
١٥. **الكأداء**: الحزن والشدة والمشقة. أيضاً: الليل المظلم. عقبة كأداء: شاقة.
١٦. **البرداء**: الحمّى مع البرد.
١٧. **الحنّاء**: نبات يُتخذ ورقه للخضاب الاحمر وله زهر أبيض كالعناقيد، مهده الاصلي الهند. أبو الحنّاء: طائر صغير أحمر الصدر.
١٨. **الحَوْباء**: النفس. قيل هي مأخوذة من الحَوْبة بمعنى الحاجة لكون النفس موطناً للحاجات.
١٩. **الشَحْناء**: العداوة امتلأت منها النفس.
٢٠. **الجلّاء**: الجُلّى أي الامر الشديد والخطب العظيم.
٢١. **الحرباء**: ضرب من الزحّافات تتلوّن ألواناً مختلفة ويضرب بها المثل في التقلّب.
٢٢. **الغوغاء**: الجراد. أيضاً: سفلة الناس. والعامة تقول "غوغاء" بمعنى الجلبة واللغط.
٢٣. **السرّاء**: المسرّة ورغد العيش ونقيض الضرّاء. يقال "هو صديق لهم في السرّاء والضرّاء" أي في الرخاء والشدة.
٢٤. **البَوْغاء**: ما ثار من الغبار ودقائق التراب. بوغاء الطيب: رائحته.
٢٥. **الفيحاء**: لقب طرابلس والبصرة ودمشق. والفيحاء: الدار الواسعة.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول



جزاء الاحسان

أخاه في الحرب عندما كان شريداً
وعندما كبر الصغير وصار مليونيراً راح يفتش على الجندي الطيب الذي أحسن اليه

لم يعرف أحد كنية طريد العدالة ولا ما اذا كان حياً. لكن كورتلند جونز الموظف المتقاعد في قسم مكافحة التجسس بمكتب التحقيقات الاتحادي «FBI» قبل مهمة البحث عن الطريد بشوق شديد. وقد دأب جونز على العمل محققاً خاصاً في بعض القضايا كي لا يصاب بالصدأ على حد قوله. لكن هذه ستكون احدى القضايا الأغرب والأصعب في حياته المهنية. لم يكن الطريد مطلوباً لجريمة اقترفها، بل لفعل رفق بالانسان أتاه في الخمسينات.

كانت كوريا الجنوبية التي قاست ويلات الحرب عام ١٩٥٢ مرتعاً لاكثر من مئة ألف يتيم يتسكعون في الأرياف. واسم احدهم بيك سانغ هاك وهو فتى في الثانية عشرة من عمره تستره مزق من الثياب ويقتات بالنفايات التي يطرحها الجنود الامريكيون.

استخدمته وحدة مدفعية تابعة للجيش الأمريكي في عداد "الأحداث الشاحبين" كما سموهم. وقد عمل ستة منهم في غسل الثياب وتنظيف المراحيض وقضاء الحاجات. وكان بيك أصغرهم ولا يتقاضى أجراً، لكن الجنود قدموا اليه الطعام والحلوى واللبان.

وكان بين الجنود الامريكيين واحد اسمه بيلي وله من العمر ٢٠ عاماً، جُبل على الحياء ورقة الحاشية فلم يشتم ولم يرفع صوته. وران عليه سمت من الحزن لم يفارقه. وكان لقيطاً.

اعتنى بيل ببيك عنايته بأخ أصغر، وأقام له سريراً في قبو تحت الارض. وعندما أصدر القائد الجديد أوامر بإخراج الاولاد من الاقبية نقل بيل وبيك فُرش الهواء والأغطية الى ناقلة جند مصفحة.

وكان من دأب بيلي أن يكرر على

مسامع الفتى أن على المرء أن يسلك سلوكاً قويماً وأن يكون ذا استقامة في معاملاته مع الغير. ولشد ما كان بيلي يغتم اذ يسمع بيك يلفظ كلاماً بذيئاً، فيعقب: "لا تتحدث هكذا. هذا لا يجوز."

وعلّم بيلي بيك بعض المفردات الانكليزية. وجعله يتلو: "هذه حلوى، هذا مدفع رشاش." وكان الصبي يستصعب النطق بهذه الكلمات.

وعمل بيلي ليل نهار على حشو مدافع الهاوتزر* من عيار ١٠٥ مليمترات لقصف مواقع العدو. وكان بيك يحضر اليه أكواب القهوة. وكلما تخلف الجنود عن العودة الى الناقلة كانت الخشية تدب في بيك فيخالهم قُتلوا.

وانهارت أعصاب الفتى غير مرة. واذ ينفجر منتحباً يطوقه بيلي بذراعه قائلاً: "لا تقلق. لن تدوم الحرب الى أبد الآبدين."

ذات يوم فيما بيك واقف على ضفة النهر، سقطت قذيفة على برميل وقود. أشتعلت ثياب بيك فوثب غاطساً في الماء. وجاءه بيلي مسرعاً وحمله الى سيارة جيب هرعت به الى مركز اسعاف. وانقضت ١٨ ساعة قبل أن يستعيد الفتى وعيه. ها هو ملفوف بالضمادات وقد احترق بدنه من الأمام من رأسه حتى أخمصيه.

حين فتح بيك عينيه رأى وجه بيلي حزيناً ينظر اليه من علٍ. قال له: "لا تجزع. ستتحسن حالك." وبعد ثلاثة أشهر تعافى بيك وعاد الى عمله في الوحدة العسكرية.

ولمناسبة عيد الميلاد أهدى اليه بيلي علبة. فسأله بيك: "ما فيها؟"

أجابه: "أفتحها وانظر ما داخلها."

فتحها، فهاله ما رأى داخل العلبة: سروال جينز أزرق وقميص وحذاء وجزمة مخططة. كان بيك حتى ذلك الحين يلبس بزات عسكرية أكبر من قياسه، فكتب بيلي الى أحد الاشخاص في الولايات المتحدة – ظن بيك أنها أخته – يطلب ثياباً.

زُلزلت حياة الفتى بعد بضعة أيام اذ أرسل كل الاحداث العاملين دون السن الخامسة عشرة الى دور الايتام. وسرعان ما فرّ بيك. وحاول أن يعود الى فرقة بيلي، لكن الشرطة العسكرية أبعدته.

وقصد بيك مستوصفاً أمريكياً في سوكو، فحصل على وظيفة بواب. وتابع المسعفون هناك علاج حروق جسده.

في الرابعة عشرة أبلّ بيك تماماً. وكانت الحرب وضعت أوزارها فاتجه الى سيول. وعمل ١٨ ساعة يومياً بواباً في مصنع ينتج قبعات لتلاميذ المدارس. وشدت نباهته ورغبته في العمل انتباه صاحب المصنع. واذ بلغ الثامنة عشرة من العمر كان يدير مخزنين ومصنعاً صغيراً.

وما لبث أن ترك وظيفته بعد بلوغه التاسعة عشرة واستأجر مخزناً صغيراً. وأخذ يعمل في صنع القبعات كل مساء الى ما بعد منتصف الليل، ويقصد السوق فجراً لشراء المواد اللازمة، ثم يعمل طوال النهار في خدمة الزبائن. واستخدم مساعداً بعد ستة أشهر.

بيك اليوم من أثرياء كوريا. لديه ٣٨٠٠ موظف في ١٩ مصنعاً في خمسة بلدان بينها الولايات المتحدة. وقد غلّت مصانعه ربحاً اجمالياً بلغ ٨٥ مليون دولار أمريكي عام ١٩٨٩. وهي تنتج اللوائن والصناديق و٤٨ مليون قبعة للاعبي البيسبول، يباع اكثر من نصفها في الولايات المتحدة.

أربعة في صورة

عبر السنين رسخ في نفس بيك أن نجاحه في الحياة مرده الى المثال الاخلاقي السامي الذي زوده اياه بيلي. وتاق الى رؤيته ثانية، ولكن أنّى له ذلك؟

في منتصف الثمانينات، وفاء لذكرى بيلي، اشترى بيك أرضاً مساحتها ١٨ هكتاراً قرب مكان لقياه وصاحبه. فشاد هناك قرية بلغت كلفتها خمسة ملايين دولار وهي تؤوي اليوم ٦٠٠ من الايتام والعجزة والمعاقين والمعدمين. وفي القرية عيادة طبية ومركز للتدريب المهني ومزرعة. وأطلق بيك على بيت المعوقين اسم "دار بيلي."

يوم التقيت بيك في سيول في بداية العام ١٩٨٦ قال لي: "سأعثر على بيلي يوماً ما بطريقة ما."

تذكر بيك أن الوحدة العسكرية التي انتمى اليها بيلي اتخذت جواداً قزماً شعاراً لها. وعلمت أنا أن هذا هو شعار كتيبة المدفعية المدرعة الرقم ٣٠٠. ونشرت لي مقالة بعنوان "البحث عن بيلي" في عدد يونيو (حزيران) ١٩٨٦ من الـ"ريدرز دايجست" طلبت فيها الى من يعرف شيئاً عن بيلي الاتصال بالمجلة. وتلقيت ردوداً من أكثر من ٣٠٠ قارىء للمجلة، لكنني لم أعثر على طرف الخيط.

وغدا البحث عن بيلي عملا لأهل الاحتراف. وتعرفتُ الى كورتلند جونز، وكان في نحو السبعين وقد أمضى معظم عمره في تضليل الجواسيس ومن لف لفهم. ووقعت قصة بيلي من نفسه وقعاً مؤثراً.

ولاحت أول بارقة في رسالة وردت على الـ"ريدرز دايجست" من روبرت ج. ديفيس من كولورادو. وهو رقيب أول في السرية "أ" بالكتيبة ٣٠٠، متقاعد منذ أمد بعيد. لم يتذكر بيلي، لكن في حوزته لقطات مصورة عن أربعة "أولاد شاحبين" أصغرهم تلفه الضمادات من عنقه حتى خصره.

لقي بيك كورتلند جونز في نيويورك. واذ عرض عليه الصورة أيقن بيك أنه الصبي المضمد. لقد انحصر البحث عن بيلي في السرية "أ" لكن عدد أفرادها بلغ ١٣٠ كما تعاقب عليها مئات الرجال خلال الحرب.

سافر جونز الى شايين جواً آملا العثور على بيلي في عداد الحرس الوطني في وايومنغ. وأوضح له أحد الضباط أن الكتيبة ٣٠٠ وضعت في إشراف الحكومة المركزية بواشنطن لدى ارسالها الى وطنهم بأفراد من الجيش النظامي وافدين من أي مكان في أرجاء الولايات المتحدة الفسيحة.

وعكف جونز على تفحص جدول

بأسماء العناصر وأعمالهم يرقى الى العام ١٩٥٢. فعثر على ١٢ رجلا يحملون اسم بيلي. تعقب تسعة بالهاتف، فلم يكن أي منهم المحسن الذي حدب على بيك.

ثم التقى جونز عريفا في السرية "أ" اسمه وين سيكورد. لم يتذكر بيلي، لكنه ذكر أن بيك كان اصغر "الاحداث الشاحبين." ثم سلم جونز صورة فوتوغرافية له ولاربعة من أصدقائه في السرية "أ" وكانت أسماؤهم مكتوبة على قفا الصورة: الرقيبان ساباتينو ووايز والعريف هاك والنفر د. بيتي.

رمق جونز الصورة فألفاها غير ذات نفع. وأنى له أن يعرف أن أحد هؤلاء الاربعة هو بيلي.

لم تفضِ الادلة الاخرى الى شيء. وبعد سنة من البحث والتنقيب طوى جونز ملف البحث عن بيلي.

اجتماع في المطبخ

في نهاية العام ١٩٨٨ خطرت فكرة ببال الرقيب المتقاعد ديفيس. فنظم لقاء في كنساس سيتي بولاية ميسوري في مايو (أيار) ١٩٨٩ لقدامى أفراد السرية "أ" الذين تمكن هو وجونز من تحديد عناوينهم.

حضر الاجتماع أربعة عشر رجلا لم ير واحدهم الآخر من ٣٥ عاما. وجاء بيك في طائرة من سيول. وأكب لثلاثة أيام على تفحص أكثر من ألف صورة باخ لونها. وفيما هو ينظر الى احداها في اليوم الاخير من لقاء جمع الشمل صاح بغتة: "هذا بيلي!"

كانت الصورة غفلا من الاسم وقد التقطها لافيرن بابل الذي يعمل اليوم مزارعا في ليندساي بولاية نبراسكا.

أعمل الرجال الحاضرون اذهانهم. ثم قال أحدهم: "إنه ديف بيتي."

راجع ديفيس الجدول فعثر على اسم ديفيد بيتي ورقمه المتسلسل RA13283670 . لقد خلط بيك، لضعفه في الانكليزية في حداثته، بين "بيلي" و"بيتي."

تولى كورتلند جونز القضية ثانية. فوجد أن اسم ديفيد بيتي صاحب الرقم المتسلسل المذكور أدرج في قائمة الجيش في فيلادلفيا عام ١٩٤٨. لكن دليل الهاتف وملفات الآليات لم تؤد الى شيء. فعمد جونز الى التنقيب في سجلات أخرى، فتناهى اليه أن ثمة ديفيد بيتي في بورت ريتشموند، وهي منطقة تسكنها الطبقة العاملة في فيلادلفيا.

وعزمتُ وجونز على زيارة ديفيد بيتي هذا في منزله.

فتح لنا الباب رجل أشيب.

أخبرنا أنه حارب في كوريا، وأنه يذكر انه آخى صبيا صغيرا. سألناه هل تعرض الفتى الغر لحادث، فأجاب: "أجل، لقد أصيب بحروق."

افترت شفتا كورتلند جونز عن ابتسامة صغيرة، فبعد ثلاث سنوات ها هو قد عثر على مبتغاه.

كان بيتي في الثامنة والخمسين من عمره يطابق وصف بيك كما تذكره: رجل متواضع هادئ يفيض استقامة. واذ اخبرناه عن العرفان الذي يكنه له بيك بدا

وقد أشكل عليه، ثم قال: "لا أدري لم يولي الامور هذه الأهمية، اني كنت لأفعل ذلك مع أي شخص."

وُلد بيتي في فيلادلفيا ونشأ في دور رعاية. وكانت أول "أم" له ماري بول التي رعت عشرة أولاد صغار. وهي غرست في نفوسهم قول الصدق والعمل بكد ومن دون ملل.

ولمّا بلغ بيتي السن الرابعة عشرة لم تعد ماري قادرة على رعاية الاولاد. فعهد بالصبي المنكسر القلب الى السيدة كاثي كريدا التي أحبها بيتي حبا جما. فلبث عندها ثلاث سنين والتحق بالجيش وعمره ١٧ عاما. وعلبة الملابس التي جاءته في عيد الميلاد ذاك لم ترسلها أخته كما قدّر بيك، بل كاثي كريدا.

سرّح بيتي من الجيش عام ١٩٥٧. فعمل في فرن مدة ٢٠ سنة. وعندما اغلق الفرن عام ١٩٧٨ كان بيتي متزوجا وله أولاد صغار. فاضطر الى تدبير معيشته بشق النفس ملتحقا بوظائف موقتة.

وفي العام ١٩٨٢ عمل بوابا ليليا في مركز فيلادلفيا التجاري. وما زال في وظيفته تلك. وهو يكسب اليوم ٨ دولارات في الساعة، عاملا في تشغيل مصعد الشحن ونقل براميل النفايات الى رصيف التحميل.

ويعد بيتي نفسه محظوظا. فهو في صحة جيدة وله أربعة أولاد وهو وامرأته دوروثي زوجان سعيدان.

بيتي مولع بالرياضة، يحضر مباريات البيسبول في عطل نهاية الاسبوع. ولم يصل الى علمه خلال تلك السنين أن قبعات البيسبول المبيعة في المتنزه كانت من صنع ذاك الولد الكوري الرث الهيئة الذي آخاه قبل سنين.

بعد محادثتي مع بيتي هاتفت بيك وأخبرته: "قد عثرنا على بيلي."

بعد ثلاث ساعات ركب بيك طائرة في رحلة الى فيلادلفيا تستغرق ١٦ ساعة. وفي صباح اليوم التالى صحبته الى منزل بيتي.



قال بيك: "اني مضطرب الاعصاب." وانتظرني في السيارة فيما دخلت المنزل. قلت لديف بيتي: "انه في الخارج."

فسألني متوجسا: "ماذا أدعوه؟ أأقول له يا سيدي؟"

قلت: "ادعه ما كنت تدعوه... هاك."

خطا بيتي الى الشارع المشمس. واتجه بيك للقياه. حدق كل منهما الى الآخر، ثم تصافحا بوقار.

تبسّم بيتي وقال: "لقد كبرت مذ رأيتك آخر مرة يا هاك."

أجابه بيك مبتسما: "شعرك غزاه الشيب."

جلس الملياردير والبواب الى طاولة المطبخ وتحدثا عن الحرب وأفراد السرية وأعمالهما وأسرتيهما وآمالهما. بقيا هكذا مدة ست ساعات.

كان بيك يود أن يجازي بيتي على حنوّه، فلم يجده في حاجة الى شيء. فالبيت ملكه. ولم يشتر بيتي سيارة، ولا يرغب في ذلك، فهو يتنقل في الحافلات.

لكن بيك أصر على تقديم عون مالي. سيساعد ابنة بيتي لتمضي في دراسة التمريض، وسيساعد ابنه على دخول الجامعة.

وكان فعله يدل على جود نفس صاحبه. لكن المغزى الحقيقي لجمع الشمل ذاك هو حقيقة السلوك القويم الذي أرست دعاماته "أمّان" محبتان وتعهد سقياه جندي عادي في حياة مسحوقة لصبي مسكين أغدقه بدوره على مئات التعساء. هذا السلوك جزاؤه ينبع من ذاته.

ديفيد ريد ■

الطفل والبحر

عندما كان ابني في الخامسة من عمره، كان يطلب دائماً نزع سدّادة المغطس بعد الاستحمام. وكان يدهشه منظر المياه وهي تدوّم في المصرف.

وذهبنا يوماً الى الشاطىء. فشعّ وجه ابني عندما رأى البحر للمرّة الاولى. فامسك بيدي وسألني متردداً: "هل سنستحم هنا؟" فاجبته: "نعم، وسوف نمرح كثيراً." فقال: حسنا يا أماه، لكن عليك ان تدلّيني الى مكان سدّادة مصرف المياه!"

هـ.ف.ر.

زوج مثالي

كنت في مكتب المدير عندما تلقيت اتصالا هاتفيا من زوجي. ولعلمي أن المدير يستهجن المكالمات الهاتفية الخاصة خلال دوام العمل، اتى ردي مقتضبا ومبهما. وفهم زوجي انني في وضع حرج، فقال: "حسنا يا حبيبتي، اجيبيني بنعم أو لا. ما مقدار الحليب الذي يجب أن أضيفه الى البطاطا المهروسة؟"

ن.ل.

هل تطلبين السعادة في "زاوية القلوب المستوحشة" في الصحف والمجلات؟ إقرإي إذاً بين السطور

كثيراً ما يقال لنا إن كل شيء ممكن في عالم اليوم. فاذا كان الأمر كذلك فان السعادة في متناولنا. وحين أقرأ بريد "القلوب المستوحشة" في الصحف يتراءى لي أن كل ما فيها من تصويرات ذاتية ينشد شيئاً واحداً: السعادة.

وللبحث عن الحب طرائق متنوعة ومبتكرة في هذه الزوايا. وثمة معلمة تعرف بنفسها بأبيات من احدى قصائد شكسبير. فماذا عساني أقول فيها لو كنت رجلا؟

أما الرجال فهم أقل تعقيداً. يعلن

بريد "القلوب المستوحشة"



أحدهم: "أنا رجل رائع، أفتش عنك، عن زوجة رائعة!" أليس ذلك رائعا حقا؟ الا يبعث فيك شعوراً بالاثارة ويثبت لك أن لا أحد يعرفك أكثر من هذا الغريب؟ ويستوقفك غموضه، فهو لم يكشف شيئاً عن ذاته: لا عمره ولا وضعه المالي ولا شيء سوى قوله: "أنا أمير فاتن."

ويلف الغموض أولئك الذين يضيعون ذواتهم في متاهات التفاصيل المملّة. كأن يذكروا مسقط رأسهم وطبقهم المفضل وطول قامتهم بالمليمترات. ولكن ماذا يعني الرقم ١/٥٠؟ أهو قياس ملابسهم الداخلية، أم شيفرة سرية، أم العمر، أي ٥٠ عاماً وشهراً واحداً؟ وماذا عن ٨١/٨٠؟ ألعلّه قياس الخصر ام ان المعلن في أوائل الثمانينات؟

أعلن أحدهم في "زاوية القلوب المستوحدة": "أنا نحيف. وأطلب صاحبة فكر تحليلي مميز."

أنا أعرف أنني لست مؤهلة له، لكني أعرف أيضا أن التحديات الثقافية ليست جهداً مضنياً. فحين يتكلم هذا الرجل عن "أحلام الحب" و"الانوثة الآسرة" و"الاثارة التي يعجز عنها الوصف بين شخصين"، أتفهم كلامه ويخفق له قلبي: لكنه يبقى لغزاً اعجز عن حله بسبب مشكلة التفكير التحليلي التي أواجهها. ولكن هل أنا في حاجة الى هذا الرجل في أي حال؟

لا، قطعاً. فثمة رجال متميزون كثيرون يعلنون عن أنفسهم. فهناك الدينامي والرياضي والعالم والوارث ومالك الابنية والقصور. وهنا رجل أعمال يعلن أنه، على رغم نجاحه، "هادىء وليس ثرثاراً." لكم هو فاتن!

ولكن انتبهي يا فتاتي! ان عنوان نبذته: "نادر." فهل أنا في حاجة الى إجلال رجل نادر؟ ليجلس في واجهة ويعرض ذاته. فقد يحظى بأخرى "تحقق لي أحلامي كاملة." وهناك رجل ثالث يقدم الي حصة في شركة تملكها عائلته. طبعاً "المساواة ضرورية، والمطلوب توافر امكانات مادية لديكِ أيضاً." ولكن من يلومه؟ فحتى في السعادة لا شيء من دون مقابل.

ماذا جرى حتى أحجم هؤلاء الرجال الخارقون عن الزواج؟ يبدون جميعهم أثرياء وشباباً وعطوفين. ولماذا لم ألتق أحداً منهم في قطار أو في حفلة موسيقية؟

يكتب احدهم: "لا تيأسي اذا تهربتُ منك أولاً أو خجلتُ." فهل علي شراء سعادتي من معلن في مقابل تسامح لا يحظى به من أحد سواي؟

أم ان الخوف يعتري هؤلاء الرجال لدى اطلاعهم على إعلانات النساء في "القلوب المستوحشة"؟ ان رغباتهن هي العطف والحنان والتفهم. فهل الرجل الذي "يقدم جنة ويطلب حورية" يخشى في الواقع قيود الحب المعروفة؟

أنا سعيدة لاني لا أحتاج الى رجل أحلام. فالعيش الخالي من الهموم الذي توفره "الخمسون الموسِرة" (العمر هنا) لا يمكنه أن "يحوِّل الخريف ربيعاً" كما يعد شاب في الخامسة والعشرين.

سيبيل غرافن شونفلت ■

كتاب الشهر

"إنّي أرى"
هتفت العمياء منذ ٢٥ سنة

ملخص من كتاب
"كما أراه"
بقلم جودي تايلور

"إنّي أرى"

قد يبدو فقدان النظر نهاية لحياة منتجة، لكنه بالنسبة الى جودي تايلور كان بداية لمثل هذه الحياة. تذكر جودي أنها أحست وهي طفلة "بغيوم سوداء تهبط تدريجاً." وأخيراً أصيبت بالعمى التام ولم يجد الاختصاصيون سبيلا الى معالجتها. وعلى رغم الصعوبات تأهلت كمعلمة وعاشت زواجاً سعيداً وربت عائلة. ثم ابتسم لها القدر فاستعادت بصرها جزئياً بعد جراحة ورأت، للمرة الاولى، زوجها وولديها ومنزلها وكلابها الوفية التي قادت خطاها.

وكتبت جودي تايلور مذكراتها، فجاءت تروي بظرف ودفء ملحمة شجاعة وتصميم أبرزت عالم المعاقين بصرياً بأسلوب مؤثر



"ذات العيون الأربع!" عبارة طالما رددها الأولاد ساخرين مني في ملعب المدرسة القريبة من منزلنا المطل بشرفاته على أحد أزقة شلتنهام. كانوا يرقصون حولي ويشدون شعري هازئين من منظري المضحك.

كنت في السابعة من عمري وقد كرهت نظارتي الجديدة التي كانت بشعة مستديرة يحوطها إطار فضي. ولم تحسّن الزجاجتان السميكتان من نظري أو تخفيا الدموع المنبجسة خلفهما. امتلكني الخوف وشعرت بالاذلال ولازمني احساس بأني مختلفة.

ارتأى الطبيب في عيادة العيون أن أضع نظارة علّها تساعدني في رؤية الرصيف والسيارات والمارة، وإن لفترة وجيزة.

وكان والداي ارتابا في أن أمراً ما ليس على ما يرام عندما بدأت المشي. وقد أخبرتني أمي أنها كانت تتضايق مني حين أصطدم بالأشياء، الى أن تبين لها أني كنت لا أرى تلك الأشياء. وحار الاطباء في أمري، لكنهم اعتبروا أن الحصبة الشديدة التي أصابتني وأنا في شهري الثالث عشر أدت الى ضمور في الشبكيتين والعصب البصري. ووصف أحدهم حالي لأمي: "سيزداد نظر جودي سوءاً، وليس هناك من علاج لذلك."

وهذا يعني أني سأصاب بالعمى التام في النهاية.

وفي العام ١٩٤٤، وكنت بلغت التاسعة من عمري، لم أعد أرى الحروف في الكتب. وعندما بلغت الثانية عشرة اخذتني أمي لقضاء عطلة في بلدة بلاكبول، فحاولت أن أرى البرج المثير الذي حدثني عنه أبي عندما خدم هناك إبان الحرب، فلم أتبين سوى ضباب رمادي. وأذكر تلك الأمسية حين نُظّم معرض ملاه في الملعب المجاور لمنزلنا، اذ جلست الى نافذة غرفتي أستمع الى الموسيقى المدوية الى ما بعد حلول الظلام. سمعتُ ضحك الفتيان والفتيات، وتاقت نفسي الى أن أكون بينهم، طبيعية مثلهم. لكني لم أتبين سوى بصيص أضواء الدولاب الكبير الدائر وقد تراءت عالية في الهواء.

لم أكن طفلة سهلة المراس. لذلك تجرّحت "الأنا" الحقيقية في ذاتي، واختبأت خلف مظهر كاذب من النكات والآراء العنيدة في أي موضوع يطرح. بيد أني نجحت في امتحان كلية كورليوود في هرتفوردشير، وهي مدرسة داخلية مرموقة للفتيات المعاقات بصريا تنمّي التكيُّف الايجابي مع واقعهن.

وكورليوود منزل ريفي قديم على طراز القصور الفرنسية تفوح منه رائحة الشمع والصابون المعطر والخبز. انها مدرسة سبقت عصرها بسنوات. هناك دأب معلمونا على حفزنا – باللطف حيناً وبالتخجيل والارغام أحياناً – على حب الاستقلالية وتنمية روح المغامرة. كنا نجوب الغابات والدروب المتاخمة للقرية المجاورة برفقة احدى المعلمات حتى باتت كل تفاصيل المنطقة مألوفة. وغدوت قادرة على ملاحظة اي تغيير يحصل، وإن يكن شجرة أقتُلعت من مكانها. ولما كانت مدينة لندن لا تبعد سوى ٣٠ كيلومتراً

عن المدرسة، كنّا نؤم الحفلات الموسيقية في قاعة "ألبرت هول الملكية" ونشاهد مسرحيات شكسبير في دار "أولد فك."

وكنت أعزف على البيانو والكمان، لذا ظنَّ معظم الاساتذة اني سأختار الموسيقى مهنة لي. ولكن ذات يوم من يونيو (حزيران) ١٩٥٢، وكنت في السابعة عشرة من عمري، مررت بتجربة قررت منحى حياتي.

كنت جالسة في مختلى ظليل أراجع كتابا مطبوعاً بطريقة "بريل"[١] وأستعد لامتحان في مادة الجغرافية. فجأة أحاطت بي قوة امتلكت كياني. لم يتناهَ الى سمعي صوت من الأعالي، لكنني علمت من فوري ومن دون أي شك أني سأصبح معلمة.

شعرت لبرهة بعجز عن الحركة. أنا لم أفكر يوماً في امتهان التعليم، وخيل الي أن شعوري ذاك ربما نجم من حرارة النهار وأن حالي ستتحسن متى برد الطقس. إلا أن هذا الإدراك الجديد لم يفارقني، ووجدتني في الصباح التالي ما زلت مقتنعة بأن خياراً أُخذ نيابة عني.

(١) "بريل" كتابة خاصة بالعميان تعتمد احرفا مؤلفة من نقاط نافرة.



نينا ترشد جودي الى صندوق البريد. (الى اليسار) الكاتبة مع كلب العائلة.

الخروج الى العالم

لم تصادف الآنسة ماكهيو، رئيسة كلية كورليوود، كفيفاً يلتحق بدار للمعلمين. غير أنها وجهت رسائل الى عدد من الكليات. فاستجابت كلية سانت غبريال في جنوب شرق لندن واستدعيت لاجراء مقابلة.

أذكر سؤالا واحداً وجه إليّ: "لماذا تودين أن تصبحي معلمة؟"

أجبت بأمانة تنبعث مني عادة من دون تصميم: "أنا لا أود أن أصبح معلمة، بل يجب أن أصبح كذلك." وقبل طلبي على أن ألتحق بالكلية في سبتمبر (أيلول) التالي. ووافقت وزارة التربية على تسديد رسوم التعليم والإقامة في منامة للشابات.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة من حياتي. كنت في كورليوود محمية كطالبة بين طلاب عميان. أما في سانت غبريال فغدوت العمياء الوحيدة بين ٢٠٠ طالب لم يلتقِ معظمهم كفيفاً من قبل. وجاءت ردود فعلهم قاسية، وإن عن حسن نية.

أردت الاندماج بهم على نحو طبيعي. لكنني بدل ذلك غدوت محط الانظار. وكنت كلما اقتربت من باب أو سلم أو قطعة أثاث أمسكتني يد وسمعت صوتاً يقول: "انتبهي! قد تقعين!"

إلا أني، كغيري من العميان، كنت أتكل على سمعي وحواسي الأخرى لاستبيان طريقي بأمان. وسرعان ما ألِفت المبنى الكبير. فهناك تغيُّرات دالة في سطح الأرض وأصداء انحرافات صغيرة في دورة الهواء. وهناك أيضا احساس غريب في أسفل الساق ينبه الى المفروشات والمقاعد والطاولات المنخفضة.

أما تجربتي الكبرى فكانت السير مسافة ٨٠٠ متر بين الكلية ودار الشابات عبر شوارع مكتظة. رفضت حتى التفكير في الاستعانة بعصا بيضاء لعلمي أنها ستسبب لي ارتباكاً وخجلا. وبنبرة استقلالية مضلِّلة عمدت الى رفض عروض المساعدة لمواكبتي جيئة وذهوبا، علما أن كثيرين يتوقون الى المساعدة كحاجة ذاتية، ولا يحق لي حرمانهم هذه الغاية. بيد أن قبولي المساعدة كان بالنسبة الي اعترافا بالهزيمة ورضى بالخروج من ركب الحياة.

ونجحت منفردة في اتمام الرحلة، لست أدري كيف. ولكن يا لهول ما عانيته من جهد أرهق كل عصب في كياني. فلكم اعترضتني عقبات ليس أقلها سلالم عمال التنظيف والطلاء والكلاب التي لم تحلُ لها القيلولة الا وسط الممرات التي أطرقها.

أما أسوأ ما عانيته فكان حركة المرور، اذ كنت أنتظر عند حافة الرصيف والسيارات تمر الواحدة تلو الأخرى. وبعد لأي أُطبق أسناني وأصابعي بشدة وأنطلق غير مبالية. ولطالما أوقفني صرير كوابح السيارات وما يستتبعه من شتائم. وفي السنوات التالية ألفت الغمز من قناتي في الملاعب المكتظة بالفتيان والفتيات، ولم أعد أبالي.

وبدأت أستمتع تدريجاً بحياة الكلية. كنت أرتدي قمصاناً هدلة وأقراطاً كبيرة

عصرية، وأقصد مع رفيقات لي مقاهي وست إند ومراكز اجتماعات الطلاب. كنا ندفع شلنين لنقف في الصفوف الخلفية من دار الأوبرا الملكية في حديقة كوفنت لنشاهد الأوبرات العظيمة. لم يكن ذلك شاقاً علي، فانا لم أكن لأرى الأداء المسرحي. لذلك كنت أجلس على الأرض وأتشرب ملذات الصوت وروائعه.

وذات ليلة عدنا الى دار الشابات من سهرة لنجد الباب الأمامي موصداً فاذا قرعنا الجرس توجب علينا دفع غرامة. ولحسن الحظ وجدنا نافذة صغيرة تعمدت احدى رفيقاتنا الشفوقات ألا توصد مزلاجها.

تسلقت الفتيات المتأخرات النافذة وهن يقهقهن بصوت خافت. وكنت واحدة منهن. وقد عني لي ذلك الحدث وحده أكثر ما عنته لي السهرة المرحة.

لقد قبلت، وغدوت جزءاً من المجموعة.

بعض ذكريات السنتين اللتين قضيتهما في سانت غبريال حلوة مرة. ففي حفلة أخرى التقيت شاباً يدرس في جامعة قريبة. فانخرطنا في حديث ساده الانسجام،



جودي تقرأ على تلاميذها في كتاب مطبوع بطريقة "بريل."

وتبين لنا أن اهتماماتنا متشابهة جداً. ولم تمضِ السهرة حتى دعاني الى حفلة موسيقية في "رويال فستيفل هول" الأسبوع التالي.

وبعد الحفلة تمشينا في محاذاة الجسر وسط ليل صيفي ساكن، ورحنا نتبادل أطراف الحديث وقد جلسنا على مقعد مواجه لنهر التايمس. فجأة وقف وقال لي بصوت أجش: "لا أريد أن أراك ثانية." وأخبرني أني أعجبته كثيراً – وربما كثيراً جداً – وأنه لن يسمح بنمو صداقة قد ينجم عنها ارتباط بينه وبين فتاة عمياء.

يا له من شاب مسكين. ربما خجل من اصطحابي بين أصدقائه. إني لا أحمل له أي ضغينة. بيد أن هذه التجربة كانت ضربة قاسية لكبريائي كشابة. شعرت كأنه يخبرني بأني أدنى مستوى. فلم أتقبل ذلك برزانة، ورحت أبكي صابة في وسادتي مرارتي وكبريائي الجريح.

"أتظنين أنها ترى؟"

في يوليو (تموز) ١٩٥٥ بعد سنتين في كلية سانت غبريال تأهلت كمعلمة. لكن غيمة سوداء لاحت في الأفق إذ تلقيت جواباً مماثلا عن جميع الطلبات التي تقدمت بها للتعليم: "آسفون، ليس لدينا ما يناسبك." ويظهر أن جميع مديري المدارس لا يخالون أن معلمة عمياء يمكنها التغلب على مصاعب التدريس المباشر.

إلا أن رسالة لم أتوقعها وردت علي من الآنسة باكستر، مديرة مدرسة "سانت أندروز بن" للبنات في رغبي، تقول فيها إنها سمعت عني من معلمة الجغرافية في كلية سانت غبريال، وأنها في "حاجة ماسة" الى بديل من معلمة الموسيقى واللغة الانكليزية التي توقفت عن العمل بسبب مرض مفاجيء.

فانضممت الى تلك المدرسة تجربة لمدة نصف فصل، على أن يُوفَّر لي لوح خاص مزود أخاديد أفقية تسهل لي الكتابة بالطباشير، وهو أمر أتقنه. وتولت معلمة متقاعدة مساعدتي في تصحيح الفروض بعد ساعات الدوام.

وذات أحد من سبتمبر (أيلول) نزلت من القطار في محطة رغبي حاملة حقيبتين حوتا كل ما أملكه في هذا العالم. وفي الصباح التالي قادتني الآنسة باكستر، ممسكة ذراعي، الى غرفة التدريس. وعرفتني الى الصف ثم تركتني هناك.

أحسست التساؤل الذي اعتمل في عيون ٣٢ تلميذة: عمياء؟ وشعرت كذلك بما بدأ يتضح لهن: رائع، سنتسلى كثيراً.

كان عليّ أخذ موقف فوري. فوقفت منتصبة الى أقصى ما تسمح به قامتي البالغة ١٦٠ سنتيمتراً، وقلت بنبرة أملت أن تكون بالغة السطوة: إسمعنني جيداً، لقد قيل لكنّ اني عمياء، لكن ما لم تعرفنه هو أني لست حمقاء. أقترح أن تنزعن هذه الابتسامات السخيفة عن وجوهكن."

كان ذلك تخميناً مُلهماً. وشعرت بردود الفعل كمثل موجة كهربائية. لقد أصبت الهدف. ومع الأيام تلقَّت مني تلميذاتي مزيداً من المفاجآت. ذلك لأن حاسة الشم لدي أتاحت لي ضبطهن متلبسات بأكل الحلوى. كما وجدتني قادرة على تمييز أصوات نقر أقلام الرصاص وتمشيط الشعر وتصفح المجلات تحت الطاولات.

وعندما كنت استشعر أمراً يجري في الخفاء، كنت أمشي ببطء بين الطاولات، فأصغي ثم أنقضّ قابضة على رسالة مطوية تمرَّر عبر الممشى.

وفي فترة الراحة ذات صباح أخذت معي الى غرفة الأساتذة واحدة من تلك الرسائل. وقرىء لي على وجهٍ منها ما يأتي: "أتظنين أنها ترى؟" وعلى الوجه الآخر: "أعتقد ذلك. انها تعلم دائماً ما نفعل."

وسرعان ما تخلَّت الفتيات عن محاولات النيل مني وتحولن جدياً الى التعلُّم.

افتُتنت بعملي وثبت لي أن التعليم هو حقاً قدري المرسوم. وعلمت أيضاً أن تلميذاتي قبلنني عندما بدأن يحضرن صور إخوتهن وأخواتهن وصوراً تظهرهن في مناسبات عائلية، كي ألقي "نظرة" عليها. كنت أمسك بكل صورة على حدة وأسأل صاحبتها وصفها لي، فتفعل ذلك بعفوية من يتحدث بغير كلفة بين أصدقاء.

"أرجوكم، أرسلوا كلباً!"

مضى نصف الفصل الدراسي. وذات يوم دعتني الآنسة باكستر الى مكتبها وأبلغتني أني ثبتُّ في عملي.

كان مسكني يبعد حوالى كيلومتر عن المدرسة. وقد نال من صحتي وأعصابي الجهد المضني الذي تطلبه قطع هذه المسافة عبر شوارع ناشطة ضاجة، خصوصاً وأني ما زلت أكره طلب المساعدة. فأصبتُ بارهاق ونزوع دائم الى النوم.

حين أرهقتني حركة المرور في سانت غبريال بلندن، قالت لي صديقة إني أعذب نفسي من غير طائل، واقترحت عليّ أن أقتني كلباً يرشدني. فكتبت الى "جمعية تأمين الكلاب المرشدة للعميان" وقبعت أنتظر حصولا سريعا على بغيتي. لكني تلقيت بعد مدة استمارة خاصة بالطلبات واشعاراً بأني "على لائحة الانتظار."

وانتظرت سنتين قبل أن أبلَّغ ما مفاده أن كلباً يُعتبر مناسباً لي قد دُرب في ادمونسكوت مانور، ليمنغتون، وأن عليّ قضاء شهر كامل هناك أتدرب على التكيف واياه. ولحسن الحظ صادف التوقيت عطلة الربيع.

شمل صفي في ادمونسكوت ستة أشخاص – ثلاثة رجال وثلاث نساء. تعلمنا كيف نطعم كلباً ونسوسه وندربه، وكيف نصدر اليه أوامر بسيطة مثل "اجلس" و"تقدم" و"انتظر". ولم يكن خطر لي وجوب ارفاق هذه الأوامر باشارات معينة باليد وبوضع مناسب للقدمين والجسم.

ولما اقتنع المدربون بأننا بتنا مؤهلين لامتلاك كلب، حانت اللحظة التي طال انتظارها. أخبرونا بأسماء كلابنا وفصائلها، وقادونا الى الزرائب التي آوت الكلاب.
كان اسم كلبتي "نينا"، وهي سوداء من فصيلة "لابرادور" وعمرها ١٣ شهراً. ركعت بحذر ومددت رأسي نحوها، فارتمت علي بثقلها (٣٢ كيلوغراما) وقوائمها الطويلة وذنبها المتلوي ولسانها الرطب وأسنانها القاضمة.
قلت متكلفة التهذيب: "ألستِ جميلة!"

ويبدو أن عبارتي نجحت في تهدئتها، فتوقفت عن ملاعبتي وتقبيلي وقد كوّنت منذ تلك اللحظة انطباعها عني، فلم يبق ثمة شك في من هي الآمرة الناهية – التي لم تكن أنا أبداً.

وكغيرها من الكلاب المدرَّبة، تعلمت نينا كيف تحجم عن عبور الشوارع ما لم تكن آمنة، وكيف تحذرني من المارة بجلوسها لدى اقتراب الخطى، وكيف تقبع متكومة تحت مقاعد الحافلات.

ومع نهاية الشهر الاول تدرَّبنا على كل حال قد تصادفنا في تنقلاتنا في الريف والمدينة، بما في ذلك محطات السكك الحديد. وعندما جربنا التجول في مركز تجاري كبير، عجبت لمدى اليسر الذي شققنا به طريقنا بين جماهير المتسوقين.
عُدت بعد العطلة الى المدرسة في رغبي، وتجولت للمرة الاولى من غير أن أستند الى ذراع. ودخلت الصف برشاقة ومرشدتي الامينة الى جانبي.
كانت تلك بداية حرية لم أعرف مثلها مذ اصبحت كفيفة.

نينا القائدة

ذلك الصباح الاول في المدرسة جلست نينا بعظمة على صندوقها الى جانبي، وأظهرت بوضوح أني لم أعد مكلَّفة ادارة الصف. وقد أخبرتني الفتيات لاحقاً كيف راحت نينا تراقبهن بعينيها الواسعتين النافذتين، وكيف أبدت امتعاضاً عندما حلّت فترة الاستراحة وأدخلت عربة الحليب المحملة زجاجة لكل واحدة من التلميذات. وكانت الفتيات يسترضينها بسكب هبات من زجاجاتهن في طبقها الفارغ. ومنذ ذلك اليوم بدأ عربة الحليب تحمل زجاجة اضافية – تُعطى قبل الجميع.
كان التجوال في رغبي، ورفيقتي الامينة تعدو الى جانبي، مبعثاً للبهجة. يجد الناس صعوبة في التحادث مع كفيف، بسبب الارتباك عادة، لكن حضور كلب مرشد يكسر الجليد. وقد ساعدتني نينا على كسب أصدقاء كثيرين، خصوصاً بين أصحاب المحال التجارية في رغبي. وبعدما تعلّمت إطاعة أوامر مثل "خذيني الى الملحمة" أدركت بسرعة أن القصّاب – الذي يضع عظاماً على المنضدة ويهمه أن يتبرع بها – قد يفهم التلهف البادي في عيني كلبة أسيئت تغذيتها ومعاملتها.

تلك كانت أياما سعيدة ظننت فيها أني حظيت بكل ما أرغب فيه: مدرسة جيدة ومسكن مريح وحياة اجتماعية خصبة شملت حفلات راقصة مساء كل سبت. الا أن تململ الشباب وازدياد اتكالي على نينا أديا الى نتيجة مشابهة لما ينجم عن تعلم صغار العصافير الطيران: أردت أن أغادر العش وأنطلق الى تحديات جديدة.

ووجدت هذه التحديات في مدرسة بلبر التي تبعد حوالى ١٥ كيلومتراً عن دربي، حيث كانت حاجة الى معلمة لمادتي اللغة الانكليزية والموسيقى. وكانت هذه المدرسة المختلطة جديدة لم تمض على تأسيسها ثلاث سنوات، وقد بلغ عدد تلامذتها خمسمئة.

كان تطبيق النظام في الصفوف المختلطة أمراً أكثر صعوبة. وساهمت نينا بنصيب في ذلك. وذات مرة أرسلتُ تلميذاً ليقف في الزاوية لسوء تصرفه. وبعد انتهاء الدرس لاحظت نينا أنه ما زال واقفاً هناك، فظنت أني لم أوبخه بالقسوة التي يستحقها، فحشرته في الزاوية وراحت تنبح مؤنبة اياه بعبارات واضحة المعنى.

بلبر بلدة امتزج فيها الجمال الريفي بالنشاط الصناعي على نحو غير مألوف، بحيث تبين التلال والحقول – كما قيل لي – من كل جانب حول الشارع الرئيسي. وسرعان ما بدأتُ ونينا التجوال في البلدة. غير ان نزعتي الاستقلالية عادت تتبرعم. فشعرت بأن الوقت حان كي أتكل على نفسي كلياً ويكون لي مسكن خاص.

وذات يوم أخبرتني صديقتي جين التي تُدرِّس مادة التدبير المنزلي: "هناك شقة للايجار فوق متجر الأدوات الكهربائية." فذهبت الى المكان، وأحببت الشقة على الفور. كانت السلالم تقود مباشرة من الشارع الى الطبقة الأولى حيث غرفة الاستقبال والمطبخ الصغير والحمام الذي كان بالغ الروعة بمقياس العام ١٩٦٢. ومن هناك يرتفع سلم عتيق الطراز الى غرفتين للنوم. أما المبنى فبالغ القدم، وقد شعرت بأن ذلك المنزل الصغير ظل قابعاً ينتظر مروري كي يتطاول الي ويلتقطني.

اشتريت أثاثاً وسجادات مستعملة، وأهدت إلى أمي لوازم المطبخ. وبقيت جين معي أسبوعين تعلمني المبادىء الأساسية لتدبير المنزل. واتفقت مع امرأة لكي تنظف لي المنزل مرة في الاسبوع. وكان للمنزل حديقة صغيرة خلف المتجر، مناسبة لتدريب كلب.

وكان مشغل المتجر مواجهاً للحديقة. وكان أحد المهندسين هناك لا يترك فرصة الا ويحييني بمرح. وذات يوم توجهت الى صندوق القمامة كي أرمي بعض النفيات، فطالعني صاحب الصوت المألوف جالساً يتشمس على صندوق القمامة. فنهرته باستياء: "هلا ذهبت من هنا؟ هذا ليس مقعداً في حديقة."

فاستجاب بلطفه المعهود، ثم عرَّفني الى نفسه: "إسمي يان تايلور."

بدأت بيننا صداقة سهلة غير معقدة، وساعدني يان في حل الأحاجي التي واجهتني كطباخة مبتدئة. كان يقرأ الارشادات ثم يوجهني وكأنه عرفني طوال حياته.

والى كتف يان اسندتُ رأسي باكية إذ علمت أن نينا التي تجاوزت الحادية عشرة مصابة بالتهاب في المفاصل وتجدر إحالتها على التقاعد. وكانت بدأت تبطىء حركتها الى حد لافت بحيث بت لا أعلم، ولا هي تعلم، من يقود من. فأخذتها الى منزل والديّ اللذين أحباها كثيراً. ولم تلبث أن نفقت هناك عن ١٤ عاماً ونصف عام.

خلفت نينا كلبة أخرى لا تقل عنها إخلاصاً اسمها دانا، وهي أيضاً من فصيلة "لابرادور" لكنها أصغر حجماً. وقال لي يان إنها جميلة، ظهرها ذهبي وصدرها وبطنها أبيضان ويحوط عينيها إطار أسود.

ومررتُ بتجربتين عاطفيتين لم تثمرا. وإذ شدني فجأة دافع التأهل معلمة للأطفال العميان، نقلني يان في سيارته الى جامعة برمنغهام لدراسة تستغرق سنة كاملة.

انحشرنا في سيارته الـ"موريس ماينور" المتوقفة في باحة منزلي وقد تراكمت فيها الحقائب والكتب والقدور والمقالي ودانا التي جلست في مضجعها بين هذه الأشياء.

وكان عصر الأحد من كل أسبوع محطة مهمة في حياتي في برمنغهام، اذ كان يان يزورني فنذهب معاً الى التلال نتمشى ودانا ترقص حولنا جذلة. لم نتكلم على المستقبل قط.

وعندما عدت الى بلبر لمعاودة التدريس لم يمضِ يوم لم "أر" فيه يان الذي ساعدني على الانتقال الى منزل صغير إشتريته.

وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠ قدَّم الي خاتم خطبة، وفيه حجر ياقوت بيضوي تحوطه حبات ألماس. كان مضى على تلاقينا ست سنوات، وأخبرني يان لاحقاً أنه انتظر كل هذه السنوات كي يتأكد من أن شعوره نحوي هو الحب، وليس الشفقة الناجمة عن كوني عمياء أو الاعجاب بطريقتي في مواجهة اعاقتي.

تزوجنا يوم اثنين. وامتلأت قاعة الاحتفال بالأصدقاء. وشعرت بالفخر اذ سرت بين الحضور تتقدمني جوقة مدرستي وفيها تلميذة غنت بصوتها الصافي الفتي أنشودة حب.

نعمة أم نقمة؟

لم أكن مولعة بالحياة المنزلية قبل أن أتزوج، اذ لم تكن من الضروريات. وكان فقر خبرتي الطهوية أمراً واضحاً. وحاولت أن أترك انطباعاً حسناً لدى يان في عطلة نهاية الاسبوع الاولى بعد عودتنا الى بيتنا من شهر العسل، فحضّرت طبقاً مؤلفاً من النقانق والفطر. وحملت المقلاة وسرت عبر المطبخ يغمرني شعور بالانتصار. لم أعِ أني أحمل المقلاة منحرفة، فاندلق عشاؤنا على الأرض مما أصابني بخيبة شديدة.

إلا أني أدركت في الأشهر التالية أن قليلة هي المهمات المنزلية التي لا يتقنها الكفيف مثل المبصر. لكن جميع الأعمال تحتاج الى بذل جهد أكبر وتركيز أشد

فسكبُ الشاي، مثلا، يعني الأصغاء الى صوت السائل وهو يقترب من حافة الفنجان. ويمكن التنبه الى بلوغ الخضر درجة الغليان ليس فقط بسماع البقبقة بل بتحسس ذبذبة يد المقلاة أيضاً. وسر كيّ الثياب يكمن في تلمس التجاعيد باليد اليسرى أمام مقدم المكواة.

وصممتُ على ألا أدع أحداً يعتقد ان عدم الترتيب في منزلي عائد الى كوني عمياء. فرحت أولي تنظيف الاثاث عناية فائقة. ودأبت على غسل الجدران في الطبقة العليا أسبوعاً والجدران في الطبقة السفلى أسبوعاً آخر. ولم أهمل قضبان الستائر التي أعملت فيها فركاً وتلميعاً.

فلكم أضعتُ من وقت ثمين في هذه الأعمال. ولم يطل بي المطاف حتى أدركت تدريجاً أن هذا السعي الى الكمال لم يكن تعبيراً عن حبي لزوجي بمقدار ما كان وسيلة لاشباع كبريائي الغبية. فما همَّ إن اعتقد الناس أن زواج يان بي كان تجربة حظ ونصيب؟ فجميع الناس يجربون حظهم في الزواج، مهما تكن الظروف.

وأخيراً تعلمت أن أضحك من أخطائي. ومنها ما حدث عندما أخبرني يان أنه في طريقه الى عمله قطف من الحديقة بعض قرون البازيلاء وقشرها. واذ كنت أحضر يومئذ يخنة كبد، تناولت من الثلاجة علبة هززتها للتأكد من احتوائها على البازيلاء، ثم أفرغتها في القدر. وفي المساء رفع يان غطاء القدر ووقف صامتاً مذهولا وقال: "لم أر في حياتي كبداً أرجوانية!" لقد نسي أن يخبرني أنه قطف أيضاً بعض ثمار العليق ووضعها في الثلاجة.

ولما عرضت الكبد على الكلبة أشاحت هي أيضا بوجهها.

وفي أغسطس (آب) ١٩٧٢ حدث ما فتح باباً جديداً للتشكيك في قدراتي المنزلية. لقد ولد لنا ابن سميناه أدام. وشرحت لي الممرضات الارشادات الاولية للعناية بالأطفال. وفي اليوم العاشر بت قادرة على العناية بطفلي.

أما الصعوبة القصوى التي واجهتني لاحقاً فكانت إطعام الطفل بالملعقة. كنت أجلسه وظهره إلي، وأضع سبابتي تحت شفته السفلى، ثم أسدد الملعقة الى فمه بعد



جودي ومارتن.



ملئها طعاماً. وفي لحظة وصول الملعقة الى فمه كان يدير رأسه الصغير فيقع الطعام في أذنه. وكثيراً ما لجأت الى دعوة أصدقاء الى تناول طعام الغداء عندنا آملة أن يسرهم إطعام الطفل بينما أكون في المطبخ أضع اللمسات الأخيرة على الطعام.

واذ تحوَّل أدام دارجاً ثم صبياً صغيراً، علَّمته إدراك الألوان. كنت أُلصق أوراقاً ملونة على بطاقة وأكتب الى جانبها اسم اللون بطريقة "بريل." وحاولت جاهدة التحدث اليه بالطريقة البصرية، كأن أحمله وأقول له: "هل ترى تلك الحافلة الحمراء الكبيرة؟"

لكن، ماذا كان رد فعل كلبتي دانا؟

فور عودتي مع أدام من المستشفى عرَّفتُ دانا الى العضو الجديد في عائلتنا. إلا أنها أشاحت بوجهها عن الرزمة المحتضنة ومكثت الى جانبي ملتصقة بي.

ومنذ تلك اللحظة درجت دانا على عادة جديدة، كانت تبقى على قيد أنملة مني مهما يكن العمل الذي أتولاه، ومن غير أن تلقي وإن نظرة خاطفة على أدام. وبعد أشهر صارت تهرّ بصوت أجش محذرة أدام كلما همَّ بالزحف نحوها. بيد أن عاطفة ما كانت تنمو بين الاثنين. فعندما كان الجيران يأخذون أدام لتناول الشاي عندهم كانت دانا تئن كلما سمعت صوته عبر الجدار الفاصل، ولا تتوقف عن الانين حتى يعود الى البيت.

وعندما أصيبت دانا بتصلب الكبد وتعين اعفاؤها من الخدمة، اقتنيت كلباً جديداً

اسمه مارتن، وهو هجين من فصيلتي "لابرادور" وكلاب الصيد الذهبية. وقيل لي إنه عاجيّ اللون. مررت يدي على رأسه المقبَّب وأذنيه الطويلتين الحريريتين وكتفيه القويتين، وأيقنت أنه أروع ما وجد من كلاب.

لكن القيمين على مركز تدريب الكلاب حذروني منه قائلين: "راقبيه. انه نشال!" وإذ كنا يوماً واقفين امام صندوق الدفع في متجر، شعرت بأن مارتن أحنى رأسه لحظة. وعندما خرجنا ووقفنا ننتظر الحافلة، هتفت امرأة في الحشد المنتظر: "مارتن يحمل كيساً بأسنانه!"

تظاهرت بأني لا أسمع تأوهات المنتظرين هناك،.ولا عبارات مثل "أنظروا الى وجهه الطيب البريء." فانتزعت الكيس من فمه ومددت يدي داخله، فغاصت أصابعي في القشدة والمربى. وعلمت أن مارتن سرق كعكة محلاة.

سألت الناس المتحلقين حولي:

"ماذا أفعل به الآن؟"

فأجابوا بصوت واحد: "أطعميه الكعكة."

وهكذا أدخلت الكعكة الخبيص في فمه الذي بقي مفتوحاً.

وبعد ثلاثة أشهر اقتربت مني امرأة في الشارع وقالت لي ان مارتن أغار على كيسها في ذلك اليوم، وإنها عندما جلست لتتناول غدائها الخالي من الكعكة سرها أن يكون مارتن هو من شاركها في الغداء.

كيف تقود أعمى؟

رزقنا في العام ١٩٧٧ طفلا آخر سميناه بنجامين. وفي السنة التالية جرني الفضول الى منزل منفرد قرب زاوية شارعنا معروض للبيع. كان مبنياً على جانب تلة شديدة الانحدار، وهناك سلمان يقودان نزولا الى فنائه، وسلَّم ثالثة الى حديقته. واذ لمس جيراني الطيبو النية إعجابي بالعقار، حذروني من أن المنزل غير ملائم اطلاقاً لامرأة عمياء لها ولدان صغيران.

لكن ذلك لم يزدني الا تصميماً. ولم أقوَ على مقاومة التحدي، أردت أن أسكن في هذا المنزل بالذات. وسرعان ما انتقلنا اليه.

وصف لي يان المشهد الرائع المطل من نافذة غرفة الجلوس على النهر المنساب متلألئاً تحت أشعة الشمس، ومعمل القطن المنتصب بكبرياء في الأفق، وبلدة بلبر المتمددة بكسل على التلال في الجانب الآخر من الوادي، والريف المترامي الى اليمين. فشعرت بانجذاب فوري الى هذه الأجواء المحبَّبة، وإن تكن غير مرئية بالنسبة الي.

وعندما بلغ ولدانا سن الدراسة أفدت من أوقات فراغي لحضور صفوف في الأدب

وعلم الآثار. كما تابعت إلقاء محاضرات عن نشاطات "جمعية تأمين الكلاب المرشدة للعميان" كنت بدأتها في العام ١٩٥٨.

وامتلأت مفكرتي بمواعيد المحاضرات في الجمعيات النسائية والنوادي الثقافية والمدارس في أرجاء دربيشاير. واذ يرافقني مارتن بتهذيب واحترام الى منصة الخطابة، كان يبدو مثالا رائعاً لمنجزات الجمعية.

وألِفني مارتن الى حد أني بت أدعوه "كلبي الآلي." كان "يقرأ أفكاري" فلا آمره الا بالقليل. ولكن حين بلغ عامه الثاني عشر تصلبت مفاصله وضعف سمعه. فأمنت له ما يستحقه من تقاعد مريح هانيء. كثيرون عرضوا ايواءه في منازلهم، لكننا قررنا ابقاءه معنا كي لا تنقص عائلتنا.

كان اسم الكلب البديل فكتور. وقيل لي انه يشبه الـ"لابرادور" لكنه كلب صيد ذهبي بنسبة ٧٥ في المئة. وكان جميلا، له صدر أبيض وعينان لطيفتان وعادة مربكة، فمتى سُرّ لرؤية أحدهم أمسك معصمه وجره الى الداخل.

في أيامه الأولى معي لم يتسم فكتور بأي صفة تقرِّبه من مفهوم الكلاب المرشدة. حاولت، وأنا ألقي المحاضرات، أن أبدو هادئة ويدي تمسك بقوة زمام هذا الصاخب الرقاص ابن العامين وهو يدمدم لحناً غير متناغم يحبه أكثر متى عض في فمه حذاء انتشله من شخص ما.

وعلى رغم مقاطعات فكتور نجحتُ في شرح ارشادات لتسهيل حياة العميان. فالناس غالباً يحجمون عن تقديم المساعدة لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون.

مثلا، عندما تقود كفيفاً على الرصيف، أبقِ يدك برفق على ذراعه كي يتحقق من أنك ما زلت معه لأن صوتك قد يضيع في غمرة الضجيج المحيق.

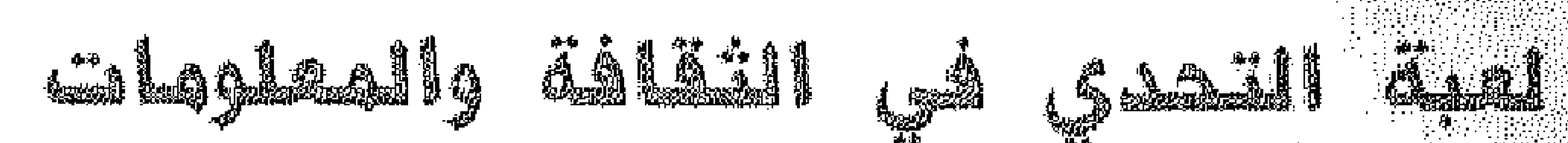
الاعمى الذي يود عبور شارع يفضل ألا يُمسك بمؤخر مرفقه ويُجر الى المجهول، كما يحدث أحياناً كثيرة. ولا يستحسن أن يُحمل ويُعبَر به، كما حدث لي يوم فاجأني سائق اسكوتلندي طيب القلب اذ أوقف شاحنته وحملني وعبر بي الى الرصيف المقابل. وهو ضحك كثيراً عندما أخبرته أني كنت واقفة أنتظر الحافلة.

دع الكفيف يتناول ذراعك بنفسه، ثم سِر أمامه مسافة ضئيلة كي يشعر بحركتك متى صعدت الى الطريق أو هبطت عنه.

وأهم من ذلك أن العميان لا يحبون أن يُعاملوا كأنهم طرشان أو مختلون عقلياً. فعندما كنت أعود الى البيت من المدرسة الداخلية، وأنا بعد في سن المراهقة، كنا نلتقي دائماً من يسأل حين يراني: "كيف هي؟"

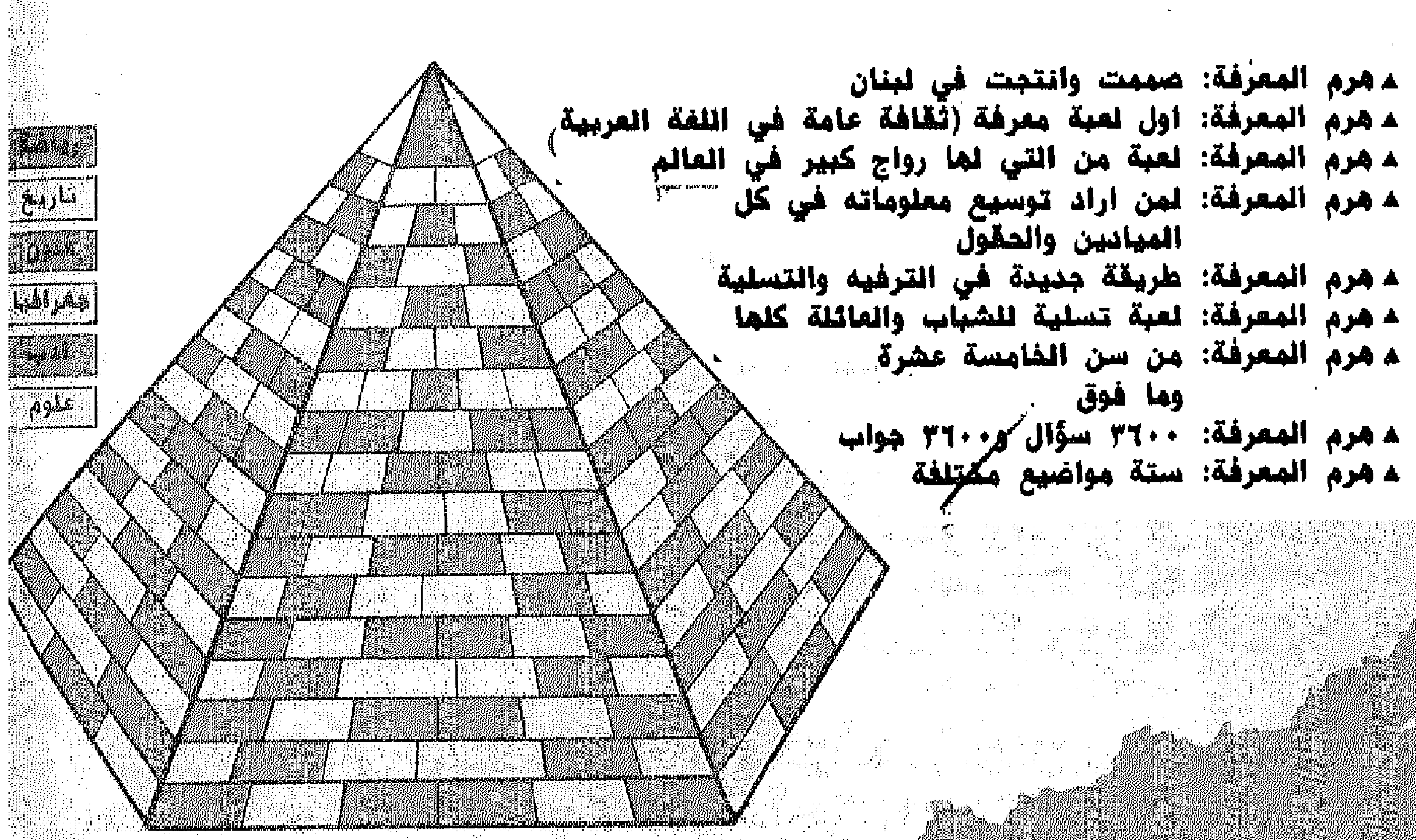
وكانت أمي تعادلني حساسية لدى مخاطبتي على نحو غير مباشر، فتجيب السائل "لمَ لا تسألها هي؟"

وكان محتوماً أن يسألني أحد الحضور يوماً خلال احدى محاضراتي: "ما هو



هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة



- ▲ هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- ▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- ▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- ▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- ▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- ▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- ▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- ▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- ▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

شعورك حيال كونك لم تري ولديك أبداً؟" فأجبت إني أستشعر بحواسي الأخرى كل تفصيل في شكلي ولديّ، كما أدرك كل خصائصهما السلوكية.

ويبدو أن ولديّ، كما زوجي، لم يتضايقا أبداً من إعاقتي. وذات يوم فيما كان بن يمثل دور رائد فضاء في غرفة الجلوس، وأنا في المطبخ، أنبأني حدسي أن الأريكة باتت القمر وأن بن يمارس عليها السير القمري.

فناديته: "قم عن الأريكة!"

فأجاب: "أواه يا أماه، ليتك تبصرين."

فهزني شعور مروع وسألت نفسي: هل يشعر هذا الطفل المسكين بالحرمان لكوني عمياء؟

ثم تابع بن: "لا تعرف والدة صديقي متى نسير على الأريكة. ربما لأنها مبصرة."

على وشك الموت!

ليس عجيبا أن تكون امرأة عمياء زرية الملبس. لكني أحببت الثياب الجميلة، واهتممت كثيراً بالتبرج وفنون الماكياج. وحين بدأ معهد للتجميل عمله في بلبر، لم أنتظر دعوة ثانية لكي أحضر الجلسات الأسبوعية.

وخالج النساء الحاضرات شعور محسوس بأني في غير موضعي بينهن. ولكن



جودي تتامل بن.

سرعان ما كسبت ودهن وصداقتهن. ثم أخبرتني جماعة منهن أنهن ذاهبات الى دربي لحضور مؤتمر حول الشفاء بفعل الايمان، يستغرق أربع أمسيات. فانضممت اليهن، خصوصا لأن موضوع الشفاء يستحوذ على اهتمامي.

جلست في قاعة المؤتمر في المساء الأول، وكان يوم جمعة، أفكر في صديقة لي يعاني طفلها إعاقة بالغة ويلازمها حزن وحيرة. لم أفكر في طلب الشفاء لنفسي. وكنت في الماضي التمست العون من اختصاصيين كثر قالوا لي ان ليس في وسعهم مساعدتي.

وعلمت منهم أني أشكو من السُدّ[٢] ومن اضطرابات في عصبي العينين والشبكيتين. وتكيفت والعمى منذ وقت طويل.

مساء السبت اقتربت مني امرأتان غريبتان وقالتا لي إنهما واثقتان من إمكان استعادة بصري. ومساء الأحد والاثنين تجمهرت حولي صديقات ورحن يصلّين طالبات شفائي.

بدا كل ذلك رائعا أثناء المؤتمر. ولكن في اليوم التالي شعرت بأن صديقاتي يضحين بوقتهن من اجلي. وخشيت كذلك ان يُقال عني اني مهووسة. الا أن شيئا لم يثنِ صديقاتي عن الصلاة من أجلي.

وكانت حفلة العشاء في عيد ميلادي الثاني والخمسين في فبراير (شباط) ١٩٨٧ مناسبة مأسوية نجمت عنها نتائج بالغة الأثر. اخترت ويان مطعما أنيقا فيه ما لذ وطاب. ولكن ما ان تذوقت الطعام حتى شعرت بانحراف غريب في صحتي. ولمّا جيء بالحلوى كان وجهي ممتقعا وملتويا بغرابة. مما استوجب استدعاء سيارة اسعاف. وأذكر أني فكرت بهدوء بالغ في أني على وشك الموت.

وإثر فحوص أُجريت لي في قسم الحوادث بمشفى دربيشاير الملكي، طمأنني الطبيب الى أني غير مصابة بنوبة قلبية أو بسكتة دماغية. وأضاف ان بعض الناس يصابون بما أصابني اذا تناولوا وجبة ثقيلة بعد صيام طوال النهار.

ثم صعقني سؤاله: "متى أُصبتِ بهذا الحَوَل؟" لقد نزعت عيني اليمنى دوما الى الانحراف نحو الزاوية، لكن تلك كانت المرة الاولى يقال لي إن هذا الأمر يدعى حَوَلا.

قلت لزوجي في طريق العودة الى المنزل: "سأعمد الى تقويم هذه العين."

الطبيب الاردني

نصحتني صديقة باستشارة الدكتور حسن سالم، وهو أردني اختصاصي بطب العيون، يقطن في دربي لكنه يقضي بضعة أشهر من كل سنة خارج البلاد. ولم يتسنَّ لي تحديد موعد معه قبل منتصف يوليو (تموز).

(٢) السُدّ (cataract) هو إعتام عدسة العين او ما تسميه العامة "الماء الازرق".

وحين دخلت عيادته قال لي من دون تردد إن تقويم الحول يتطلب عملية بسيطة. ثم تطرق الى موضوع إصابتي بالسُدّ.

بعد ذلك أجرى فحصاً شاملا لعيني. وشرح لي أن جراحة السُدّ تتطلب ازالة العدسة المعتمة وزرع عدسة بلاستيكية. وبعد وقت بدا لي دهراً سمعته يقول: "ثمة أجزاء سليمة في العصبين البصريين. إني على استعداد لإجراء الجراحة." ثم أخبرني أنه سيجري الجراحة الأولى لعيني اليسرى آخر الشهر، وأني سأمكث في المستشفى مدة أسبوع.

وأضاف: "ليس لديك ما تخسرينه."

ولكن هل هناك ما أربحه؟ وهل من أمل في استعادة بعض نظري؟ سؤالان تعذرت الاجابة عنهما قبل الجراحة.

عدتُ الى بلبر يغمرني ارتباك تام. فبعد أكثر من أربعين سنة من العيش في الظلام قيَّض الله لي من منحني بصيص أمل.

عينا مَنْ أُحب

أجرى الدكتور حسن سالم الجراحة لعيني اليسرى في مستشفى دربيشاير الملكي بعد ظهر يوم اثنين، واستغرقت ٤٥ دقيقة. وفي اليوم التالي حانت اللحظة المروعة التي طال انتظارها. دخلت علي ممرضتان قادتاني الى غرفة المعالجة. وهنا حُلَّت الضمادات عن عيني. فرفعت رأسي ببطء.

سألتني إحدى الممرضتين بتردد ظاهر: "ماذا ترين؟"

فأجبت: "خطاً افقياً ساطعاً." ثم أدرت رأسي يمنة وأضفت: "وثلاثة أضواء أخرى ساطعة، لكنها عمودية."

ولاحظتُ أن جوابي حيَّرها، وبدأ قلبي يخفق بعنف. ثم أدرت رأسي يسرة فرأيت شيئاً يسطع قبالتي. ولما مددت يدي مشيرة اليه أحسست الارتياح يعم الغرفة. لقد تبينت الابزيم الفضي على حزام الممرضة الاخرى. وفجأة اتضحت لي حقيقة هذه "الأضواء." فالضوء الأفقي كان الجزء الأعلى من اطار الباب، والأضواء الأخرى كانت ثلاث زجاجات على أحد الرفوف. في هذه المرحلة الباكرة من استعادة نظري كان أي لون خفيف يبدو لي فائق السطوع.

بعد ذلك مشينا الى غرفة استراحة تحلّق فيها عدد من مرضى جناحي، وصحت بهم جميعاً: "إني أرى!" وفي غمرة حماستي أردت أن أقف على قمة جبل وأخبر العالم أجمع بواقعي الجديد.

ولساعات، لم أر شيئاً يمكنني تفسيره. بدت لي ملامح الناس في غير مواضعها، بانت العيون ماثلة في قمم الرؤوس. ولم أستطع تبيُّن الأنوف أبداً. ولكن مع تقدم النهار

بدأت أرى قضبان الستائر ومزيداً من الاشياء التي استدعت من يعرّفني بها.
وحين نظرت من النافذة أدركت أني نسيت وجود مصارف المياه على الجدران الخارجية للابنية. ولم أدرك أن تلك الأشياء المعدنية الطويلة الصقيلة هي سيارات. ثم، ما هو هذا الخط المستقيم الذي يعلو ويهبط فوق طبق الطعام كلما حاولت الأكل؟
فشرحت لي احدى الممرضات: "إنها سكينك."
وبعد الظهر سمعتُ وقع خطوات يان. كثيراً ما سمعتُ هذه الخطوات. لكنه، هذه المرة، اذ تقدم نحوي وأخذ يدي في يده، وجدتني أنظر اليه، الى زوجي، وأراه للمرة الاولى في حياتي. فلطالما رأيته بعين خيالي، بعينيه السوداوين وشعره الاسود، و"علمت" كيف يبدو. فلم أفاجأ الا حين وعيت أني أحدق الى عينيه. ولن أنسى لحظة تلاقت عيناي وعيني آخر للمرة الاولى وأنا بالغة. وأسعدني كثيراً أن تكونا عيني مَنْ أُحب.
وفي المساء جاء يان بولدينا أدام وبن اللذين عرفتهما لسنوات تعرف أم أولادها بتحسس كل تفصيل في مزاجهم واستباق كل رد فعل لهم. كان بن في العاشرة من عمره وأدام في الخامسة عشرة. وكان عليَّ استجماع كل هذه السنوات من انعدام الرؤية بين ذراعيّ فأدور معهما سريعاً كما في آلة زمنية، حتى أدركنا "الآن" ولحظة المشاهدة الاولى التي تأخذ بمجامع القلوب.
وعندما جاء الدكتور سالم لعيادتي شعرت أنه، حتى هو، دُهش لهذه النتيجة. قال: "صليت لك وأنا أجري الجراحة. وشكرت الله بعد إتمامها. إني أفعل ذلك دائماً."

يوم السبت بعد الجراحة أخذني يان الى منزلنا. وكانت المسافة القصيرة الى بلبر بالنسبة الي رحلة سحرية عبر أرض مجهولة.
أدهشني أن أرى الخطوط العمودية الملتمعة في طريقنا، وأن أعلم أنها أعمدة الانارة وساريات التلغراف التي اعتبرتها لسنوات عقبات في طريقي. وسمرني الخط الأبيض وسط الطريق الذي راح يتراكض أمامنا محدداً وجهة السير وعابراً المنعطفات قبيل وصولنا اليها.
ولدى وصولنا الى البيت نسيت أن أتطلع حولي، بل انقدت الى أصوات وملموسات ألفتها: ممسحة الأرجل أمام الباب، والسجادة الناعمة في الداخل.
سمعت طقة مزلاج باب غرفة الجلوس وهو ينفتح، ثم رأيت مارتن وفكتور متلهفين لاستقبالي. كان فكتور يزعق ويتواثب جذلاً، فيما وقف مارتن جانباً ينتظر أن أمسد راسه. لقد علمتُ دوماً أن كلبيّ جميلان – كما أخبرني جميع من رآهما. لكن عيونهما الواثقة التي أرتني طريقي لسنوات اخترقت شغاف قلبي.

وبعد نصف ساعة وصل صحافي أراد أن يكتب مقالاً عن عودتي الى البيت. وهو وقف عند نافذة غرفة الجلوس يشيد بالمناظر الخلابة المطلة من هناك. ولم اكن مستعدة للصدمة التي أحدثها سؤاله: "هل ترين الأبواب الحمراء في مركز الاطفاء؟"

أنعمت النظر ولم أجب. فعلى مدى سنوات كونت صوراً شبه مرئية لكل ما هو حولي. لكني في تلك اللحظة لم أرَ سوى كتل ونتوءات مختلطة تتماثل ظلالا تراوح بين الأسود والأبيض والرمادي. وهنا أدركت أن هناك كثيراً أتعلمه عن النظر، وأن ما أراه بنظري الجديد لا يشبه ما يراه غيري. فأنا لم أكن أرى، حتى تلك اللحظة، إلا صوراً أحادية اللون. وكانت قدرتي على الرؤية لا تتعدى في أحسن الأحوال نسبة ٢٥ في المئة من البصر الطبيعي، وبعين واحدة.

بيد أني في تلك الليلة، حين أُضيئت أنوار الشوارع، نسيت أني لا استطيع رؤية أبواب مركز الاطفاء. ورحت أحدق الى عشرات الاضواء المتناثرة في الظلمة وهي تتلألأ بدءاً من أسفل نافذتنا صعوداً الى السماء. لم تكن تلك أضواء عادية، أنا خلتها خفيرات بواسل تحرس التلال بسيوف نارية ممتشقة.

شعرت في قرارتي بالذنب. فلماذا أُعطيت، أنا بالذات، هذه الهدية التي لا تصدق؟ أنا لست إنسانة مثالية. فطبعي نزق أحيانا، ولست شجاعة، بل أحجم حتى عن عبور حقل اذا ارتعت فيه أغنام. ولم يسعني سوى الاستنتاج أن ثمة أسئلة لن نجد لها أجوبة في هذه الفانية.

طرحت هذه الأفكار وبدأت اقتات بنهم من وليمة النظر. بدت لي أبسط الأشياء غاية في الروعة. أُعجبت بالفقاقيع المنبعثة من حوض الحمام، وخصل الوبر الحريرية في الفرش بعد تمشيط الكلاب. حتى قشور البطاطا سحرتني.

وذات صباح فيما كنت أتطلع من نافذة غرفة الجلوس رأيت في الخارج شيئا حيا يجري ويلتمع متكسرا مئات الأجزاء.

فناديت أحد ولديّ أسأله عن هذا الشيء.

فأجاب: "أوه، انه النهر فقط يا أماه."

النهر فقط؟ ليس هناك "فقط" بالنسبة الى نهر جاورته عشر سنين ولم تَرَه أبدا.

وعندما بدأت أذهب لوحدي إلى المتاجر أثارتني بهجة التسوُّق. فبدلا من السير في الممرات وتسمية الأغراض التي أبتغي شراءها لاحدى البائعات، بدأت أرى ما أريده. إذذاك اجتاحت كياني ثقة جديدة بالنفس. قد يبدو الأمر طفوليا بالنسبة الى من اعتاد هذا العمل. لكن عبور صناديق الدفع منفردة من دون صدم الناس بمقدم عربتي منحني شعوراً إنجازيا رائعا.

وانا تلوح امامي وجوه أُحب النظر اليها، أركز نظري محدقة، ومَن لم يفهم قصدي ظنني وقحة. حتى يان ارتبك كثيراً قبل أن يعتاد مراقبتي اياه. ولطالما شعرت به متوتراً وانا أحدق اليه وهو يقود السيارة.

ولكم دهشت لدى لقاء أناس عرفتهم لسنوات وكوّنت لكل منهم صورة واضحة في خيالي. وعندما التقيت فتاة تعمل في احد المحال واسمها سالي، عرفتها للحال من صوتها. لكني قلت لها من غير تفكير: "أنت لا تبدين هكذا! شعرك ليس أسود. لقد خلتك دوماً شقراء." فتلقت الفتاة كلامي بروح طيبة.

وكان أكثر ما أدهشني رد فعل صبي صغير في صف الموسيقى. لاحظت أنه ظل جالساً عندما دخلت غرفة الصف ودعوت التلامذة الى النهوض. فانتهرته. فنظر الي مشدوهاً. ان معلمته "العمياء" تراه.

ورحت أمتع نفسي بالجلوس ساعة بعد ساعة أتفرج من نافذة غرفة جلوسنا على المنازل المنتشرة قبالتي. وكثيراً ما كان الجيران يلوحون لي، كما علمت لاحقاً، لكني لم أستجب لأني لم أكن اراهم.

ويوماً بعد يوم أخذت أخترق حجاب الرؤية الأحادية المملة، وبدأت أرى الألوان. لكني طفقت أشكو لأسابيع من انعدام منظورية الأبعاد. وسألت يان مرة: "ما هو ذلك الشيء الابيض المرتفع في الهواء قرب المنزل المواجه. فتبين أنها الطريق التي مضيت لا أراها منبسطة حتى بعد ايضاح يان.

وكنت أرى الأشياء على نحو أفضل في بعض الأيام، ولا أراها جيداً في أيام أخرى، وفقاً لنوعية الضوء وحالي الجسدية أو الذهنية.

وذات صباح جاءني يان بفنجان شاي وبادرني من فوره: "أراك مرتعبة." وخانتني الألفاظ وأنا أخبره أني لا أرى المنازل عبر الشارع. فضحك، ثم أزاح الستائر، فلاحت السطوح والمدافىء والنوافذ والطريق التي استقامت في وضعها الصحيح.

لم أدرك حتى تلك اللحظة كم عنى لي بصري، وإن ناقصاً ومشوشاً، وكم خشيت فقدانه.

أحسست بالزيف وأنا أسير في الشارع الرئيسي ومعي كلب مرشد على رغم أني بت قادرة على قراءة أسماء المحال. بيد أني شعرت بالارتياح عندما زارني مدرب في مركز تدريب الكلاب في ليمنغتون وقال لي، بعدما لاحظ إجفالي لدى دخول شيء نطاق رؤيتي المحدود، إني لن أكون آمنة بين الحشود ووسط حركة المرور من دون كلب يرشدني.

وقدرت مدى ذكاء فكتور وحسن اهتمامه بي. فقبل إجراء الجراحة لاحظت أربعة أمكنة ألِفَ فكتور أن يبطىء عندها أو يتوقف تماماً. وإذ لم يجد المبصرون لذلك تفسيراً، افترضت أن لفكتور أسبابه الخاصة.

لكني اكتشفت لاحقاً أن الرصيف غير مستو في مكانين حيث يمكن أن أتعثر. وفي المكانين الآخرين برك صغيرة موحلة تتكون إثر هطول الامطار. ولذا كان صديقي الوفي يتوقف لكي يتبين أفضل سبيل يتبعه تحاشياً لهذه العقبات.

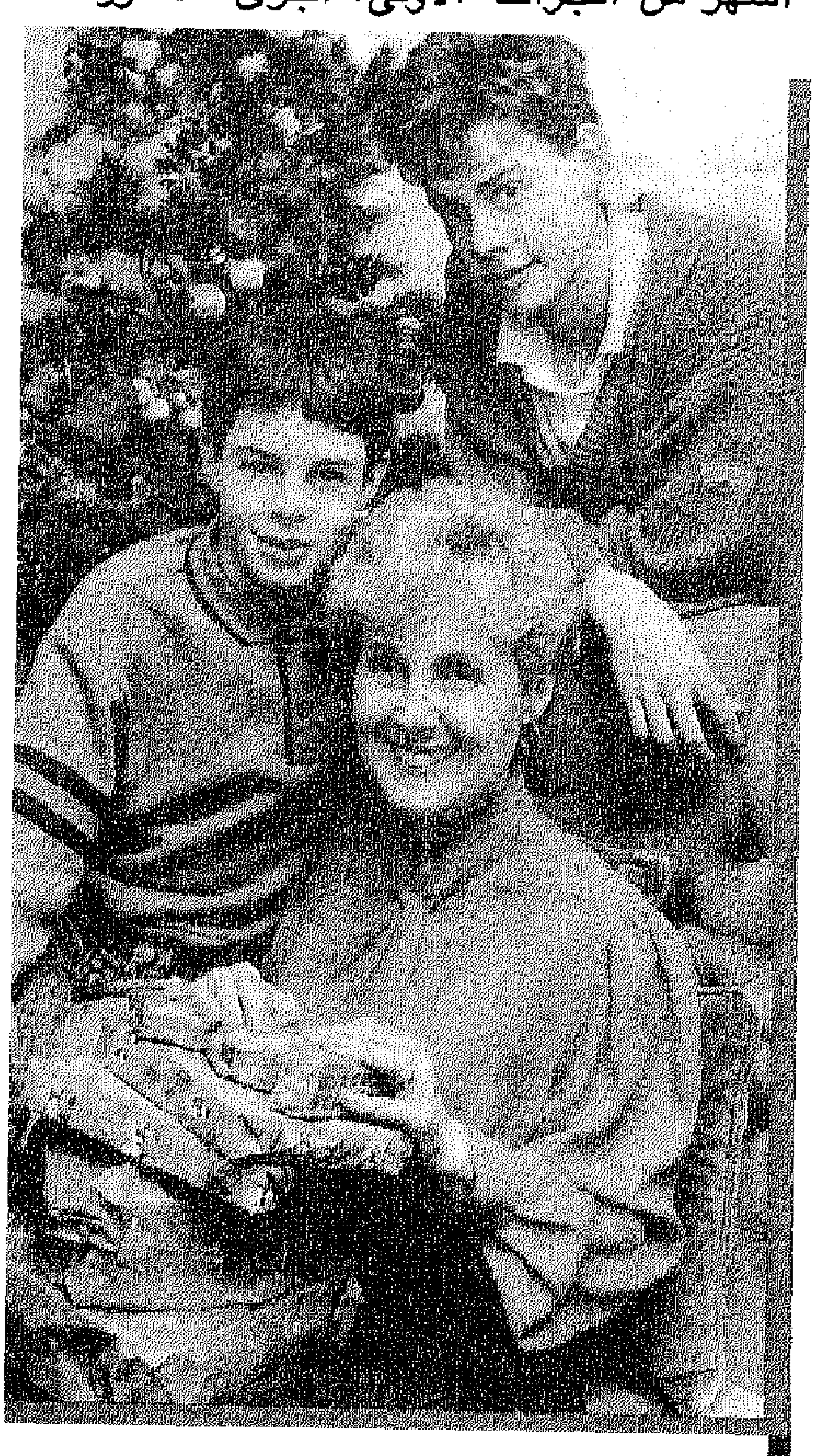
رحلات الى الماضي

تطلعت بشوق ونفاد صبر الى اجراء الجراحة الثانية. فلطالما تمنيت وأنا طفلة أن أرى هطول المطر. أما الآن فبت أحدث نفسي قائلة: "أود رؤية القرميد على السطوح." وغدا ذلك هدفاً جديداً أتوق إلى تحقيقه.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) بعد أربعة أشهر من الجراحة الاولى، أجرى الدكتور حسن سالم الجراحة الثانية على عيني اليمنى. وحالما رُفعت الضمادات علمت أن الجراحة الثانية كان تستأهل العناء. اذ تبين بنتيجتها أن الحول قد زال وأن عيني تتحركان معاً للمرة الاولى في سنوات. وعلى رغم أني لم أرَ ضعفي ما كنت أراه سابقاً – أذ أن الرؤية بعيني اليمنى كانت أدنى درجة وأقل وضوحاً – الا أني رأيت قرميد السطوح. وبت، الى ذلك، قادرة على التمتع بالسفر.

واجتذبت قضيتي وسائل الاعلام، ودعيت الى محطات الاذاعة والتلفزة لاجراء مقابلات. حتى أننا دعينا مرة الى حفلة في الحديقة الملكية حيث عبرت "ذات العيون الأربع" وزوجها أبواب قصر بكنغهام.

وارتحلنا الى امكنة لم أعرفها إلا سمعاً. ومنها كاتدرائية سالزبوري بعظمتها وجمالها، وحديقة الحيوان "لونغليت" (لم أتصور أن على المرء ان ينظر هذه المسافة البعيدة كي يرى عيني زرافة)، ورحلة مثيرة في عربة معلقة (تلفريك).



ميلاد ١٩٨٧، العينان تبصران.

وكانت لي أيضا رحلات الى الماضي. فذهبنا الى بلاكبول حيث رأيت البرج الذي حاولت رؤيته في زيارتي السابقة مع أمي.

وكان حنيني الأشد الى معهد كورليوود حيث أمضيت معظم سنوات مراهقتي. وذهبت الى هناك. كان المختلى الظليل خلف المبنى ما زال قائما، كذلك المقعد الذي جلست عليه يوم شعرت بدعوة الى مهنة التعليم قبل أكثر من ٣٠ عاما.

يصعب على من تمتع دوما بنظر صحيح أن يبدي امتنانا لما أمتلكه الآن.

كثير من الأمور الدُنيوية يثير فيَّ أعمق العواطف. فذات مساء نبش يان مجموعة من صور العائلة. وفيما رحت أنظر اليها بدأ يشوب اعجابي رعب من صور امرأة لم اعرفها. وإذ تكررت صورها، ومعها كلب أحيانا، لم يبق شك في أن الماثلة أمامي هي أنا.

انغمست في هذه التجربة الجديدة أشارك عائلتي في عرض صور تبعث ذكريات شبه منسية. وبدا غريبا أن أرى أدام يعتلي دراجته البلاستيكية التي طالما حملتها الى الحديقة.

وعندما نظرت الى رأس أدام الذي بدا، وهو بعد في السادسة، حكيما ومهيبا، اغرورقت عيناي. وفي اللحظة التالية وضع أدام في يدي صورة تظهرني في تسريحة عجيبة مروعة، فتبدلت سحنتي وحل الضحك مكان الدموع.

يحدوني الأمل، وانا أتطلع الى المستقبل، أن أواصل محاضراتي عن "جمعية تأمين الكلاب المرشدة للعميان" وإرساء مفهوم أن المعاقين بشر لهم عواطف طبيعية ويتوقون الى عيش الحياة على نحو خصب ومنتج ما امكنهم ذلك.

ويبقى التدريس، بعد عائلتي، موضع اهتمامي وحبي الاكبرين. فأتطلع بشوق الى حصص الموسيقى في سانت اندروز، وهي مدرسة محلية للأولاد الذين يعانون مشاكل تربوية. ولا أنظر الى تلامذتي على انهم معاقون عقليا. فهم مجرد أطفال، مثل أولادي.

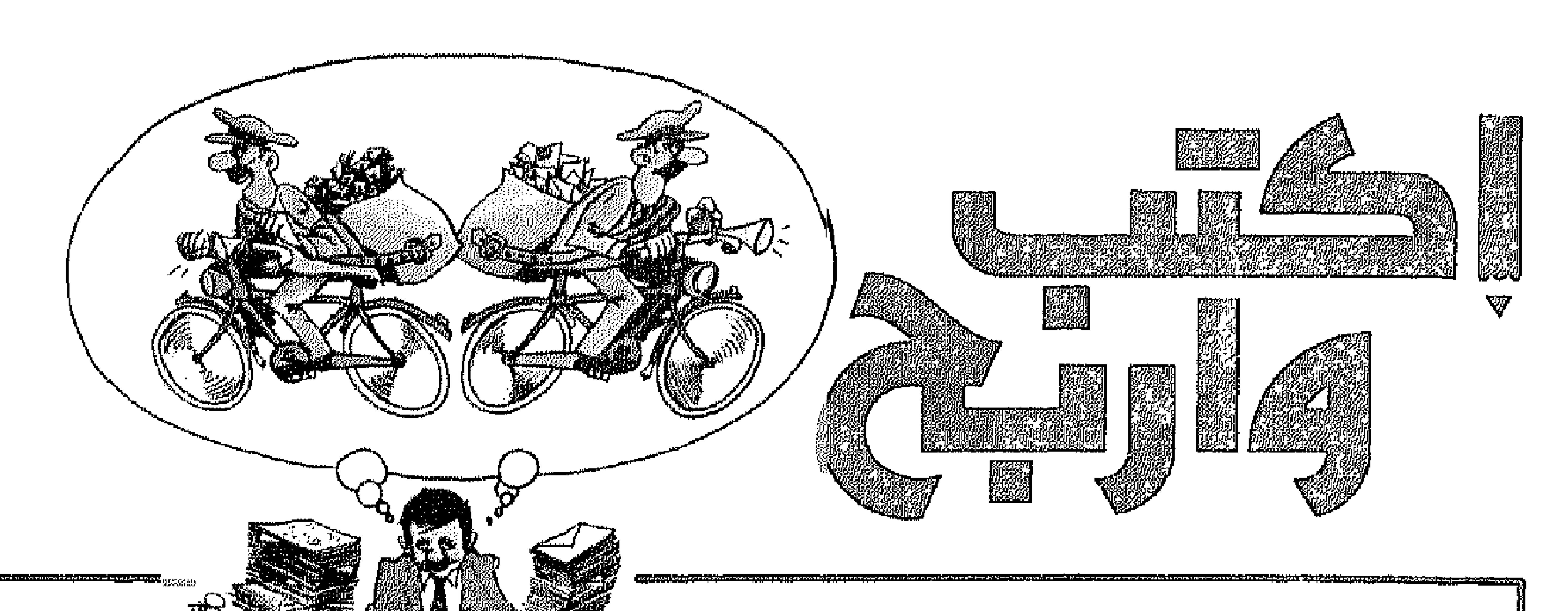
وما زلت أحتفظ بكلبيّ الامينين: مارتن الذي بات في السادسة عشرة من عمره وفكتور الذي غدا في السادسة. وهما يذكرانني بسنواتي التي قضيتها في الظلام. وأسأل نفسي أحيانا ألا أشعر بمرارة لأن النور لم يدخل حياتي قبلا. فيتردد الجواب: لا.

لا تنظروا الى إعاقة كالعمى على أنها مأساة تلفّ المعاق.

فالظلام الذي لفني لم يكن سيئا بمقدار ما يتصوره الناس. فلولاه لما تمتعت بفرح الرؤية التي طالعتني في حياتي الراشدة. رؤية الجبال البعيدة والندى المستقر على خيوط العنكبوت وحقول الذرة المتألقة تحت شمس الغروب وعشرات الأشياء الرائعة الماثلة لعينين نهمتين متفتحتين كعيني طفل.

جودي تايلور ■

ترجمة فريد شديد



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائليه
أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى
وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

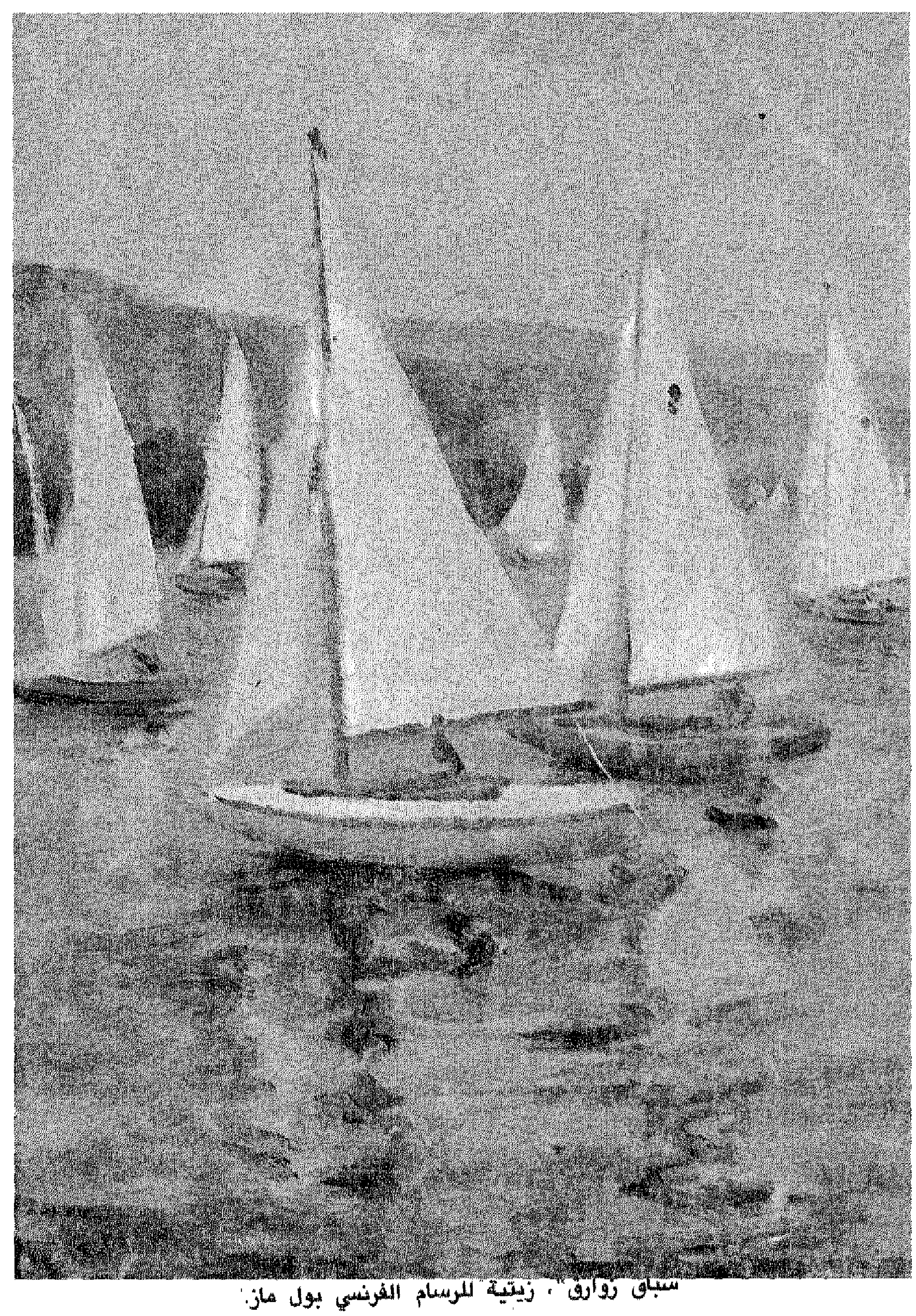
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



"سباق زوارق" ، زيتية للرسام الفرنسي بول ماز.